روايات عبير

www.elromancia.com
مرمورية

العاشقة المترددة

بات ريتشاردسون

٣٢٢

روايات عبير

N 322

غلبة الحب

قام أحد الرجال بإختطاف شابة بطريقة تميل إلى العنف بعد أن وجه إليها تهمة السرقة التي لم تكن في الحقيقة مسؤولة عنها على الإطلاق. ترفض "فيكتوريا" رفضاً تاماً هذه الجرأة التي لا مبرر لها وتتعجب للسلطة التي يباشرها "جيل لاروك" على سكان هذا الوادي وكأنّه إقطاعي. وتجد الشابة نفسها حبيسة في عش عال فوق قمة جبل يمتلكه سيد هذه الأماكن. كيف تستطيع الصحيفة الإنجليزية أن تدافع عن نفسها أو تفضل الهروب من هذا السجن ؟

وأخيراً تمكنت من تحقيقه والعودة إلى إنجلترا ولكنّها تعود مرة ثانية لتقابل "جيل لاروك" الذي كانت قد أحبته وكان قد بادلها نفس الحب.

ثمن النسخة

لبنان ـــ ٢٥٠٠ ل.	قطر ـــ ٨ ريال	Canada ـــ 6 $
سوريا ـــ ٧٥ ل.	مسقط ـــ ٧٥٠ بيسة	U.K. ـــ 2 £
الأردن ـــ ١ دينار	مصر ـــ ٤ جنيه	U.S.A. ـــ 4 $
السعودية ـــ ٨ ريال	المغرب ـــ ٢٠ درهم	Greece ـــ 1500 drs
الكويت ـــ ٧٥٠ فلس	ليبيا ـــ ١ دينار	Cyprus ـــ 2 £
الإمارات ـــ ٨ دراهم	تونس ـــ ٢،٥ دينار	France ـــ 20 Fr.
البحرين ـــ ٧٥٠ فلس	اليمن ـــ ٢٥٠ ريال	

العنوان الأصلي لهذه الرواية
TOKYO TRYST

تأليف
Patt RICHARDSON

No. 111- 0241

العاشقة المترددة

(٣٢٢)

ترجمة
توفيق يوسف راشد

صاحب الإمتياز
انطوان القسطه

وكيل التوزيع
المركز الدولي للطباعة والطباعة والنشر والتوزيع
ش. م. م.

مكتب لبنان
ص . ب 374 جونيه – لبنان
تلفون : 00 961 9 262 939
فاكس : 00 961 9 260 401

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة ..
إلا بعد الحصول على موافقة خطّية من الناشر .

www.elromancia.com

تقديم

قام احد الرجال باختطاف شابة بطريقة تميل إلى العنف بعد أن وجه إليها تهمة السرقة التي لم تكن في الحقيقة مسؤولة عنها على الإطلاق . وترفض "فيكتوريا" رفضا تاماً هذه الجراة التي لا مبررلها وتتعجب للسلطة التي يباشرها "جيل لاروك" على سكان هذا الوادي وكانه إقطاعي .

وتجد الشابة نفسها حبيسة في عش عال فوق قمة جبل يمتلكه سيد هذه الاماكن . كيف تستطيع الصحفية الإنجليزية ان تدافع عن نفسها او تفضل الهروب من هذا السجن ؟

المقدمة

حضرت شابة صحفية من انجلترا قاصدة جنوب غرب فرنسا لكي تبحث عن مادة خصبة تنفعها في الكتابة عن احد المذاهب المسيحية الذي ترعرع في هذه المنطقة وعرف بمذهب الـ "كاثار" ولكنها لسوء حظها اتهمت في عملية سرقة إيراد فندق اقامت فيه هي واصدقاؤها ، إلى جانب تعاطيها المخدرات . إلا ان اصدقاءها تركوها وحيدة ولانوا بالفرار بعد أن سرقوا كذلك سيارتها المؤجرة ، وجميع اوراقها ومستنداتها الرسمية ، وملابسها ، ولم يتركوا لها اي شيء .

وتعامل الشابة معاملة اللصوص ، وتنقل إلى مكان ناء في قمة احد الجبال حتى لا تتمكن من الهروب او الاتصال باصدقائها .

وتفكر الشابة كثيرا في الهروب ، وتحاول ذلك اكثر من مرة وتتمكن اخيرا من تحقيقه والعودة إلى انجلترا . ولكن الشابة تعود مرة ثانية وتقابل "جيل لاروك" الذي كانت قد احبته وكان قد بادلها نفس الحب .

www.elmenqia.com

الشخصيات الرئيسية في القصة

"فيكتوريا سامرز".

بطلة القصة جاءت من انجلترا لتقوم بعمل بحث عن احد قبائل شعوب الـ"كاثار" التي كانت تسكن مناطق من جبال الـ"بيرينيه".

"جيل لاروك".

بطل القصة . تدور جميع الأحداث حوله فهو سيد القصر وصاحب الصولة والسلطة في هذه المنطقة . كانت له أراض مترامية الأطراف ومصانع عديدة وقطعان من الخراف يحصل منها على الصوف لمصانعه .

كان شبه إقطاعي يحبه اهالي المنطقة لانه يعمل على حمايتهم ويهتم بمصالحهم .

"ديفيد".

زوج "فيكتوريا سامرز" استمر معها بعض الوقت ثم تركها ليتبع صديقا له .

السيدة / "جون رينو" .

صاحبة الفندق الذي نزلت فيه "فيكتوريا" مع ثلاثة من رفقاء طريقها.

"مايك / ستيف/ ماري".

تعرفوا على فيكتوريا سامرز" في الطريق العام وطلبوا منها ان

تاخذهم معها في سيارتها . ولكنهم سببوا لها مشاكل عديدة في الفندق .

السيدة /ديفال . .

المسؤولة عن إدارة شؤون منزل "جيل لاروك" .

"مونيك" .

خادم في منزل "جيل لاروك" .

"ماري روز" .

طباخة تعمل في منزل "جيل لاروك" .

"كازانوفا" .

اسم الكبش الذي كان يحرس قطعان "جيل لاروك" كان مشهورا بضخامة جسمه . كان يرعاه سيده خير رعاية ويقيم له كل سنة حفلة خاصة به .

"سام" و"كوكي" كلبا حراسة قطعان خراف "جيل لاروك" .

"انيت جوبير" المسؤولة عن محل الملابس والاحذية الذي يمتلكه "جيل لاروك" .

"مارك تومسون" . .

صاحب شركة تعرف على "فيكتوريا سامرز" واعجب بها ، وطلبها في بادئ الأمر للعمل معه في شركته وبعد ذلك طلبها للزواج منها

"كلاوديا" .

زوجة "جيل لاروك" . كانت مدمنة مخدرات وحاول "جيل" ان يعالجها ولكنه لم يفلح . وتركت "جيل" لانها لم تكن تعشق حياة الجبال والرعي وذهبت إلى "باريس" عاصمة فرنسا لكي تعيش حياة المتعة واللهو والسكر والمخدرات ولكنها قضت نحبها متاثرة من كثرة المخدارت التي كانت تتعاطاها .

ليغوري : صديق "جيل لاروك" . اعتقد ان التي تجلس مع "جيل" في قاعة الفندق هي "كلاوديا" زوجته واخذ يناديها بهذا الاسم بصوت مرتفع امام اعضاء المؤتمر المجتمعين هناك .

الفصل الأول

عش الصقر

- "إنها مخدرة . هذه الفتاة مخدرة بطريقة كاملة " .

قبلت هذه الكلمات بنوع من الاحتقار قالها احد الرجال بصوت اجش قوي وكانه في قوة المعدن ، كان يصل إلى اذني "فيكتوريا" وكانه يخترق الضباب عمن كان يتكلم ؟

ليسكت هذا الصوت يجب ان يتركوها لكي تنام ... تنام !

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يهمها في واقع الأمر ... وهو ان تنام . ان تهرب إلى هذا الملجا الذي يحميها . رغم ذلك كانت هناك يدان من الصلب تمسكانها من كتفيها وتهزانها بعنف .

- استيقظي يا آنسة !

- ابتعد عني . اتركني هادئة . لااريد ان استيقظ . لا استطيع ذلك الآن . كانت "فيكتوريا" تتمنى لو تقول ذلك باعلى صوتها ، على ان اية كلمة لم تخرج من فمها . كان لسانها مشلولا وكان حجمه قد تضخم مرتين عن حجمه الطبيعي.

كان جفناها جامدين كانهما من الرصاص . ماذا حدث لها ؟

كانت عاجزة عن الكلام . عاجزة عن الحركة .

كان الرجل يهزها دون مراعاة لما هي عليه وكان يردد باستمرار :

.. يا آنستي .. استيقظي ".

- " ماذا يريد مني هذا الحيوان ؟ لماذا لا يتركني في هدوء ؟

- كانت "فيكتوريا" تفكر في ذلك بينما كان راسها يدور ذات اليمين وذات الشمال عند كل هزة .

وفجاة توقف الرجل عن هزها وابعد يديه عن كتفيها . وسقطت مرة ثانية على الوسادة دون حركة . ولاحظت "فيكتوريا" دون تركيز اصوات بعض الخطوات وهي تبتعد عنها وبابا يفتح . اخيرا سيمكنها النوم ... كانت ستنام " .

ولكنها سمعت من جديد صوت الخطوات وهي ترجع تجاهها ثم

توقفت فجاة عند سريرها .

اخذت "فيكتوريا" تصيح . كانت تشعر بشيء رطب وبارد يلمس وجهها . وإزاء هذه الصدمة فتحت عينيها . كان الضوء يؤذيها ولكنها لاحظت ان رجلا ضخم الجثة مخيف المنظر يميل عليها ويقوم بتعذيبها . لم تستطع ان تتبين ملامح وجهه لانه كان واقفا في ظل الشمس ، ولكنها شعرت بمدى قوته وقدرته . وكان نور الشمس في هذه اللحظة يلعب بشعرها الكثيف الأسود اللون كالكهرمان . كان يرفع ذراعه وهو يمسك في يده ذلك الشيء الذي وضعه بكل عنف على وجهها . كان بالفعل يقبض على منشفة حمام تتساقط منها بعض قطرات من الماء البارد . وخلال هذه الهالة من النور وهو رافع ذراعه كان منظره يبدو وكانه جلاد مستعد لتنفيذ حكم الإعدام .

قالت السيدة وهي تصرخ - "لا يكفي هذا .. ارجوك " .

وخفض الرجل ذراعه واخذ يمسح بكل رقة ولطف بالمنشفة الرطبة على جبينها .. وعلى وجنتيها ..وعلى شفتيها مما جعلها تشعر بإحساس عجيب من الانتعاش.

- " اخيرا ... لقد اعتقدت انني لن استطيع إيقاظك ابدأ !!

بالتاكيد لهذه الطريقة فاعليتها . كان الرجل قد ايقظها ولكن جسمها كله كان يبدو وكانه قطعة رخوة ... ودون رد فعل لايمكن السيطرة عليها ، كانت فكتوريا ترغب في الجلوس ولكن عضلاتها كانت ترفض ان تستجيب لها .كان لديها شعور غريب بانها دمية لا تتكلم او لعبة كسر زنبركها .

وجلس الرجل على السرير ودون اية مقدمات وضع يده خلف ظهرها وجذبها نحوه لكي يساعدها على الجلوس . كان عليه ان يستعمل قوته لأن راس "فيكتوريا" اصطدم بعنف بصدره فاضطر الرجل إلى الإمساك بها واحاط كتفيها بذراعه ليمنعها من السقوط ثانية على الوسادة .

كانت ترتدي قميص نوم ازراره مفكوكة ، ولمدة ثوان ارتمت السيدة في احضان هذا الرجل الذي كان يحاول ان يفيقها من هذا النعاس الشديد بطريقة لا تخلو من الخشونة. واحست "فيكتوريا" بعضلات

الرجل وهي تتقلص تحت جلده، وكانت تتصاعد منه رائحة عطر ذكية ونفاذة . كان ينطلق من صدر الرجل شعور غريب بالقوة ، كانت "فيكتوريا" تتمنى وهي مغلقة العينين ان تطول مثل هذه اللحظة كثيرا.

ولكنه ابعدها عنه عندما لمس بالمنشفة الباردة وجهها . كان الاختلاف واضحا بين سخونة جلدها وبرودة المنشفة ، الأمر الذي جعلها تنتفض . وفتحت عينين واسعتين فوجدت نفسها وجها لوجه أمام الرجل المجهول .

وتبادلا النظرات لحظة ، وشعرت "فيكتوريا" بانها تلقت شحنة كهربية . لم تكن قد تعرضت قبل الآن لمثل هذه النظرات الثاقبة . كانت عيناه الكئيبتان العميقتان اللتان يصعب على الإنسان سبرغورهما تملآنها بقلق اقرب ما يكون إلى الذعر من كان ياتري هذا الرجل ذو الوجه الصارم الذي لا يركن إلى الراحة . ماذا كان يريد ؟

ماذا يفعل في غرفتها ؟

لماذا يجلس على سريرها !

كانت "فيكتوريا" " تريد ان تتكلم معه وان تساله ولكنها لم تستطع ان تتلفظ باية كلمة هذه المرة ايضا ولم تتحرك شفتاها . ماذا كان يحدث لها ؟ واحست بقشعريرة تسري في عروقها وهي في حالة عجز عن النطق باية كلمة أو الهروب من سلطان نظراته التي كانت تنفذ إلى اعماقها ، وكان هذه النظرات تهدف إلى تعرية نفسيتها . ووقفت هناك وكانها فقدت صوتها وفقدت قوتها ايضا ، وكانها نومت تنويماً مغناطيسيا .

اتجه الرجل صوب شخص كان واقفا هناك معتكفا بعض الشيء ، وساله:

- " إنها حتى الآن ضحية المخدر . لن نستطيع بذلك ان نجعلها تستعيد انتباهها الآن " .

المخدر . اي مخدر ؟ ولكنه ماذا كان يقصد بذلك إذن ؟

كان يتكلم الفرنسية وهي اللغة التي كانت "فيكتوريا" تتقنها تماما . وتقدم الشخص الذي كانت هذه الكلمات موجهة إليه واستقر في ضوء الغرفة كانت امراة واجابت بصوت رقيق :

- " لا تكن هكذا خشناً معها يا "جيل" .

- " اشك في واقع الأمر في انها ضمن افراد العصابة . إنك في الحقيقة متسامحة جدا ياصديقتي العزيزة بجانب كونك امراة ساذجة. ولهذه الأسباب استطاعوا ان يسخروا منك بمثل هذه السهولة ولكن الأمر يختلف كل الاختلاف معي . لقد اصبحت الاعيبهم مالوفة لي جدا وليس من السهل ان اقع في حبائلهم " .

كان صوته في الواقع صارما جدا فيه نبرة تهديد وكثير من الاحتقار بحيث إن "فيكتوريا" اضطرت لان تتقوقع في اخر سريرها . من تكون هذه العصابة التي يتكلمون عنها ؟

وإلى من كانت هذه السيدة توجه الكلام ؟

كانت "فيكتوريا" واثقة كل الثقة من انه سبق لها ان قابلتها ولكنها لا تتذكر بالتحديد في اية ظروف .

استمر الرجل في الكلام بنبرة صوت لا تخفى غطرسته :

- " ما الأشياء التي سرقوها منك على وجه التحديد يا "جون" ؟

- " لقد سرقوا كل إيراد الأمس وتركوا الفندق دون ان يسددوا كشف حساب الفندق عن الاسبوع الذي قضوه ، وقد فوجئت الآنسة "سامرز" بانها تقف امامهم وحيدة .. "

- " كانت ولاشك مخدرة جدا فلم تتمكن من الهروب مع المتواطئين معها " .

ولكنك لا تخافي إطلاقاً يا "جون". سوف نجبرها على الاعتراف وسوف نعثر على المتواطئين معها " .

الآنسة "سامرز" . كان هذا بالفعل هو اسمها . كان اسمها بالكامل "فيكتوريا سامرز" .

وبدات الذكريات تندفع واحدة تلو الأخرى في ذاكرتها ، كانت السيدة التي يناديها الرجل الذي حاول تعذيبها باسم "جون" هي في الواقع السيدة "رينو" صاحبة الفندق الذي نزلت فيه منذ اسبوع مضى حيث كانت تبحث عن "مونتييو" وهي إحدى القرى التي كانت تسكنها آخر سلالة قبائل الـ "كاثار" التي انشقت عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية .

كان هذا الرجل مصمما على ان تعترف . لكن تعترف بماذا ؟
ماذا بشان قصة المخدر والسرقة ؟
بالتاكيد كانت "فيكتوريا" بعيدة كل البعد عن هذه المشكلة .
اقتربت منها السيدة "رينو" وقدمت لها كوبا من الماء .
- " خذي يا انسة "سامرذ" اشربي . إن هذا سيصلح من شانك ".
كان صوتها رقيقا وعيناها تفيضان بالحنان . كان اسلوبها في لكلام مختلفا تماما مع نظرة الخشونة والاحتقار التي كانت تنطلق من عيني الرجل الذي كانت تدعوه صاحبة الفندق باسم "جيل" . وكانت هذه الحركة اللطيفة من جانب السيدة "رينو" كافية لان توقف دموع "فيكتوريا" في عينيها . اخيراً عثرت على من تظهر لها شيئا من العطف! وتناولت "فيكتوريا" كوب الماء بيد مرتعشة ورفعته حتى شفتيها وشربت بشراهة كان يبدو عليها وكانها لم تشرب شيئاً منذ اسابيع واسابيع . وعندما وضعت الكوب على المنضدة بجوار السرير وهو فارغ استطاعت اخيرا ان تتكلم في حضرة الرجل الذي كان حتى الآن واقفا في صرامة مشبك الذراعين عند حافة السرير :
- من انت ياترى ؟
ماذا تفعل في غرفتي ؟
ليس لديك اي حق ....
وصرخ الرجل " ليس لدي الحق ! اليس لدي الحق في ان اطير لمساعدة صديقتي "السيدة "رينو" بصفتها ارملة ووحيدة تعمل على تربية اولادها الاربعة بينما انت وشركاؤك تسرقونها بمنتهى الخزي . انا اسمي "جيل لاروك" ، املك كل هذا الوادي . وسوف تندمين لانك توجدين على المنطقة التي املكها يانسة "سامرذ" .
المنطقة التي يمتلكها ! ماذا يعتقد انه وصل إليه بامتلاكه كل هذه الأراضي؟
هل يعتقد انه سيد من سادات القرون الوسطى ؟
لم تسمع إطلاقا اي شخص يتكلم بمثل هذه الكبرياء ، وبهذه العجرفة . ياإلهي .. كم كان كريها هذا الرجل ! ليتركها في حالها ! بالتاكيد كان وجوده هنا خطا فادحا . كانت "فيكتوريا" بمنأى عن كل

هذه الجرائم التي كان يتهمها بها ويجعلها مسؤولة عن اقترافها . من كانوا ياترى هؤلاء الشركاء الذين تقاسموا معها هذه الجرائم ؟
قالت "فيكتوريا" وهي تمرر يدها المرتعشة على جبينها المبلل :
- " إنني لا اتذكر شيئا على وجه الإطلاق " .
- " ارى ان فقد الذاكرة اصبح شيئا ميسورا ومريحا بالنسبة لك يانسة "سامرذ" ولكنني اقسم انك معي تتذكرين كل شيء وبسرعة "
لقد حضرت منذ اسبوع وكان يصاحبها ثلاثة افراد كان هذا بالتاكيد صحيحا . كان معها "مايك" و "ستيف و"ماري" وهم ثلاثة مواطنين . كان ثلاثتهم من نوع الجوالة الذين يتنقلون من مكان إلى آخر حاملين حقائب بها كافة احتياجاتهم الأساسية على ظهورهم.
كانت "فيكتوريا" على عجلة قيادة السيارة التي اجرتها ، وتوقفت لتاخذهم معها كانت مناظرهم رائعة وهم سعداء ، وكانت عواطفهم فياضة إلى حد كبير ، كانت تحس انها اصبحت وحيدة وانها حزينة إلى اقصى حد بعد ان سافر "ديفيد" .
كان ثلاثتهم قد تقدموا بصفتهم طلبة جاءوا خلال إجازتهم لاكتشاف هذه المنطقة الرائعة من جنوب غرب فرنسا .
كانوا قادمين من لندن مثلها تماما واختاروا النزول في نفس الفندق الذي نزلت فيه "فيكتوريا" .
واستمر الرجل يقول بصوت لايعرف الهدوء :
- وتنبهت السيدة "رينو" هذا الصباح ان العصافير الثلاثة قد فرت لقد سافر اصدقاؤك الثلاثة واخذوا معهم حقائبهم وكذلك إيراد اليوم".
عندئذ دخل الشك في نفس "فيكتوريا" فانتصبت على سريرها واخذت تصيح:
- "سيارتي ! اين هي سيارتي ؟
ساعدوني على النهوض من السرير اتوسل إليكم " .
وجرت السيدة "رينو" إليها وساعدتها على السير وهي تترنح إلى الشباك : كانت تكفي نظرة واحدة إلى ساحة الفندق لكي تتاكد مخاوفها السيئة . كانت السيارة ماركة "رينو" بيضاء اللون اجرتها "فيكتوريا" منذ اسبوع مضى بمبلغ كبير .

هل معنى هذا ان هذا الوحش كان على حق وان زملاء الطريق لم يكونوا في واقع الامر سوى لصوص ؟

هل يعني ذلك انها يجب ان تعتني اكثر وان تكون لديها فراسة في اختيار المجموعة التي ترافقها ؟

في الحقيقة كانت لها قصة مع "ديفيد" ...

لاشك ان هناك تفسيرا لما حدث !

كان عليها وعلى أصدقائها الجدد ان يقوموا معا في هذا الصباح برحلة إلى الجبل حتى أحد مساقط المياه . واخذت "فيكتوريا" تسبح بخيالها مدة ثوان معدودة وكان لديها امل غير واقعي بان كل شيء ستتضح تفاصيله واعتقدت انهم ذهبوا لاستدعاء الطبيب عندما شعروا بانها تعاني مرضاً بالتاكيد هذا ما حدث بالفعل ولاشك انهم في طريق العودة إليها . كانت تترنح وتستند في كل خطوة تخطوها إلى الجدار وتوجهت إلى خزانة الملابس حيث كانت قد اودعت فيها كل حقائبها وكل ملابسها . كانت فارغة تماما . كانت الخزانة فارغة تماما. لم يكن لديها اي شيء ترتديه سوى قميص النوم المصنوع من القطن الابيض وكانت بالفعل ترتديه الآن .

وماذا بشان اوراقها ؟

لا - لم تكن قد اخذت اوراقها ونقودها كانت قد اودعت حقيبة يدها الليلة الماضية كما لو كانت تشعر بان ذلك سوف يحدث في درج الخزانة الصغيرة الموجودة بجوار السرير . وكانت "فيكتوريا" قد وضعت كل اوراقها ونقودها في حقيبة يدها ولكن لسوء حظها كان درج الخزانة الصغيرة ايضا فارغا . كيف امكنهم عمل كل هذا دون ان يسمعهم أحد . هي بالذات كان نومها خفيفا جدا بعد ان هجرها "ديفيد"؟

هل كانت مخدرة ؟

لاشك في ذلك . كانوا قد خدروها . هذا يفسر الآن بوضوح حالة الغيبوبة التي كانت تبدو عليها هذا الصباح . ولكن في اي شيء وضعوا هذا المخدر ؟

هل وضعوه في الحساء ، أم وضعوه في النبيذ ؟

لقد جلست معهم الليلة الماضية في مطعم الفندق وعلى نفس المائدة. لقد دعوها رغبة منهم في إبداء شكرهم العميق لها لانها توقفت بسيارتها لتلتقطهم من الطريق وتوصلهم إلى هذا الفندق .

كانت الليلة التي قضتها معهم سعيدة ودافئة . وقد مر عليها وقت طويل لم تكن قد ضحكت خلاله .

كانوا قد اصطحبوها حتى باب غرفتها وكانت قد اتفقت معهم على ميعاد محدد في صباح اليوم التالي لكي يقوموا بهذه الرحلة في الجبل وبعد ذلك لم تكن تتذكر اي شيء آخر .

كانت ساقاها عاجزتين عن حملها اكثر من ذلك . وسقطت "فيكتوريا" على السرير . مازال المخدر يؤتي مفعوله . لم تكن قد استعادت وعيها تماما وسمعت صوت "جيل لاروك" الساخر وكانه يتردد خلال سحب من الضباب :

- " يبدو ياانستي ان شركاءك تركوك بطريقة فيها جبن ونذالة والاشخاص الذين يتركون انفسهم لتعاطي المخدرات مثلك تكون نهايتهم دائما مهما طالت الايام ان يتعاطوا كمية كبيرة جدا من المخدرات . لقد وجدنا انابيب الانفيتامين المخدر بجوار سريرك كانت فارغة . والحقيقة انك محظوظة لكونك هربت من موت محقق . هناك اشخاص آخرون لم يتوفرلهم هذا الحظ وتوقف فجاة عن الكلام . ورات الشابة السيدة "رينو" وهي تقترب منها وتضع يدها على ذراعها بحركة تهدئة . كانت "فيكتوريا" في حالة ذهول . كان منظر"جيل لاروك" يبدو كانه اسد مصاب . وشعرت "فيكتوريا" بحزن شديد سيطر على نظراتها وملاها كابة لحظة قليلة . كانت هذه الكابة قد سيطرت على "فيكتوريا" لحظة قصيرة من الوقت لأن عينيها اخذتا من جديد ترسلان وميضهما باهراً .

- " سوف اخلص "جون" من وجودك . ليس لها اي صلة بشابة تتعاطى المخدرات في منشاتها التي تنفرد بسمعة رائعة في المنطقة . سوف تتبعينني "

قاطعته "فيكتوريا" وثارت عليه : - " إذن فانت لم تفهم شيئا نهائيا . الا ترى انني كذلك كنت إحدى ضحاياهم ؟

لقد اخذوا كل شيء امتلكه : سيارتي ، ملابسي ، نقودي ، اوراقي.."

- " إنني لا اصدق شيئا من هذا إطلاقا . فعندما لاحظ اصدقاؤك سوء الوضع الذي كنت عليه تداركوا فجاة العبء الشديد الذي كنت تمثلينه بالنسبة لهم . ولذلك تركوك في الحال . وكانت فكرة اخذ جميع حاجاتك فكرة باهرة فهي تؤيد روايتك عن الأحداث . وتظهرك وكانك ضحية مغلوبة على امرها . ولكنني لست بهذه السذاجة لكي اقع في فخ لم تتقني صنعه .

صاحت "فيكتوريا" وهي تغلق اذنيها :

- " يكفي هذا .. يكفي اتركني في هدوء . اخرج من غرفتي ".

- " وبذلك تغتنمين الفرصة وتقفزين من الشباك لتلحقي باصدقائك.. لن يكون هذا ابدا " .

- " وكيف اتمكن من الهرب وانا على هذه الحال حافية القدمين .. لا ارتدي سوى قميص نوم " .

كانت كل هذه الاتهامات في الواقع غير منطقية لا يستسيغها عقل بنفس الطريقة التي لا يقبلها اي عاقل والتي كانت توجد فيها الشابة . ماذا ستفعل ياترى وقد اصبحت لا تلوي على شيء :

دون نقود ، دون ملابس ، دون اوراق وهي في بلد غريب لا تنتمي إليه ؟ ماذا يريد أن يفعل بها هذا الرجل وهو يعتقد انها ضمن عصابة من اللصوص ومن متعاطي المخدرات ؟

هل يسلمها إلى رجال الشرطه ؟ سوف تتمكن حينئذ من الدفاع عن نفسها بشتى الوسائل ولكن من سيصدق روايتها عن الأحداث التي جرت ؟ سيكون كلامها مغايرا بالتاكيد لكلام "جيل لاروك" الذي كان يتمتع بسطوة شديدة في هذه المنطقة . كان الله في عونها كان راسها يكاد ينفجر من شدة الالم الذي تشعر به الآن .

حاولت "فيكتوريا" مرة اخرى أن تنهض من السرير .اين هو الحمام؟ ربما يفيدها تناول قليل من الماء البارد . وحاولت أن تتقدم بعض الخطوات ولكنها كانت تترنح بعض الشيء وكانت توشك أن تسقط لو لم تلحق بها ذراعان شديدتان . وشعرت الشابة ان هناك من يرفعها عن الأرض واعترافا منها بالجميل اسندت راسها إلى كتف منقذها .

كان إحساس غريب بالقوة من المستحيل قهره ينبعث من هذا الرجل وخلال بعض اللحظات شعرت "فيكتوريا" انها ضحية لرغبة عنيفة لا يمكن مقاومتها تدعوها إلى أن تضع نفسها رهن إشارته وان تستسلم بصفة كاملة بين يدي هذا الرجل . كانت "فيكتوريا" تكره بالتاكيد هاتين اليدين ولكنها كانت واثقة كل الثقة من صاحبهما لم تكن "فيكتوريا" قد صادفت طوال حياتها اى رجل يمتلك هذه القوة الخارقة إلى جانب هذه السطوة الخيالية . كان بالفعل مختلفا كل الاختلاف عن "ديفيد" .. "ديفيد" كلما تذكرت هذا الاسم تشعر بان جسمها ينتفض كله . كان "ديفيد" قد تركها .

كان قد جرح كبرياءها واهانها . هل كان من الممكن ان تنسى ذلك ؟

كانت "فيكتوريا" في وضع تبدو فيه منعدمة الإدراك . كانت تسمع "جيل لاروك" والسيدة "رينو" وهما يتناقشان بلهجة لم تكن تعرفها إطلاقا . كان صوت الرجل غليظا لا رحمة فيه . وعلى العكس من ذلك كان صوت السيدة رقيقا فيه نبرة استرحام على ما يبدو .

احست "فيكتوريا" ان كل جسمها يرتعش . كان هذا الرجل في استطاعته ان ينفذ تهديداته . وقد رات "فيكتوريا" بعينيها غير المفتوحتين بعض تلك النظرات الفضولية وهي ترمقها بتركيز. ولكن هذه الجماهير جميعها كانت تلقي على "جيل لاروك" السلام بكل احترام .

ما رد فعل جماهير هذا الوادي المفقود بين جبال "البيرنيه" لو ان الرجل صمم على كلامه . وتم عرضها وهي على هذا المنظر غير المالوف وهي السيدة الغريبة عن هذه البلاد ، وعن هذه القرية ، واتهمها إلى جانب ذلك بانها تتعاطي المخدرات وبانها لصة ؟ كان سكان هذه القرية هم أخر سلالة شعوب الـ "كاثار" وهي قبائل فرنسية سكنت الجبال وانشقت على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التي يعتنقها سكان فرنسا وكانت لهم معتقداتهم الخاصة بهم . وقد حضرت "فيكتوريا" خصيصا من بلادها لتجمع عنهم تحقيقا تذيعه على قنوات التليفزيون البريطاني في سلسلة حلقات . ولكن من الواضح ان هذه الجماهير لم تكن من النوع الذي يستريح إليه الإنسان . الم يكن اجدادهم في القرون

الوسطى مرتبطين بطهارة عاداتهم بصفة لا تقبل اي تغيير ؟ ولم ترد "فيكتوريا" باي شيء واكتفت بالعض على شفتيها .

وصل الرجل ووقف امام سيارة "لاندروفر" كانت واقفة على بعد امتار من الفندق " هل تستطيعين الوقوف على رجليك او يتعين علي ان القي بك كما يلقى باللفة او بالكيس في الجانب الخلفي من السيارة ؟ لقد سبق ان اخبرتك بانني احمل في هذا المكان من السيارة قطعان الخراف"!

- " استطيع ان اتدبر شؤوني بمفردي دون الحاجة إلى مساعدة احد".

وبذلك اضطرته إلى يتركها وعملت بسرعة على إخفاء كل جزء من جسمها في غطاء السيدة "رينو" بكل وقار .

ومع ذلك شعرت بان جسمها كله اخذ يهتز بشدة من البرودة التي كانت تسرى في قدميها العاريتين من الاسفلت الذي تقف عليه . كان رد فعل ذلك عنيفا جدا . واخذت اسنانها تصطك بفعل هذه البرودة الشديدة .

قال لها الرجل بصوت فيه بعض الرقة وهو يفتح لها الباب :

- " اركبي السيارة .

وبينما كانت تجلس على المقعد بجوار السائق انحنى الرجل واخذ إحدى قدميها بين يديه .

كانت في حالة برودة واضحة واخذ الرجل يدلك قدميها ببطء حتى بدأت تشعر بالحرارة وهي تسري في قدمها وفعل الشيء نفسه بالنسبة للقدم الأخرى . من كان ياترى هذا الرجل الغريب الذي كان يبدو غليظ القلب وفي الوقت عينه كانت تفيض منه هذه الأحاسيس النبيلة وهذه الرقة ؟ كانت الحرارة التي تسبب فيها الرجل تنبعث من ساقيها لكي تغزو كل اعضاء جسمها . كانت تشعر الآن بعذوبة لا توصف . وفجاة شعرت "فيكتوريا" بانها اصبحت على مايرام واقفلت عينيها واستندت إلى مؤخر مقعد السيارة بينما كان الرجل يلف قدميها بالجزء السفلي من الغطاء .

وبعد مرور نحو الثانية كان الرجل على عجلة قيادة السيارة وانطلق

بعد ذلك تاركا وراءه في ميدان القرية الجماهير التي وقفت مشدوهة وهي ترى المنظر الذي وقع تحت ابصارهم .

وسالته الشابة :

- " اين ستذهب بي ؟ إلى قسم الشرطة ؟ "

واستدار الرجل ينظر إليها بوجه حاد وبنظرات باردة .

- " ليس من عادتي ان أسبب إزعاج رجال الشرطة كل مرة تحدث فيها مشكلة في الأراضي التي امتلكها .

افضل في مثل هذه الحالات ان اقوم انا بنفسي بمعالجة مثل هذه المشاكل . سوف اخذك عندي ".

- " عندك انت ؟ ولكن .. "

- "هذا هو المكان الوحيد الذي استطيع فيه ان الاحظ كل تحركاتك . وتاكدي بانك لن تستطيعي الهروب إطلاقا من هناك فإنني امتلك كل الجبال . وانا اعرف جيدا كل قمة من قممها ، كل ركن فيها كل طريق من طرقها . إن سكان الوادي يكنون لي كل تقدير . لن تتمكني من عمل اية خطوة إلا واخبرت بها في الحال . لقد عوضت صديقتي السيدة "رينو" عن كل الخسائر التي لحقت بها ولن يذهب رفقاؤك بعيدا فسوف اعثر عليهم . وقد علم رجالي بهذا الأمر وهم اكثر فاعلية بالنسبة لي من جميع رجال الشرطة في العالم باسره فبالنسبة لك ياآنسة "سامرز" فانا اقبض عليك ولن تستطيعي الهروب مني إطلاقا إنني مصمم بشدة ان تردي لي كل مادفعته للسيدة "رينو" ...

وامسكت "فيكتوريا" نفسها عن إصدار صرخة رعب . كانت الطريقة التي لفظ بها الرجل كلماته الأخيرة من شديدة حتى شعرت الشابة بان إحساسا عجيبا بالبرودة بدا يسري في كل جسمها وكان وجهها ممتقعا من الغيظ . والتفتت إليه بتحد . ولكنه ادار عينيه غير متاثر مما يحدث .

ولكنه سرعان ما نظر إليها دون ان يشعر باي قلق وترك عينيه تقعان على كتفها العارية وقد انزلق عنها الغطاء .

كانت هذه النظرة واضحة جدا . لم يكن هناك اي شك بشان الطريقة التي سيسترد بها الرجل دينه .

الفصل الثاني

كانت "فيكتوريا" تسبح في بحر من السحاب وهي تكاد تكون فاقدة الوعي ، يهدهدها صوت محرك السيارة "اللاندروفر" الرقيق . كان الغطاء الذي تلتف به المصنوع من صوف قطعان الخراف التي ترعى فوق جبل "البيرينيه" يسبب لها حالة من العذوبة العجيبة للنعومة التي كانت تشعر بها وهو يلمس جلدها كانت بالفعل تحس بانها في نعيم من السعادة لايقابله اي نعيم . وكم كان من اليسير عليها ان تبحث عن هذه السعادة وان تقتحم خطوة بعد خطوة اعماق هذا النعيم الذي لا نهاية له ، وتشكله هي طبقا لرغبتها .

كان يدفعها إلى ذلك بصفة اساسية المخدرات التي تعاطتها دون رغبة منها الليلة الماضية .

كانت "فيكتوريا" غارقة في هذا المحيط من الملذات تسبح فيه على هواها عندما احست فجاة بانها اصطدمت بعنف بباب السيارة . بعد قليل احست مرة ثانية انها تصطدم بذراع السائق بعد ان فقدت تقريبا كل اتزانها . حينئذ حاولت "فيكتوريا" ان تفيق من غفوتها وفتحت عينيها . كان الطريق الذي تسير فيه السيارة ضيقا مرصوفا بالإسفلت ياخذ في الارتفاع عن سفح الجبل ويلتوي ذات اليمين وذات اليسار. وحاولت "فيكتوريا" ان تكتم صرختها . كانت تلمح الهاوية عند حافة الطريق الملاصق لها .كما كانت ترى عن بعد على امتداد الوادي امامها الحقول والحدائق . كم كانت تبدو صغيرة من هذا الارتفاع . كانت تلمح منازل القرية وكانها لعب اطفال صغيرة الحجم . كانت الشابة تحس دائما بخوف شديد من الفراغ . حينئذ شعرت بان حالة من الدوار اخذت تتملكها فاغلقت عينيها وبدا لها ان معدتها اصبحت عند حافة شفتيها ولكنها لاحظت على وجه "جيل لاروك" ابتسامة ميكيافيللية . الوحش. هذا القاسي المشين كان يشعر برغبة خبيثة في ترويعها . وبما انه كان واثقا من نفسه وعلى علم بكل منعطفات هذا الطريق الجبلي كان يقود سيارته بطريقة شبه رياضية. وكان يدفع "فيكتوريا" التي كانت تشعر بخوف شديد سيطر على كل

جزء من جسمها حتى اصاب بطنها بتقلصات مما دفعها إلى ان تتشبث بباب السيارة حتى لا ترى نفسها وقد ارتمت عليه .

طلبت منه الشابة :

- " ارجو ان تسير بسرعة اقل " .

- " هل تشعرين بالخوف ياانسة "سامرز" " إنني في الحقيقة في عجلة من امرى . لقد اضعت وقتا كثيرا معك قبل الآن . هناك عمل ينتظرني ".

كان اي إصرار من جانب الشابة في هذا الصدد عقيما . كان "جيل لاروك" من هؤلاء الرجال الذين لا يتسامحون في اي حق من حقوقهم بل يطلبون من المسيء إليهم ان يدفع مئات المرات ثمن إساءته إليهم . كانت "فيكتوريا" تعلم ذلك تماما . الم تكن من وجهة نظر الرجل مسؤولة عن إضاعة وقته إلى جانب انها اقترفت جريمة شنعاء اصابته باضرار فادحة باشتراكها مع اصدقائها في سرقة إيراد الفندق الذي يقع داخل ممتلكاته ؟

لهذا السبب قرر ان يجعلها تدفع ثمن ذلك غاليا . بل غاليا جدا !

حاولت "فيكتوريا" ان تعض على شفتيها لتمنعه من سماع صرخات الرعب التي كانت تستبد بها كلما دار الرجل بسيارته في منحنى من المنحنيات كانت تمسك بكل قوة بمقبض الباب وكانت تحاول ان تجمع كل عضلاتها لكي تخفف من وقع الصدمات التي كانت تحدثها السيارة بسبب القيادة المتسرعة وغير الطبيعية لـ"جيل لاروك" .

استمر العذاب الذي قاست الشابة منه نحو اثنتي عشرة دقيقة اخرى ثم توقفت السيارة الـ "لاندروفر" اخيرا وكانت سعادة "فيكتوريا" بهذا سعادة عارمة . لقد وصلا ، كانت الشابة تشعر انها قد اصبحت في حالة لن تتمكن منها من تحمل اي منحنى اخر . كانت في حالة إرهاق وغثيان شديدين .والقت بنفسها على مقعد السيارة ياإلهي كم كانت مؤلمة مثل هذه التجربة ! كانت بالفعل تجربة قاسية اضطرت "فيكتوريا" لأن تخوض غمارها . كان الرجل يرغب في ان يقول لها بمعنى اخر : إن الجبل او بالأحرى جبلي الذي يقع ضمن ممتلكاتي ليس دائما جزءا من سعادة السياح الذين يقومون بمغامرات .

وعندما حاول الرجل ان يفتح لها الباب ليمد لها يد المساعدة في النزول من السيارة رفضت الشابة مساعدته وطلبت منه بكل ما تبقي لديها من كرامة :

- " لا تلمسني استطيع ان اتدبر شؤوني وحدي " .

ولكنها عندما حاولت ان تضع رجليها على الأرض وان تنهض من المقعد الذي كانت جالسة عليه امتنعت ساقاها عن ان تحملاها واخذت الأرض تدور بها وبدا لها ان الأرض ترتفع وتكاد تغشاها . ولكن ذراعين امتدتا إليها في الوقت المناسب وامسكتا بها قبل ان تقع ونقلتاها إلى داخل المسكن الكبير الذي وقفت امامه السيارة "اللاندروفر". هل كان السبب في ذلك يرجع إلى المخدرات التي تعاطتها ام كان نيجة للتوتر الشديد الذي لاتزال تشعر به ؟

لم تكن تستطيع ان تتبين ذلك ولكن كل ما كانت تحس به في هذه الدقائق انها غارقة في العدم المحتوم . وفي ثوان استغرقت في نوم عميق ولم يكن بمقدور اي إنسان ان يوقظها هذه المرة ودغدغ جفنيها شعاع الشمس الذي كان يمر خلال فتحات الشباك الخشبي . كانت "فيكتوريا" ممددة في منتصف سرير عريض في غرفة غريبة عليها. ومن اول وهلة اعجبت الشابة بمنظر الغرفة بمقاييسها المتناسقة وبجدرانها المدهونة باللون الأبيض وبدعامتها الظاهرة في السقف وباثاثها المصنوع طبقا لطريقة سكان المناطق الجبلية . اين هي الآن؟

رجعت إليها ذاكرتها عندما لمحت الرجل الذي خرج من الظل واخذ يتوجه إليها وكان يسبب لها تاثيرا غير عادي . وفاجاها "جيل لاروك" بصوت خشن غير واضح اثار فيها نوعا من القلق لم تحاول إخفاءه .

- " اخيراً استيقظت ! كنت اكاد اشعر باليأس من ذلك " .

منذ متى وهي تنام ؟ منذ ساعة او منذ يوم او منذ اسبوع ؟ كانت الشابة توشك ان تفقد كل إحساس لها بالوقت . وهذا الرجل منذ متى وهو ينتظر في هذه الغرفة ليوقظها ؟هل كان يعمل على حراستها طوال هذا الوقت خوفا من ان تهرب ؟ .

استيقظت "فيكتوريا" هذه المرة وقد سيطرت بطريقة كاملة على كل ملكاتها . اخيرا كان تاثير المخدرات قد تلاشى تماما . لو ان هذا

السيد الإقطاعي يعتقد ان في استطاعته اعتقالها لأجل غير معلوم فإنه ولاشك يغالط نفسه .

قالت الشابة بصلابة وهي تجلس على السرير :

- " إنني الآن احسن حالا واريد ان ارحل من هنا " .

- " لن تغادري هذا المكان إلا إذا وجدنا شركاءك في الجريمة ، واستطعنا توضيح كل شيء . إنني مسؤول عن جميع السكان الذين يقيمون في هذا الوادي ولن اترك اي إنسان يسطو على ما يتمتعون به من اشياء قليلة بلا عقاب".

- " في اي قرن تعتقد انك تعيش ياسيد "لاروك" ؟ هل عزلتك جبالك عن بقية العالم ؟

نحن لا نعيش في القرون الوسطى . ولكننا الآن في القرن العشرين . وقد اندثر عهد فيه هناك اسياد وعبيد . ولا تستطيع ان تستبقي اي إنسان دون رضاه في هذه الأيام . وإلا امسكت بك يد العدالة . خذني إلى اقرب قنصلية بريطانية حتى احصل على بطاقة شخصية مؤقتة وعلى بعض النقود التي تكفيني للرجوع إلى بلادي . وعند وصولي إلى "لندن" سوف ابعث إليك بصك مصرفي بالمبلغ الذي سددته للسيدة "رينو" بدلا مني . ثق بي فإنني اعطيك كلمتي" .

- " كلمتك ! وهل تصلح كلمة إنسانة تتعاطى المخدرات وتقترف جريمة سرقة؟

ولاتنسي إطلاقا انك تحت مراقبتي على الأقل حتى تثبتي عكس ذلك.

كيف يتسنى لها ان تثبت له صدقها ؟ كيف تؤكد له انها كانت سائجة إلى الحد الذي وثقت فيه فعلا وبطريقة كاملة بهؤلاء الشبان . ولم تكن تعرف عنهم اكثر من كونهم رفقاء طريق ؟ لم يشعروا مطلقا باي وخز في ضمائرهم وعلى الخصوص "مايك" وعملوا جميعا على تضليلها عندما دفعوها إلى الارتياح لصداقتهم البريئة البعيدة عن كل مارب .

كان "مايك" مغريا إلى حد كبير يعمل على تملقها ومداهنتها . كان لطيف الأخلاق بش الوجه يعتني بها ايضا كل العناية . وكانت هي بالتاكيد ضحية سهلة خصوصاً وانها كانت في حاجة ماسة إلى

وجود رجل إلى جانبها بعد الصدمة التي سببها هجر "ديفيد" لها .

وبينما كانت "فيكتوريا" تبحث جاهدة عن رد مناسب سمعت شخصا مايطرق الباب ودخلت فتاة جميلة صغيرة السن مرتدية زيا خاصا أبيض اللون مطرزة حواشيه بالدانتيل وكانت تحمل على ذراعيها بعض الملابس .

وتقدمت نحوهما في استحياء ونظرت إلى "فيكتوريا" وكانها حيوان يحب الاطلاع على كل شيء بنظرات مترددة .

توجه إليها "جيل لاروك" وكلمها بلهجة الضاحية التي يعيشون فيها والتي كانت غريبة على "فيكتوريا" ولم يتسن لها فهمها على الإطلاق ووضعت الفتاة الصغيرة الملابس على السرير . وقبل أن تغادر المكان ابتسم لها الرجل ابتسامة اضاءت وجهه الصارم لحظة . كانت هذه الابتسامة كافية لأن تضيف إليه جانبية لا تقاوم . كم كانت "فيكتوريا" تتمنى مثل هذه الابتسامة .كانت مستعدة للتضحية باي شيء كي تحظى منه بمثلها " .

لكن لسوء حظها لاحظت أن الرجل عندما استدار ليوجه إليها بعض الكلام كانت ابتسامته قد اختفت تماما :

قال لها الرجل بصوت عنيف :

- هذه الملابس لك . كانت في الأصل ملابس أخت "مونيك" التي لقيت حتفها في حادث سيارة منذ بضعة أشهر . اعتقد انها كانت تقريبا في مثل حجم جسمك " .

حاولت "فيكتوريا" أن تقول له وهي تشعر بتاثر عميق :

- " بلغ امتناني إلى "مونيك" .

- " إنك لا تستحقين نهائيا ان يعمل اهالي هذه الناحية على رعايتك إلى هذا الحد. ولكننا لا نستطيع أن نسمح لك بالبقاء مرتدية قميص النوم هذا إلى الأبد مهما كان جذابا !

ومرة أخرى ودون أن يشعر باي خجل سمح لنظراته أن تجول في كل مكان وان تقف على كتفيها اللتين كانتا عاريتين من حمالتي قميص النوم اللتين كانتا تحملان اللباس الرقيق . كانت نظراته تبدو كانها تعبث في جسمها . واحست "فيكتوريا" فجاة كان قلبها اخذ ينبض

المحروسة

بطريقة غير منتظمة واخذت دماؤها تتدفق إلى وجنتيها داهمها شك غدار. وبغريزتها الطبيعية وضعت الشابة الغطاء على جسمها حتى ذقنها .

قال الرجل ساخرا :

- " يجب أن اتركك بكل اسف . هناك عمل مايتطلب وجودي . ولكننا سنتابع هذا الحديث المهم بعد عودتي وبما انك ستكونين في انتظار عودتي حاولي أن تعتني بنفسك .

إنك لتشبهين حيوان المرموط القارض الذي يخرج من جحره في أخر فصل الشتاء " .

وقبل حتى أن يكون هناك وقت لترد الشابة على كلامه كان الرجل قدخرج من الغرفة .

اخذت "فيكتوريا" تفكر وهي تتجه إلى الحمام يجب أن اجد طريقة للهروب من هنا . انتفضت وهي تشاهد منظرها في المراه " حيوان المرموط القارض الذي يخرج من جحره في أخر فصل الشتاء "

كان هذا هو كلام الرجل بنفس النص . كانت في الواقع اكثر شناعة من الوصف الذي وصفها به . كان شعرها المائل إلى الحمرة ينسدل على وجهها من الجانبين وهو يلمع بشدة وبرشاقة ، كانت وجنتاها ممتقعتين وكانت عيناها خضراوين كالزمرد ولكن كان ينقصهما اللمعان ، تحيط بهما دائرتان سوداوان. كانت في حاجة إلى حمام .. إلى حمام طويل وساخن ...

اشتدت دهشة الشابة وقد لاحظت أن كل شيء كان قد اعد ترتيبه وان ليس ثمة شيء قد نسي . الصابون ذو الرائحة الذكية الرقيقة و زجاجة الشامبو ومعجون الأسنان وفرشاة الأسنان وفرشاة الشعر من ياترى فكر في كل هذه التفاصيل الدقيقة ؟ ولكنها مهمة بالنسبة لراحة ورفاهية سيدة

السيد"لاروك" بالتاكيد يجب أن تكون له زوجة ! إن هذا الرجل المكروه من أجل الكبرياء التي تتملكه كان ولاشك له جاذبية معينة استطاع بفضلها أن يوقع في شراكه سيدة ما تليق به . كانت "فيكتوريا" لا تستطيع إنكار هذه الجاذبية التي يتمتع بها الرجل على الرغم من

كبريائه الشديدة .

اخذت الشابة تؤكد لنفسها كما لو ان موضوع جانبية هذا السجان يسبب لها خطرا إضافيا اكتشفته فجاة :

- " يجب ان اترك هذا المكان وبسرعة " .

وبعد لحظات كان شعرها قد تم غسله وتجفيفه وكان جسمها قد انتعش وظهرت عليه نضرته بعد الحمام واختارت "فيكتوريا" قميصا على شكل "تي - شيرت" ابيض اللون وتنورة سوداء اللون من بين الملابس التي كانت قد تركتها "مونيك" وانتعلت صندلا في قدميها ليكتمل بذلك طاقم لباسها . على ان الصندل كان اكبر قليلامن حجم رجليها . وعلى كل حال لم يكن لديها اي مجال للاختيار وعندما انتهت من ارتداء ملابسها سمعت شخصاً يطرق بابها .

اعتقدت "فيكتوريا" ان قلبها سوف يقف عن النبض . هل عاد من مهمته ؟

قالت له وهي تشعر بخوف شديد : "ادخل" .

دخلت شابة اخرى . ومن الواضح ان "جيل لاروك" كان في خدمته مجموعة كبيرة من الشابات على نفس القدر من الجمال مثل "مونيك" وكن يرتدين نفس الزي الابيض . دخلت الشابة وهي تحمل صينية مملوءة بالماكولات .

وقالت الشابة لـ "فيكتوريا" بلهجة قروية جميلة الإيقاع :

- "سيدي يريد ان تاكلي" .

"سيدي يريد" ... ولكنه كيف كان ينظر إليها ؟

كواحدة ضمن خادماته الصغيرات يشعر بالسعادة لانهن يحطن به ؟

وكانت الرائحة الطيبة التي تنبعث من الأطباق المعدة على الصينية تذكرها بشدة جوعها . كانت معدتها تصرخ من قسوة الجوع منذ متى لم تكن قد تناولت شيئا ؟

كانت "فيكتوريا" تجهل تحديد ذلك بالضبط . كان اصدقاء الرحلة قد سرقوا ايضا ساعتها المصنوعة من الذهب الخالص التي كانت تحملها في معصمها قد اهداها إليها "ديفيد" .

قالت "فيكتوريا" للشابة التي كانت تستعد لمغادرة الغرفة :

- " إنني اشكرك ياسيدة "لاروك" لانك قمت بإعارتي ما يلزمني من ادوات التجميل " .

نظرت إليها الشابة وعلى وجهها علامات دهشة وقالت لـ "فيكتوريا"

- " لا وجود على الإطلاق لمن تدعى سيدة "لاروك" سيدي نفسه هو الذي امر بان نوفر لك كل ادوات التجميل التي تحتاجين إليها .

ووقفت "فيكتوريا" بعض الوقت دون حركة. بينما كانت نظراتها مركزة نحو باب الحجرة وهو يوشك ان يغلق . وهكذا لا وجود للسيدة "لاروك" . لم يكن هذا الرجل إذن متزوجا . وهذا هو السبب الذي يدفع الرجل إلى ان تلتف حوله وتحيط به كل هذه المجموعة من الخادمات الشابات الجميلات،دون ان تضيع وقتا اطول في إعمال عقلها حول هذا الموضوع ، انكبت " فيكتوريا" على الطعام تلتهم ما قدم إليها . كان عليها ان تستعيد قوتها وتجدد نشاطها حتى تكون جاهزة عندما تقرر مغادرة هذا السجن في اسرع وقت ممكن .

اخذت "فيكتوريا" تلتهم بنهم شديد كعكة مصنوعة من نبات الريحان، وكانت تحاول ان تبتعد عن السؤال الذي كان يلح عليها بطريقة فيها نوع من الغدر ويخترق كيانها :

- " ممن كانت تريد الهرب في اسرع وقت .. من السجن ام من السجان ؟ .. ولماذا ؟

وبعد ان تناولت طعامها واحست بانها استردت قوتها اقتربت "فيكتوريا" من الشباك وفتحت مصراعيه لتدرس كل الاحتمالات إذا ما كان هناك منفذ او طريقة لاحتمال الهروب . ولكنها فجاة وجدت نفسها وقد اخذت بجمال القرية التي كانت تمتد امامها وكفت بسرعة عن التفكير في هذا السؤال . وكانت الشمس تختفي في هذه اللحظات ذاتها خلف الجبل . وكانت تضيء كبد السماء ببريقها الوهاج .

وفي هذا الأفق المضاء بلون الدم كانت جبال "البيرينيه" ترتفع بقممها الفولاذية مؤكدة بانها جبال قاسية ومتسلطة وساحقة .

وبعد ذلك كانت تنتشر على هذه الصخور القاسية المراعي التي تمتد وكانها بحور مترامية الأطراف من الحشائش الخضراء الفضة ، تنبت وسطها الأزهار متعددة الألوان . وكانت تتحرك ببطء خلال هذه

المساحات الشاسعة من الخضرة قطعان صغيرة من الخراف . كانت هذه الخراف هي المصدر الرئيسي لهذا النوع من الصوف المسمي بصوف جبال "البيرينيه" الذي أعطت جودته سمعة طيبة لهذه المنطقة.

ورغم المسافة البعيدة كانت "فيكتوريا" تسمع صدى ماماة هذه القطعان من الخراف وصدى نباح الكلاب التي كانت تحاول بنباحها ان تعيد اي خروف ضال إلى قطيعه . وقد سبب لها منظر هذه الخراف وهذه المراعي الخضراء إحساساً بالراحة الشديدة .

كانت املاك "جيل لاروك" سيد هذا المكان كما كان يحلو له ان يعرف نفسه مشيدة على قمة هذا الجبل بحيث كانت تشرف على كل الوادي وكانها تحرسه وتسهر عليه . كان في إمكان "فيكتوريا" ان تلمح من هذا البرج العالي القرية امامها والفندق المدهون باللون الابيض الذي تمتلكه السيدة "رينو" والمنازل المحيطة بالميدان .

كان اخر شعاع للشمس على اهبة الافول في السماء . وكان الظلام قد بدا يرخي سدوله ببطء على كل انحاء الجبل وكان غطاء من الضباب البنفسجي يمتد على المراعي التي تنمو على المنحدرات . وفي الأسفل كان هناك الوادي يحمي بين احضانه القرية حيث بدات تظهر الانوار الأولى من الشبابيك . كان هذا المنظر المخيف والمؤثر والساحر في نفس الوقت يقطع عليها انفاسها .

تذكرت "فيكتوريا" في هذه اللحظات وكانت حالة من التاثر تختمر في اعماقها ان "جيل لاروك" كان قد عمل على تدليك قدميها بيديه القويتين ونتيجة لهذا العمل سرى الدفء إليهما بكل ما حمله معه من عذوبة .

كان هذا الرجل بالتاكيد صورة من هذه القرية القابعة عند سفح جبل "البيرينيه" . كان خليطا رائعا وعجيبا من القوة والرقة .

واخيرا تمكنت "فيكتوريا" من ان تتخلص من تاملاتها بعد ان استجمعت كل ما كان لديها من جهد .

الهروب . كان عليهاان تهرب . ان تهرب بعيدا عن هذا المنزل .. عن هذا الوداي . ان تهرب قبل ان يعود .

وبكل هدوء قامت "فيكتوريا" تفتح باب الغرفة . لم تلحظ وجود اي شخص . كان المنزل يبدو فارغا لا يسكنه اي مخلوق . ونزلت السلم

تتقافز كل اربع درجات في قفزة . وكانت درجات السلم يكسوها سجاد كثيف مصنوع من الصوف فكانت أصوات خطواتها تضيع في هذا السجاد . ولم تلتق باي إنسان.

وعندما وصلت امام باب المنزل المصنوع من الخشب الصلب كان هذا الباب يشكل بالنسبة لها اخر مانع يحول بينها وبين الحرية - اكدت "فيكتوريا" لنفسها ان كل الخطوات التي قامت بها حتى تصل إلى هنا ، كانت في غاية السهولة، ولكن هذا الباب ولاشك يجب ان يكون مغلقا بالمفتاح . ولكن لدهشتها الكبيرة فتح هذا الباب دون ان يصدر منه اي صوت . كانت محاوره مدهونة بالزيت بعناية .

حرة .. اصبحت "فيكتوريا" اخيرا حرة !

إن "فيكتوريا" ترى الآن ان كل رعبها السابق لم يكن سوى وهم . كان "جيل لاروك" يشبه في ذلك الكاتب الإيطالي "مكيافيللي - قد لعب دوره بمهارة وبث في نفسها الرعب عندما هددها بانه سيحتفظ بها سجينة بينما في واقع الأمر لم تكن له المقدرة على عمل ذلك .

إنها كلمات .. كل هذا لم يكن سوى كلمات ! ربما اعتقد انه بذلك قد أرهبها بالقدر الذي يمكن به منعها من الخروج من المنزل ؟ كانت "فيكتوريا" مستعدة لأن تضحي بكل غال لديها لكي ترى تعبيرات وجهه عندما يعود ويرى الغرفة فارغة .

كانت الشمس قد اختفت نهائيا وراء الجبل .ومع ذلك كان هناك وقت طويل إلى ان يحل الظلام . كانت هذه الأحداث تقع في شهر يونيو وفي هذا الشهر تكون فيه ساعات النهار طويلة جدا . كان على "فيكتوريا" ان تصل باسرع وقت ممكن إلى الشارع الكبير الذي يخترق القرية ومن هناك كانت ستحاول ان توقف سيارة وترجو سائقها ان يصطحبها إلى مدينة "تولوز" حيث ستطلب مساعدة القنصلية البريطانية .

واخذت الشابة تسيربخطى خفيفة وسريعة "بعد ان انتهى تاثير المسكنات تماما" في الطريق الذي كان يمتد بمحاذاة سفح الجبل . واخذت حذرها لكي تسير في الجانب الآخر المعاكس حيث تكون بعيدة عن موقع الجرف كانت "فيكتوريا" تبعد نظراتها عن هذا الفراغ المخيف الذي كان يبدو وكانه يبغي ابتلاعها .

وبعد نصف الساعة كانت تدخل القرية التي كانت في حالة فراغ كامل لأن المساء كان قد حل وكانت جميع النوافذ مغلقة . كانت هذه الساعة هي ميعاد تجمع كل افراد الأسرة حول مائدة العشاء . وعلى الرغم من حالة التاكد التي كانت تظهر على "فيكتوريا" فهي في الحقيقة كانت تشعر بقلق عجيب . كان كل شيء قد مضى بطريقة سهلة . كان هذا لايتناسب إطلاقا مع ما عرفته عن طباع سيد المكان . كانت تشعر بالخوف من هذه القرية . الم يكن قد اكد لها "جيل لاروك" انها ملك له ؟

الم تلاحظ الشابة نفسها هذا الصباح مدى الاحترام الذي كان يسلم به القرويون عليه ؟

الم يكن هو بالذات الذي استدعته السيدة "رينو" عندما اكتشفت عملية السرقة التي كانت هي ضحيتها ؟

وبعد ان كتمت الشابة انفاسها اخذت تعبر ميدان القرية دون ان تتوقف . كانت تمشي على اطراف قدميها لكي لا تثير اي إزعاج على الإطلاق وبما ان احداً لم يلحظ وجودها ، اخذت تسرع في مشيتها كانت القرية خلفها الآن كانت قد نجت !

وكانت الشابة تقول لنفسها :

- " اريد سيارة ياإلهي ... اسمح بمرور سيارة من هذا المكان لكي تاخذني معها إلى مكان بعيد عن هنا !

ولكن كل شيء من حولها كان ساكنا . وكان الوادي كله قد اخلى فجاة من جميع سكانه . وكان الشيء الوحيد الذي تدب فيه الحياة في هذه القرية هو قطيع من الجاموس كان يرعى بهدوء في احد المروج الذي كان يقع عند اخر بيت في القرية . وعند مرور "فيكتوريا" ادارت إحدى البهائم راسها نحوها وكانت نظراتها غير معبرة عن اي شيء إطلاقا . كانت "فيكتوريا"سعيدة بان التقت بكائن لا يظهر لها اي معاداة وارادت الشابة ان توجه إليها إشارة صداقة ولكنها فجاة تجمدت في مكانها . كان هناك رجلان يستندان إلى الحاجز الأبيض الذي يوضح حدود الملكية . كانا ينظران إليها بوجه غير معبر كالحيوان الذي راته منذ دقائق . ودون ان يبديا اية حركة او يقولا اية كلمة كانت "فيكتوريا" قد فهمت في الحال اي تهديد كانا يمثلانه لها .

وشعرت بحالة من الرعب تسرى في عمودها الفقاري .

كان رجال "جيل لاروك" في انتظارها . كان "جيل" قد اكتفى بإيداع بعض رجاله في كل منفذ يمكن الخروج منه من القرية . ولم تكن كثيرة هذه المنافذ بالنسبة لهذه القرية الصغيرة . لم يكن إذن كل شيء سوى لعبة ... لعبة قاسية ووحشية .. مثل لعبة القط مع الفئران .. كان الرجل قد تجاهلها حتى تركت المنزل واجتازت القرية لتعتقد انها اصبحت في آخر الامر حرة . وهنا وضع نهاية لهذه اللعبة .

كانت حلقات الشبكة تضيق حول "فيكتوريا" وكان راسها هو اول راس يقع في المصيدة التي نصبوها لها .

واخذت الشابة تسير في طريقها وذقنها مرتفع وخطواتها ثابتة . لن تترك نفسها فريسة للانفعال !

ولكنها عندما وصلت إلى مستوى ارتفاع الرجلين ترك الرجلان الحاجز وبدا ينظران إليها .

- " إن السيد "لاروك" يخاف عليك من ان تضلي طريقك ياانسة . وإذا كانت لك رغبة في الذهاب إلى مكان ابعد من ذلك فإنك تستطيعين ان تقولي ذلك بلغة إنجليزية صحيحة لأي منا. فهناك بعض الأشخاص الخطرين يتجولون في المنطقة ويسرقون الجماهير الشرفاء . اسمحي لنا بان نقوم بمصاحبتك إلى القرية " .

رضخت "فيكتوريا" لهذا الكلام ودارت حول نفسها نصف دورة . ماذا كانت تستطيع عمله اكثر من ذلك ؟

كان كل السكان داخل منازلهم دون ادنى شك ولكن لم تكن لديها طريقة لتقاوم الحمل الثقيل الذي كان يضغط عليها .

وحتى هذه اللحظة كان "جيل لاروك" هو الاقوى .

وبصعوبة اخذت "فيكتوريا" تخطو في اتجاه القرية بينما كانت تسير خلفهم سيارة ثم ادخلاها فيها ووقفا في الناحية السفلى من الطريق .

سمع صوت باب السيارة وارتفعت اصوات خطوات على الأسفلت ووجدت "فيكتوريا" نفسها امام رجل كانت نظراته غاضبة .

لم يكن قد مر وقت طويل قبل ان تجد الشابة نفسها وجها لوجه مع "جيل لاروك" .

الفصل الثالث

كان يخيم على المجموعة الصغيرة سكون عميق . كان "جيل لاروك" يمارس بطريقة واضحة كل انواع الجاذبية . وعندما رفعت "فيكتوريا" عينيها إليه تقابلت نظراتهما. ومرة اخرى شعرت الشابة بان صدمة كهربية قد اصابتها. وكانت عيناه السوداوان العميقتان اللتان لاتخلدان ابدا إلى الراحة تخيفانها. وبما انها كانت عاجزة تماما عن الهروب بفعل سيطرتهما على كيانها كانت واقفة امامه وهي في حالة انعدام الحركة وقد فقدت قدرتها على الكلام وكانها قد نومت مغناطيسيا .

قال "جيل لاروك" متوجها إلى الرجلين :

- " اشكركما يا "لويس" ويا "البير" . لقد قمتما بعمل طيب . تستطيعان الآن ان تنصرفا لقد اصبحت الآنسة "سامرز" من الآن في رعايتي . لن تتمكن إطلاقا بعد الآن من الشرود !

رد الرجلان وهما ينحيان للسيد :

- " في خدمتك ياسيد "لاروك" .

وعندما توارى الرجلان وضع الرجل يده بثقة تامة على ذراع الشابة التي لم تقاوم نهائيا وتركته ياخذها إلى السيارة وكانها تتحرك اليا .

سارت بهما السيارة بعض الوقت دون ان يتبادلا اية كلمة مطلقا ولكن بعد ذلك قال لها دون ان يترك الطريق الذي كان يمتد امام عينيه :

- " ارجو ان يكون هذا درساً لك . لقد سبق انذرتك باننني ساجدك مهما كانت الوجهة التي تقصدين إليها . ربما تعتقدين ان في بإمكانك الانضمام إلى شركائك ؟

وهم في الواقع لن يخسروا اي شيء عندما ينتظرونك ولكنني وراءهم اقتفي اثرهم . وصدقيني باننني لن اتركهم إلا بعد ان اجعلهم يردون كل ما سرقوه حتى آخر بنس .

كانت "فيكتوريا" تردد في داخلها :

- " ارجو ان يحقق الله امنيتك ! الم تكن هي ايضا واحدة من ضحاياهم ؟

كانت الشابة تتمنى شيئا واحدا : ان يلقوا القبض عليهم باسرع ما يمكن ! وهكذا سيتسنى لها استرجاع حاجاتها المسروقة وإرجاع السيارة المؤجرة والسفر إلى مكان بعيد - بعيد جدا عنه .

ولكن الشابة لم تنطق باي شيء ماذا تقول له ، إنه لاشك لن يستمع إليها نهائيا . واكتفت بان تهز كتفيها وان تتشبث بباب السيارة عندما كانت السيارة تتسلق الطريق الذي يمتد عند سفح الجبل . ولكن هذه المرة اتبع اسلوبا مغايرا عن الاسلوب السابق ، كان اسلوبه الجديد كله رقة .وعندما توقفت السيارة امام املاك السيد، فتحت "فيكتوريا" عينيها في حالة ذهول من الاوضاع الجديدة التي تشاهدها الآن . ونظرت إليه بشيء من المواربة لاشك ان الرجل عازم على إجبارها على دفع ثمن هروبها بطريقة اخرى . واحست الشابة بان جسمها كله ينتفض بشدة عندما حاولت ان تتنبا اي طريقة اختار تنفيذها واحست بشيء يدفعها في نفس الوقت الذي كانت فيه السيارة تقترب من مكان الوصول وكان الرجل قداوشك ان ينزل فاستدارت الشابة نحوه ووضعت يدها على ذراعه وقالت له :

- " ارجو ان تستمع إلى ياسيد لاروك" . هذه اللعبة التي تؤديها هي في الحقيقة لعبة حمقاء يجب عليك ان تتركني ارحل . إنني لست في هذا المكان بقصد قضاء إجازة . ولكنني اعمل لاكسب ما يساعدني على العيش . يجب علي ان اعود إلى "لندن" .

ومرت لحظة كان الرجل يبدو عليه التردد ولم تستمر هذه الحالة اكثر من دقيقة واحدة فقط لان الرجل اجاب بعد ذلك بسرعة وبعنف :

- " لا داعي للإصرار على هذا الموضوع ياانسة "سامرز" . لقد دخلت انت واصدقاؤك في ممتلكاتي واقترفتم خطا فادحا في حق السيدة "رينو" باعتدائكم على إيراد الفندق . إنني لا اقبل إطلاقا مثل هذه الامور - ارجو ان تسمعيني جيدا - إنني لا اقبل إطلاقا ان تتعاطى الشابات المخدرات . وتتجول في هذه المنطقة بحرية ... وحتى يثبت عكس ذلك فإنك بالنسبة لي شابة تتعاطى المخدرات .

ولذلك لا تستطيعين نهائيا دفعي للاعتقاد بانك لم تكوني

مخدرة عندما وجدتك ؟

- " ولكنهم هم الذين ... "

- " ماذا تقصدين بكلمة "هم" ؟ هل تقصدين بهم أصدقاءك ؟ إذا كان ذلك هو قصدك فنعم !

مع من كان وصولك إلى الفندق ؟ مع من تناولت وجبة العشاء ؟ لقد قمت بعمل استقصاءات في هذا الصدد ...

اتتصورين ذلك ؟ وكذلك علمت بانكم لم تنفصلوا عن بعضكم خلال أسبوع بالكامل " .

طاطات "فيكتوريا" راسها وهي تحس بارتباك .

- " لم أكن أعرفهم ... "

- " من الصعب تصديق ذلك ... الا تتفقين معي في هذا الكلام ؟ ولذلك .. إلى ان تتضح لي معالم هذه القصة وضوحاً كاملا . وإلى أن يدفع المتهمون في هذه القضية - اقصد بذلك جميع المتهمين - نظير ما اقترفوه من مخالفات ... سوف تظلين تحت تصرفي " .

- " ولكن ماذا تعتقد انك تستطيع ان تفعل بي ؟

استدار الرجل ناحيتها وسبب لها الشعاع المنبعث من حدقتيه الغاضبتين رعشة عنيفة . ودون ان يشعر الرجل باي إحراج اخذ ينظر إليها من راسها حتى إخمص قدميها :

كان ينظر إلى جدائل شعرها المنسدلة على كتفيها وعلى صدرها الرائع الذي كان متروكا حرا دون اية عوائق سوى القميص (الـ تي شيرت) . ونظر ايضا إلى فخذيها الطويلتين اللتين كانت تكسبهما جمالا هذه التنورة الرقيقة الجذابة .

- " ماذا استطيع ان افعل بك بناء على رغبتك ؟ كيف ساسترد اتعابي نظير كل هذه الاضطرابات التي تسببينها لي ؟ هل تعلمين انك لم تعودي تشبهين حيوان المرموط عندما يخرج من جحره بعد مرور فصل الشتاء ؟

هل تدركين انك جميلة جدا يا "فيكتوريا" ؟

فيكتوريا .. ! كان الرجل قد ناداها باسمها "فيكتوريا" ! لم يكن اي إنسان قبله قد ناداها باسمها الشخصي بمثل هذا الإحساس

الشهواني . وبينما كان يتكلم مد يده إلى إحدى ضفائر شعرها واخذ يلعب بها بعض الوقت بمنتهى الرقة قبل ان يدفعها ببطء إلى الخلف وفي خلال ثوان كانت اصابعه تعبث في حلمة اذنها مما اشاع في كل جسمها شعوراً باللذة .

اغلقت "فيكتوريا" عينيها واخذت تتنهد بعمق وكانت توشك ان تترك جسمها بالكامل لهذه اللحظة التي شعرت فيها بلذة غير عادية تتملكها كيف يتاتى لهذا الرجل الذي كان قبل دقائق قليلة عنيفا في معاملته لايتهاون في حقه يستطيع ان يحمل هذا الإحساس الشهواني وهذه الرقة إلى هذا الحد ؟

لعبة ! كانت هذه لعبة ! فتحت الشابة عينيها وتقابلت مع نظراته .. التي كانت تبدو ساخرة . كان هو القط وكانت هي الفار . كانت هذه لعبة قاسية .. لعبة مكيافيللية . كان الرجل يعرف جيدا قدراته . وكانت الشابة هي هدفه امسكت الشابة بيده والقت بها بعيدا بكل عنف وقد امتقع وجهها من شدة الغضب .

صاحت فيه قبل ان تفتح باب السيارة وتهرب منها بكل ماتستطيعه من سرعة إلى غرفتها " إنك إنسان سافل " .

دخلت "فيكتوريا" غرفتها وكانت فخذاها ترتعشان . واستندت إلى باب الغرفة وهي تحاول ان تضغط بكلتا يديها تنهدات قلبها غير المنضبطة .كيف استطاعت ان تترك نفسها هكذا ؟ لا شك في ان هذه الحركة كانت احسن رد على تجرئه ومحاولته مداعبتها. ولو اعتقد انها واحدة من السيدات التي تقدم نفسها لأول من ياتي لمعاكستها. لكان ولاشك مخطئاً جدا .

ورغم ذلك اخذت "فيكتوريا" تجول بخيالها لحظات قليلة من الوقت . ولم تستطع ان تمنع "جيل لاروك" من دخول غرفتها. ومن ان يسحبها بالقوة إلى السرير . وبان يلقيها على الفراش وبان ينزع عنها ملابسها وبان يبدا في مداهنتها وتدليكها و ...

سمعت طرقات على باب .

صاحت الشابة وهي ترجع إلى الخلف داخل غرفتها :

- " انهبوا عني .. اتركوني في هدوء " .

ولكن "مونيكا" وهي في حالة خجل فتحت الباب قليلا .

- " يقول لك سيدي إن وجبة العشاء سوف تكون جاهزة خلال دقائق . يريد ان تنزلي حالاً . "

- " إذن قولي لسيدك إنني متعبة ، وإنني لست جوعانة ، وإنني لن انزل "

اغلقت "مونيك" الباب وهي في حالة دهشة من رد "فيكتوريا" لانها لم تكن معتادة ان تناقش او تخالف تعليمات سيدها .

وعندما اغلق بابها ارتمت "فيكتوريا" على سريرها محاولة طرد كل الأفكار المفزعة التي كانت قد سيطرت على نفسها .

حاولت ان تخفي وجهها في مخدة السرير لانها احست بانها توشك ان تجهش وتبكي . ومع ذلك كانت صورة "جيل لاروك" لاتزال امامها هناك تنبض بالحياة . كان هذا الرجل في منتهى الرجولة . كان احيانا قويا يتمتع بقدرة عظيمة .... غير مفرط في حقوقه . ومن ناحية اخرى كان في منتهى الرقة والعذوبة والإحساس العاطفي لاشك في انه رجل عاشق له باع كبير في هذا المجال يختلف كل الاختلاف عن "ديفيد" كانت "فيكتوريا" تسترجع شريط هذه الذكريات وكانها تحلم بكل ذلك .

لا ... كان عليها ان تنسى "ديفيد" ... كان عليها الا تفكر فيه وفي الإهانات التي تحملتها بسببه . كان عليها ان تنام الآن ... وأن تنسى.

وفي صباح اليوم التالي ، بعد ان انتهت من اخذ حمامها وبعد ان اخذت قسطا وفيرا من الراحة ونامت نوما عميقا . لم تحس بان هناك من حاول فتح باب غرفتها ووجدت "فيكتوريا" صينية عليها فطورها موضوعة على المنضدة الصغيرة بجانب السرير . واخذت تتناول قطعة من الخبز الطازج المدهون بالزبد حسب طلبها .

كانت الشابة بالفعل تدب بجنون الخبز الفرنسي الجاف الهش الذي يختلف كل الاختلاف عن الخبز الذي ياكله الإنجليز في فطورهم. وعندما فتحت باب غرفتها لتنادي "مونيك" ، سمعت رنات الهاتف وهي ترن في صالة المنزل .

سمعت "فيكتوريا" صوت سيدة لم تكن تعرفها اخذت ترد على الهاتف بلهجة القرية . لاشك في ان الأمر كان من الاهمية لأن الشابة

سمعت خطوات سيد هذا المنزل السريعة تبعتها نداءات وهتافات شديدة إلى جانب صيحات تعجب قوية . "

واخيرا وضع سماعة الهاتف بعنف وصعد السلم كل اربع درجات في قفزة واحدة ، واخذ يدخل الغرف واوشك ان يصطدم بـ "فيكتوريا" ويطيح بصينية الفطور من بين يديها وهي واقفة هناك في حالة ذهول مما يحدث امامها .

قال الرجل للشابة دون مقدمات :

- " يا "فيكتوريا" يجب علي ان اغيب مدة يوم واحد . كنت اود ان آخذك معي ولكن هذا من المستحيل لأن ذلك سيكون خطرا عليك جدا . سوف اتركك في مسؤولية مديرة شؤون المنزل السيدة "ديفال" . عديني بان تتصرفي ببصيرة حسب متطلبات العقل السليم .

كان الرجل سيتغيب عن المنزل . كان سيبتعد مدة يوم واحد. وحاولت "فيكتوريا" ان تحكم سر ما كان يدور في داخلها بجهد كبير وقررت عدم إظهار الرغبة المجنونة التي اختمرت في نفسها .

كرر الرجل كلامه وهو يشعر بالقلق واخذ يهزها من كتفيها :

- " عديني بذلك يا "فيكتوريا" .

ماذا كان يطلب منها الرجل ؟

أن تغلب العقل في تصرفاتها ؟

بالتاكيد سوف تفعل ذلك .

- " إنني اعدك بذلك " .

- " إنني واثق في كلامك " .

- " اعطيك كلمتي بانني سوف اغلب عقلي في جميع تصرفاتي ".

الشيء الوحيد الذي كان يتمشى مع متطلبات العقل السليم هو الهروب من هنا في أول فرصة ! وجاءتها هذه الفرصة باسرع مما كانت تتوقع .

قال وهو يدقق في وجهها وكان حاجباه مقطبين :

- " ستكون السيدة "ديفال" تحت تصرفك . وقد ابلغتها تعليماتي بان تلبي كل رغباتك ... إلا ان تدعك ترحلين ! إذن إلى الملتقى في المساء " .

إلى أن نتقابل في المساء .

وفي المساء عند عودته سوف يكون القفص فارغا والعصفور قد طار... لن تتركه يلعب بها اكثر من ذلك .

وعندما اقتربت الشابة من الشباك وقد مرت بعض الدقائق لمحت السيارة اللاندروفر وهي تترك املاك الرجل . كان في صحبة "جيل لاروك" رجلان . ولمحت في لحظة لمعان بندقية موضوعة بجوار ركبة الرجل . كان راكبا بجانب سائق السيارة . وانتفضت الشابة . هل كان الغرض من هذه الرحلة غرضا تاديبيا ؟ واين كانت وجهة الرجل ؟

كان سكان المنطقة يميلون دائما إلى إقامة العدالة بانفسهم . الم تكتشف "فيكتوريا" هذه الحقيقة بمجهوداتها ؟

وعندما حاولت الشابة النزول بصينية فطورها التقت بسيدة كان لون شعرها رماديا وكانت ترتدي ملابس سوداء وعرفت نفسها لـ "فيكتوريا" بانها السيدة "ديفال" المسؤولة عن شؤون المنزل .

واكدت السيدة "ديفال" لـ "فيكتوريا" :

- " لقد سافر السيد "لاروك " إلى الحدود الإسبانية . سوف يغيب طوال اليوم . هل انت في حاجة إلى اي خدمة استطيع القيام بها من اجلك يا انسة "سامرز" ؟

اجابتها "فيكتوريا" :

- " بالتاكيد ... ارجوك إنني في حاجة إلى قلم وبعض الاوراق للكتابة :

لو كانت "فيكتوريا" تنوي الإقامة ساعات طويلة في هذا البيت فلماذا لا تعمل في الخطة التي حضرت خصيصا من اجلها في هذه المنطقة وتشمل هذه الخطة إجراء بحث حول شعوب الـ "كاثار" ؟

كانت "فيكتوريا" خلال الايام السابقة على عملية اختطافها قد جمعت بعض الملاحظات والمستندات ولكنها تركتها كلها في السيارة ومع ذلك كان من السهل عليها إعادة كتابتها مرة اخرى من ذاكرتها .

شعوب الكاثار! كان هذا الموضوع قد شد انتباهها منذ بداية ابحاثها . كانت هذه الشعوب تتبع مذهبا دينيا ظهرفي القرون الوسطى في هذه المنطقة من جنوب فرنسا ، ولكنه اختفى تماما في هذه الايام . كان المنتمي إلى عقيدة الـ"كاثار" في تلك الحقبة التي

ازدهرت فيها هذه العقيدة او بمعنى آخر كان على من يريد ان يصبح من اتباع هذه العقيدة من المخلصين ان يلتزم باهم مبادئها الا وهي ان يتخلي عن ملذات الجسد ، لانها من اعمال الشيطان . كانت "فيكتوريا" تهدف إلى تكوين عمل وثائقي مثير في خدمة الإذاعة البريطانية او على اقل تقدير ان تقدم هذا العمل إلى هيئة البرامج المهتمة بمثل هذه الموضوعات شريطة ان يتركها السيد الإقطاعي الذي كانت بين يديه الآن لتنهي هذا العمل ومع ذلك يبدو ان هذا الرجل لم يرث اي شيء من تعاليم عقيدة الـ "كاثار" .

وبينما كانت السيدة "ديفال" تبحث جاهدة عن كل ما طلبته منها "فيكتوريا" .. كان قلب الأخيرة . ينبض بقوة اكبر ورات خريطة ! كانت هناك خريطة للمنطقة معلقة على جدار الصالة . كانت عبارة عن نقش قديم محفور للمنطقة وتظهر في احد جوانب الخريطة صورة امراة ممتطية ظهر حمار تحاول تسلق انحدار الجبل وبما ان النساء الرشيقات في ذلك الوقت البعيد كن يتسلقن قمم هذا الجبل وهن يرتدين فساتينهن التي تصل إلى كواحل اقدامهن وكن يضعن قبعاتهن فوق رؤوسهن لماذا لا تفعل "فيكتوريا" مثلهن وهي تعيش في هذه الايام؟

كان موضحا على الخريطة بعناية شارع يرتفع تجاه فج يقع بين قمتين ينتهي بدوره إلي طريق يؤدي إلى قرية تقع في واد آخر ، كان هذا الطريق إذن هو الذي يوصلها إلى الحرية . كان كل ذلك موضحا على هذه الخريطة التي تقع الآن تحت بصرها والتي وضعها سجانها نفسه دون أن يختلج قلبه باي شك على الإطلاق .

سوف تعمل على اجتياز هذا الجبل . لاشك ان "جيل لاروك" كان متاكدا بانها لا تستطيع عمل ذلك وهي التي تخاف خوفا شديدا من الفراغ . هذا بالتاكيد ماسوف تقدم عليه في نفس اللحظة التي يتسنى لها الهروب من مراقبة حارستها الشرسة السيدة "ديفال" .

جلست "فيكتوريا" على احد المقاعد الطويلة الموضوعة بغرض الاسترخاء والتمدد في الشرفة الملاصقة بالمنزل من احد جوانبه .كانت هذه الشرفة تمثل مكانا ممتازا للمراقبة تواجه غابة من اشجار

الصنوبر . وكانت الشابة ترى من هذا المكان الشارع الموضح على الخريطة المعلقة على جدار الصالة الذي كان يوصل إلى طريق الحرية يقع على الجانب الآخر من الجبل .

كانت "فيكتوريا" قد وعدت "جيل لاروك" بانها سوف تكون ملتزمة بمبادئ العقل والمنطق . وسوف تعمل على مراعاة ذلك . وكان عقلها يملي عليها أن تهرب .. أن تهرب بعيدا .. بعيدا جدا من هنا .. بعيدا عن هذا المنزل وعن صاحبه .

وقد شعرت "فيكتوريا" بخطوات تنسحب بخفة وبطريقة سرية فتصل إلى الشرفة ثم تغادرها . حدث ذلك مرتين . كانت "فيكتوريا" منكبة على كتابتها ولم تبد أي اهتمام بهذه الخطوات ولم ترفع راسها.

ولكن عندما حدث ذلك للمرة الثالثة وسمعت نفس الخطوات وهي تقترب منها ثم تبتعد عنها . حينئذ وضعت "فيكتوريا" الأوراق التي كانت معها على المنضدة ووضعت غطاء قلم الحبر في مكانه المعتاد اخذت تجري نحو غابة أشجار الصنوبر بكل ما لديها من سرعة واختفت وراءها عن عيون سكان المنزل .

بعد قليل سوف تكون في الجانب الآخر من الجبل .

كانت "فيكتوريا" ولاشك في حالة طيش وهي تحاول المجازفة في تسلق الجبل ولا تنتعل سوى مجرد صندل .

وبعد ان سارت الشابة نحو الساعة انقطعت إحدى الوصلات التي تثبت الصندل في قدمها واضطرت "فيكتوريا" للاستعانة بغصن غض اقتلعته من إحدى الأشجار لتثبت الصندل في قدمها وتعالج هذه المشكلة التي واجهتها فجاة . ومع ذلك لم يستطع هذا الغصن الطبيعي القضاء على هذه المشكلة بالكامل فكان كاحل قدمها ينزلق من الصندل ورجلاها العاريتان تدميان بغزارة وتؤلمانها بسبب كثرة النبات الشائك الذي كان ينشب اشواكه فيها ورؤوس الصخور الحادة المسنونة التي كانت تمزق جلدها طول الطريق .

وعندما احست الشابة بانها منهكة القوى جلست على حجر مغطى بنبات الطحلب . كانت "فيكتوريا" تسير منذ قرابة ثلاث ساعات دون أن

تتوقف ولم يعد في إمكانها أن تسير أكثر من ذلك .

في بادئ الأمر اعتقدت أن عملية الهروب لن تتعدى قيامها بنزهة قصيرة تجد فيها بعض المتعة .

ففي الحقيقة كانت "فيكتوريا" تعشق رياضة المشي .كان الطريق يخترق الغابة المزروعة باشجار الصنوبر ويمتد تحت ظلال هذه الأشجار الباسقة فيسبب لها انتعاشا بفعل الهواء الرطب الذي كان يهب عليها فتشعر برقته ولكن منذ حوالي نصف الساعة بدأت تقل هذه الأشجار واخذ الطريق يتعثر في مساره بين كميات من الحجارة المنهارة . حينئذ شعرت الشابة بارتفاع درجة الحرارة ارتفاعا شديدا كان من المستحيل تحملها .

كانت "فيكتوريا" تمسح جبينها المغطى بالعرق وهي تردد :

إن اهم ما في الأمر ان استمر ثابتة الجاش والاّ تخور قواي .. إنني في حاجة إلى قليل من الراحة لاستعيد قواي إنني ولاشك غير بعيدة عن قمة الجبل.

وسوف اعبرها قريبا إلى الجهة الأخرى . سوف يكون النزول اسهل بكثير .

ولكنها عندما رفعت عينيها لم تر سوى حاجز ضخم من الحجارة يستحيل اجتيازه .اين إذن ذلك الفج الذي كان محفورا على الخريطة ؟ واين هو ياترى هذا الطريق الذي يؤدي إلى هذا الفج ؟ أيكون من المحتمل انها فقدت هذا الطريق ؟ لم يكن حولها سوى احجار واحجار إلى مالا نهاية . وكان يدي مارد قد كدستها هناك ليؤدي لعبة ضخمة من العاب البناء ...

ويكتمل سوء حظها ويصل إلى ذروته عندما لاحظت الشابة ان سحبا كثيفة سوداء اخذت تتراكم وتجتاح السماء مهددة بحدوث تقلبات جوية . فبعد هبوب حرارة شديدة في بداية بعد الظهر اصبح من المتوقع الآن انفجار عاصفة .كان يحلق فوقها تماما احد الطيور الجارحة التي تسعى خلف فريستها .

ووقفت "فيكتوريا" بعد أن اخذت قسطا من الراحة . لاشك في ان الطريق كان مستمرا في امتداده بعد هذه الحجارة المنهارة . سوف

تحاول جهدها للبحث عنه حتى تجده بل كان لزاما عليها ان تعثر على هذا الطريق .

سوف تستمر في تسلق هذا الجبل ولو تطلب الأمر منها ان تلجا إلى ركبتيها وإلى يديها وإلى أظفارها ...

وبعد مرور ساعة اخرى كانت والدموع تتساقط من عينيها تعترف بانها قد فقدت الطريق . كان كل شيء ميسرا وسهلا جدا عندما كانت تنظر إلى الخريطة المعلقة في صالة المنزل .

وصلت إلى مجرى ماء تناولت قليلا منه في تجويف يديها وشربته بشراهة شديدة . وعندما بللت يديها في الماء البارد شعرت بمدى الالم الذي يعتصرها والذي كانت تسببه لها كل هذه الجروح عند ملامستها لهذا الماء البارد . وغسلت كذلك ركبتيها وقدميها اللتين كانتا تغطيهما الدماء وكان الأمل يحدوها ان يتمكن صندلها من الصمود قليلا . ولكن اين كانت وجهتها ؟ هل كانت تعتزم ان تقضي ليلتها في هذا الجبل وتحت هذه العاصفة ؟ كانت "فيكتوريا" تشعر بان جسمها كله ينتفض بعنف عندما كانت تفكر في كل ذلك .

صاحت الشابة : - " النجدة " .

واعاد الجبل صدى صوتها وكانه يرد عليها " - " النجدة " .

بالتاكيد كان عليها ان تفعل ذلك . كان عليها ان تنادي . لاشك في ان شخصا ما سوف يسمع صوتها إذا سارت بجوار جدول المياه . فسوف تهبط الجبل كي تصل إلى غابة اشجار الصنوبر وهناك سوف يسمعها احد الحطابين . الا يوجد في الغابات بعض الحطابين بصفة مستمرة ؟

وبدات قطرات المطر تتساقط وعندما انقطعت وصلة الصندل الثاني.

صاحت "فيكتوريا" وقد جمعت كل قوتها : - " النجدة "

وصلت اخيرا إلى الغابة ! واحست السيدة براحة عندما وطئت قدماها البساط المصنوع من اشجار الصنوبر بالتاكيد لن ترضخ "فيكتوريا" للتجربة التي تزين لها النوم هنا ملء جفنيها يجب ان تمشي . كان لزاما عليها ان تستمر في السير .

- النجدة ! ..

وفجاة توقفت "فيكتوريا" . كان قلبها يدق بعنف . الم تسمع صوت محرك سيارة ؟ ربما كان هذا في مخيلتها فقط . لا كان صوت المحرك لا يزال مستمرا بل كان يصل إلى اذنيها اقوى مما كان عليه قبل الآن . لابد ان يكون هناك حطاب في نهاية الامر .

صاحت "فيكتوريا" بعد ان استطاعت ان تلملم كل ما كان لديها من قوة وان تجري صوب الصوت وان تضم قدميهافي الصندل حتى لا يسقط منها فتفقده . - " النجدة اخذ صوت المحرك يقترب ولمحت بسرعة كتلة سوداء تهتز بين الأشجار . لم يكن هذا الذي سمعته منشار حطاب بل كان صوت دراجة بخارية.

كان السائق قد لمحها . وكان بالفعل في طريقه إليها . كانت الشابة في واقع الأمر قد نجت نجت ؟ قطعا لا . كانت على عكس ذلك في طريقها إلى الهلاك التقت "فيكتوريا" بالرجل الذي جاء لمساعدتها . وكانه يطير راكبا على متن دراجته البخارية مثل احد فرسان العصر القديم ممتطيا ظهر فرسه المصنوع من المعدن . ومتوجها به إلى ساحة القتال ! كان كل تفكير "فيكتوريا" في هذه اللحظة وهي في حالة خوف شديد من منظر وجهه ينحصر في شيء واحد الا وهو الهروب ... الهروب من غضبه ومن فظاظته .

وفي محاولة اخيرة ، وبينما كان صوت الدراجة البخارية يتوقف عن العمل ادارت الشابة وجهها بعيدا عنه واخذت تجري في الجهة المخالفة على عقبيها . ماذا كانت تعتقد الشابة ؟

الهروب منه ؟ ولكن الرجل اخذ بعض خطوات وتمكن من الإمساك بها وبذلك وضع حدا لهروبها المجنون المضحك وادار وجهها نحوه بطريقة لا تخلو من العنف وقال لها :

- "و هكذا فانت لست متهمة بتعاطي المخدرات وبالسرقة فقط ولكنك إلى جانب ذلك متهمة ايضا بالكذب . لقد سبق لك ان وعدتني بعدم الهروب ! لقد تعهدت لي بذلك .

- " هذا غير صحيح ! لم اعدك إطلاقا بعدم الهروب . لقد سبق ان تعهدت امامك بان التزم بمبادئ المنطق وقوانين العقل . والهروب بعيدا عنك هو الأمر الوحيد الذي يتفق مع هذه المبادئ وهذه القوانين.

ولذلك كان لزاما علي أن افعل ما قمت به .

- " غبية ! إنك لاشك اكثر النساء غباء ، لم يسبق لي أن التقيت بمثلك قط . هل تدركين أن كثيرا من الناس اكثر منك دراية وممارسة بشؤون الجبال وافضل منك قدرة على سبرغور مثل هذه الاماكن الصعبة لم تكتب لهم النجاة وقضوا نحبهم في هذا الجبل ؟

ولكن ماذا كان يقصد الرجل بضمها إليه بهذه الطريقة . وكانه يريد أن يكتم انفاسها ؟ .. كانت "فيكتوريا" تشعر من خلال القميص الذي يرتديه والذي كان على هيئه (تي - شيرت) ومصنوعا من القماش الخفيف بنبضات قلب "جيل لاروك" القوية داخل صدره كما لو كان يحس بخوف شديد ..

نعم، بالتاكيد لقد احس بهذا الخوف ، الخوف من أن تكون قد واجهت حادثا يكون هو المسؤول عنه .

الخوف من مواجهة مضايقات قد يسببها له مثل هذا الحادث دون شك - ولكن ذلك لم يكن يعني له الكثير . وبعد هذا التوتر الشديد الذي شعرت به "فيكتوريا" خلال الساعات الاخيرة ، تركت نفسها وهي تحس بلذة عارمة للراحة التي كانت تسببها لها هاتان الذراعان اللتان تبعثان في نفسها الطمانينة واللتان كانتا تغشيانها الآن .

كان الرجل يدفعها وهو ممسك بطرف ذراعها وظهر وجهه مرة اخرى صلبا وحازما وسالها :

- " إلى اي مكان كنت تزمعين الذهاب ؟

- " كنت أنوي اتباع خط سير الطريق المرسوم على الخريطة المعلقة على جدار الصالة ، وهو الطريق الذي يؤدي إلى قمة الجبل ثم يهبط مرة اخرى في القرية المقامة في الوادي الآخر . ولكنني فقدت طريقي " .

- " هذا الطريق لا وجود له إطلاقا لقد دمر تماما بفعل انهيار جليدي حدث عندما كنت طفلا ارتدي سروالا قصيرا . لابد أن يكون من يريد الوصول إلى الجانب الآخر من هذا الجبل محنكا في هذا المضمار. ولايبدو عليك انك من بين هؤلاء القوم " .

طاطات الشابة راسها وهي تشعر بالمهانة . كان ولاشك من الصعب عليها أن تثبت عكس ما قاله الرجل .

- " لقد سببت لنا قلقا شديدا أيتها الآنسة الطائشة . لقد ارتبكت السيدة "ديفال" ارتباكا لامثيل له عندما اكتشفت انك هربت من مراقبتها . لقد اعتقدت انك سقطت في احد الأخوار او التهمتك العقبان" .

- " العقبان ؟

- " بالتاكيد ، فنحن نسمي النسور بهذا الاسم وهي عبارة عن طيور جارحة تسعى وراء فريستها وتسكن الجبال وهي تاكل الجيفة ... او لحم المصابين الذين لا يتمكنون من الدفاع عن انفسهم . ويبدو انها تبدا من العينين عندما تنقض على فريستها لا فتراسها .. "

امسكت " فيكتوريا" عن إصدار صرخة رعب ولكنها فجاة شعرت بان اسنانها اخذت تصطك ببعضها . إذن الطير الجارح الذي كان يحوم فوقها هذا اليوم بعد الظهر كان احد هذه العقبان ...

وقام الرجل بخلع بعض ملابسه ووضعها على كتفيها ثم قال :

- " لاشك انك تشعرين بالبرد والآن ماذا قررت ؟ إنني اترك لك الخيار بان تاتي معي او تقضي الليل وحيدة في هذا الجبل الذي يبدو انه استرعى مودتك إلى حد كبير .

هذا الوحش ! لقد ظهر مرة اخرى بانه الأقوى .

ردت "فيكتوريا" على الرجل وهي تلف حول جسمها ملابسها التي لم تزل دافئة حتى الآن :

- " سوف اذهب معك " .

وامرها الرجل بطريقة قاطعة :

- " إذن اركبي امامي حتى يتسنى لي أن اراقبك " .

وبعد حوالي دقيقة كانت "فيكتوريا" ملتصقة به وقد اغمضت عينيها حتى لا ترى الانحدار الذي كان الرجل ينزلق عليه بسرعة رهيبة . كان يبدو على الشابة انها في وضع لاتحسد عليه من شدة الخوف الذي كانت تشعر به ولكن لم يكن هذا كل ما في الأمر بل لم يكن شيئا يذكر . كانت الشابة مستندة إلى ذراعي الرجل وهو يقبض على مقود الدراجة البخارية وكانت تشعر بثقة كاملة بمقدرته ومهارته . لم تشعر إطلاقا قبل هذا اليوم بانها في حماية إنسان يوفر لها مثل هذه الحماية وبانها في امان تام . كان لديها شعور غريب بان شيئا لن يمسها إذا استمرت في حماية هذا الرجل لما يتمتع به من قوة ومن مقدرة .

الفصل الرابع

- " ستكون وجبة العشاء جاهزة خلال ساعة . ارجو ان توافقي هذا المساء على الانضمام إلي . كانت نبرة صوت الرجل لا تحتاج إلى جواب . وكان يفهم من خلال هذه الكلمات :

" لو ان الوقت كان مناسبا للجات معك إلى القوة لإرغامك على الانصياع " .

لقد وصلا إلى المنزل منذ دقائق قليلة وهما في حالة طيبة ودون ان تحدث لهما اية مشاكل . كان "جيل لاروك" قد قطع المسافة في نحو نصف الساعة فقط بينما احتاجت نفس هذه المسافة من "فيكتوريا" إلى عدة ساعات كانت مليئة بالعذاب والآلام . سوف تتذكر الشابة هذه الرحلة الرائعة التي قامت بها على ظهر هذا الوحش المعدني بينما كان شعرها يتطاير في الهواء وقطرات المطر الباردة تتساقط على وجهها في حين كان ذراعا وجسم السائق يحتويانها وكانهما عباءة دافئة تهتز .

كانت السيدة "ديفال" و"مونيك" وبقية الخادمات ينتظرن وصولهما على عتبة الباب وقد ارتسمت على وجوههن الابتسامة خصوصا عندما لاحظن اقترابهما من بعد وحلت هذه الابتسامة مكان الحزن والكابة التي سيطرت عليهن بعد هروب "فيكتوريا". واثلج هذا الاستقبال الرائع قلب الشابة . واخذت مجموعة الخادمات تختفي وتركت سيدها لكي يصطحب "فيكتوريا" التي مازالت حتى الآن في حالة تردد إلى الصالة . وبسطت "فيكتوريا" وجهها برقة حتى اعتقد الجميع انها تبتسم لهن . ثم قالت :

- " إنني اشعر هذا المساء بجوع شديد إلى الحد الذي لو لم تدعني فيه إلى العشاء معك لكنت اضطررت إلى النزول إلى المطبخ لاسرق بعض الأطعمة إن جبلك ياسيد "لاروك" يكاد يكون وسيلة رائعة لان يجد الإنسان فيه شهيته . أريد ان تدرك هذا الأمر دون اي غضب . اريد ان اتزين .

كانت الشابة تختال في جمالها . ولكنها في نفس الوقت كانت تشعر

بانها ضعيفة جدا ، بسبب طول المسافة التي قطعتها على قدميها ، وبسبب الكابة التي كانت تشعربها ، وبسبب الحرارة الشديدة التي الهبت جلدها ، وبسبب نقص الغذاء ، وبسبب التوتر الشديد الذي كانت تشعر به في اثناء هروبها الذي لم يكتب له النجاح . كانت كل هذه الأمور قد اثرت عليها سلبيا وتركتها منهكة القوى .

- " اراك ممتقعة الوجه يا "فيكتوريا" ! هل انت متاكدة ان كل شيء يسير على احسن ما يتمنى المرء ؟

استطيع ان ... "

- لا وشكرا . لا تشغل بالك . سوف استعيد قوتي خلال ساعة " .

ولكنها عندما حاولت ان تضع قدمها على اول درجة من السلم شعرت بان كل شيء ينقلب من حولها راسا على عقب . وتمكن "جيل لاروك" ان يجري نحوها وان يتلقاها بين ذراعيه قبل ان تصطدم بالارض . تمتم الرجل في اذنها وهو يحملها إلى حجرتها وكانها طفل صغير :

- " ايتها العنيدة الصغيرة " .

وضعها على احد المقاعد بجوار النافذة وركع قريبا منها .

- "و لكن يا "فيكتوريا" هل تجري الدماء في رجليك وفي ركبتيك ؟ اتركيني ازاول عملي " .

واحضر بسرعة ملاءة من الحمام وسكب عليها بعض الماء بيده واخذ ينظف بها جروح الشابة ، باية رقة وباية نعومة كانت يداه الكبيرتان اللتان لونتهما اشعة الشمس تلمسان هذه الخدوش حتى لا تشعر باي اذى !

وعلقت "فيكتوريا" :

- " اكاد اعتقد انك كنت تقوم بنفس هذا العمل طوال حياتك " .

- " في الواقع انت لست بعيدة كثيرا عن الحقيقة . فمنذ نعومة اظفاري علموني كيف اعالج الحملان والخراف - فكثيرا ما يصادف ان يقع احدها بين الحجارة . وقد انتهت هذه الحرفة . فلست انا سوى راع يا "فيكتوريا" .

- " راع " !

- " بالتاكيد ، إنني راع بل إنني راع حقيقي . فكل الخراف التي ترينها في الجبل هي ملكي انا فهي التي تعطي الحياة لهذا الوادي . لقد اضطررت هذا الصباح إلى ان اذهب إلى الحدود الأسبانية لأسترجع "كازانوفا" كبشي وهو ملك هذه القطعان ، كان اللصوص قد سرقوه مني ، وإنني لأثني على يقظة رجالي فقد استطعنا القبض عليهم قبل ان يعبروا الحدود .الأمر الذي جعلني اعود إلى منزلي بسرعة جدا ثم ذهبت بعد ذلك للبحث عن إحدى النعاج التي ضلت طريقها !

لقد شعرت بالخوف الشديد عليك يا "فيكتوريا" .

يبدو أن غضب الرجل قد تلاشى تماما . كان يكلمها بكل رقة .

كم كان يبدو هذا رائعا بعد التوتر غير المحتمل الذي احست به الشابة في رحلتها إلى الجبل !

كان هروبها المجنون قد انتهى نهاية جيدة بفضل هذا الرجل . لقد وجدها قد ضلت طريقها ومنحها حمايته واعادها إلى المنزل .

والآن هاهو ذا يعالجها بلطف وببراعة وكانه يعالج إحدى نعاجه ... اغلقت الشابة عينيها .

اخذت "فيكتوريا" "تفكر " ياإلهي .. ما احلى ان يضع الإنسان نفسه في بؤرة الانتباه ! "

- " اتركك الآن لترتاحي إلى ان نلتقي لنتناول معا وجبة العشاء " .

انتصب الرجل وغادر بخطوات رشيقة ودون ان يحدث اي صوت .

واستمرت الشابة على حالها مدة طويلة دون ادنى حركة ، طاوية ساقيها ، واضعة ذراعيها حول ركبتيها ونظراتها تسبح في الفضاء .

من هو "جيل لاروك" الذي كان يثير في داخلها احاسيس متناقضة ؟

كانت "فيكتوريا" لا تفكر هذا الصباح إلا في شيء واحد هو الهروب - الهروب بعيدا عنه - إقامة اكبر مساحة ممكنة بينها وبين الرجل الذي كان يقبض عليها ضد رغبتها . بينما صدر منها في مساء نفس اليوم عمل مخز يندي له الجبين فقد وافقت بل اكثر من ذلك عملت كل ما في وسعها لتلبي الرغبة التي كانت تتاجج في قلبها ولا تستطيع التغلب عليها إطلاقا وهي أن تندفع إليه وان تخفي راسها في تجويف

كتفيه وتتركه يعبث باصابعه في خصلات شعرها الكثيف .

كانت الشابة تشعر بسعادة وبنوع من التسلية عندما كانت تتصوره وهو في المراعي في الجبل تاركا شعره تتقاذفه الرياح وهو بين قطيعه يشرف على كل انحاء الوادي بنظراته. وعلى القرية وسكانها الذين كان يشعر بانه مسؤول عنهم جميعا . لقد سبق ان قال لها وهو يشعر بكبرياء " إنني راع" كان "جيل لاروك" راع يمتلك اكبر مصنع لمعالجة الصوف وغزله في كل جبال الـ" بيرينيه" كان الوادي كله يعمل في خدمته . ولذلك كان يعتبر ان الوادي كله من ممتلكاته . وكان يظهر ذلك في كلامه ، بفضل مصنعه كان يعيش كل سكان هذه الناحية المفقودة في الجبل . وكانت "فيكتوريا" بعد وصولها إلى هذه المنطقة - قد لاحظت وجود مبنى هذا المصنع على بعد بضع مئات الأمتار من القرية. وتذكرت بانها قرات اسمه بالخطوط العريضة على جدران السور المحيط بالمصنع .

كانت السيدة "رينو" قد شرحت لها بان هذا المصنع يعمل على غسل وتمشيط وصباغة الصوف ثم غزله قبل شحنه إلى فرنسا وإلى انحاء العالم باكمله.

ومن هنا كان "جيل لاروك" قادرا على كل شيء . كان في الحقيقة سيد هذا الوادي .

قضت "فيكتوريا" نحو نصف الساعة في حمام ساخن لكي تسترخي عضلاتها التي كانت تؤلمها وتستعيد قوتها . بعد ذلك اختارت فستانا من القطن كان منظره متواضعا ولكنه مناسب جدا لجسمها اختارته من ضمن مجموعة الملابس التي احضرتها "مونيك" . ولم تنس "فيكتوريا" أن تتذكر بالعرفان تلك الشابة التي لبست في يوم من الأيام هذه الملابس التي لا وجود لها الآن لأنها تركت عالمنا ولقيت ربها .

وفي الساعة المتفق عليها فتحت "فيكتوريا" باب غرفتها ووقفت على عتبة الباب ولم تجرؤ على التقدم إلى الأمام اية خطوة .كانت تشاهد الآن مضيفها مرتديا ملابسه السوداء ينتظر قدومها في الصالة وهو يستند إلى الحائط وقد كتف ذراعيه .

كانت نظراته متجهة إلى الفراغ. وكان يسيطر عليه حزن عميق .

انقبض قلب "فيكتوريا" وهي ترى هذا المنظر المليء بالحزن الدفين . فيم كان الرجل يفكر ؟ اي الم دفين كان يسيطر على قلبه ؟ كان بود الشابة لو تجري نحوه وتاخذه بين ذراعيها وان تعزيه وتسكن روعه كما حدث حين اخذها بين ذراعيه وسكن من روعها في الجبل . ولكنه رفع عينيه وعاد بسرعة إلى طبيعته الجافة والمتسلطة . واخذ يقترب من أسفل السلم ليستقبلها بكل سمو ، وليصطحبها من ذراعيها حتى حجرة الطعام .

كظمت "فيكتوريا" صرخة اوشكت ان تنطلق من هول المفاجاة . كانت الغرفة التي يتوجهان إليها مزينة بكل إتقان وكانت تضفي على المكان إحساسا غريبا بالود والدفء .كانت المائدة معدة لاستقبال شخصين فقط وكان الشمع المضاء يبعث بنوره الرقيق العاطفي من فوق الشمعدانات الفضية الموضوعة في منتصف المائدة . كانت النار تضطرم في المدفاة ، وتعرض على الجدران المغطاة بالاخشاب الفاتحة اللون مناظر مختلفة رائعة الجمال ، وكانها نقوش من الطراز العربي . وكان غطاء المائدة مصنوعا من قماش الدانتيل وكان هذا القماش يظهر جمال الأطباق الناصعة البياض المصنوعة من افخر انواع الخزف المطعم بالذهب وروعتها . اما بقية مكونات المائدة من ملاعق وشوك وسكاكين فكانت مصنوعة من الفضة المذهبة .

دعا "جيل لاروك" "فيكتوريا" للجلوس وكان حريصا على ان تستريح في جلستها . كانت الشابة متاثرة من هذا العشاء الذي يجمع بينها وبين هذا الرجل . كان العشاء قد اعد بعناية كاملة ، وبذوق رفيع .كانت الشابة تتمنى وجود طرف ثالث كالسيدة "ديفال" مثلا . ماذا يعني هذا المنظر العاطفي وهذا الشمع وهذه النار المضطرمة في المدفاة ؟ هل كانت هذه الليلة بالذات هي الليلة الكبرى التي يلعب فيها مضيفها لعبة الإغراء ؟

ولكنها عندما رفعت عينيها لتنظر إليه علها تلاحظ اي شيء لم تتلق سوى تعبير بعيد لا يمكن ان تعرف له معنى .

وفور جلوس سيد المنزل حول المائدة جاءت "مونيكا" ومازالت مرتدية ملابسها السوداء ومريلتها البيضاء . وكانت تحمل في يديها وعاء

حساء يتصاعد بخاره . واعطت لـ "فيكتوريا" ملء مغرفة من حساء الكرنب باللحم وهو نوع من حساء الخضراوات التقليدي في هذه المنطقة . كانت رائحة الطعام ذكية . واضطرت الشابة التي كانت تشعر بجوع شديد إلى بذل كل جهدها لكي تحتفظ بوقارها . ولا تبتلع هذا الحساء اللذيذ الطعم مرة واحدة .

سالها "جيل لاروك" بعد لحظات قليلة :

- " هل شعرت بالحب قبل الآن " .

رفعت "فيكتوريا" انفها من الطبق حيث لم يتبق فيه اية قطرة من الحساء وابتسمت له .

- " كان حقا لذيذا جدا " .

- " سوف انقل مجاملاتك إلى "ماري روز" طباختي . وسوف تسعد جدا بهذه المجاملات لو حدث ان طالت إقامتك هنا بعض الوقت ، فالافضل لك أن تحبي الطعام الذي سيقدم لك ."

- " إذن الوضع كان على هذه الحال .. كل شيء كان يحدث كما ذكر في قصة "هانسيل وجرينيل"

كان يعطي كثيرا من الطعام لضحاياه ، عندما كانت تلتهمهم الساحرة ..

خفضت "فيكتوريا" عينيها وكانت وجنتاها محمرتين ماذا كان يعمل "جيل لاروك" مع ضحاياه ؟ هل يكون هذا العشاء على اضواء الشموع وهذا الشراب في الكؤوس الكريستالية بمثابة وسائل يمكن عن طريقها سحبها بكل رقة إلى الشرك الذي كان يرمي إلى إيقاعها فيه ؟

- " من هو "ديفيد" يا "فيكتوريا" ؟

كان للسؤال وقع القنبلة . وقفزت الشابة بعنف من فوق مقعدها بصورة ادت إلى سقوط الشوكة من يدها في الطبق وإحداث ضجيج . وبما انها كانت مهمومة ومنغمسة في افكارها ، لم تلحظ التغيير الذي حدث في نظرات "جيل لاروك" التي اصبحت فجاة اكثر شدة واقوى عمقا واشد تمحيصا .

- " ديفيد ! من كلمك في شانه ؟

- " عندما كنت تحت تاثير المخدر لم تتوقفي عن مناداته " .

ساد بينهما سكون رهيب . كانت الذكريات تقتحم افكار الشابة ، وكانت تحاول من جانبها أن تطردها ولكن دون أن تتمكن من ذلك . يا إلهي ! لماذا نطق الرجل بهذا الاسم ؟ لماذا يعيد إلى السطح هذا الماضي الذي كانت تحاول نسيانه ؟ "

واجابت الشابة في آخر الأمر :

- " إن "ديفيد" هذا هو زوجي " .

- " زوجك ؟! "

كان لهذه الكلمة وقع المفاجاة على الرجل ولو ان "فيكتوريا" ارادت أن تفاجئ "جيل" لما استطاعت ان تفعل اكثر من ذلك . لقد نجحت بالفعل . وتجمد وجه الرجل في الحال .

وحاولت "فيكتوريا" أن تتحرى الدقة في كلامها فقالت بسرعة " : -

-" زوجي السابق لاكون اكثر دقة فإنني الآن امراة مطلقة " .

كانت الكلمات تخرج من بين شفتيها بصعوبة . كان الالم - أو لتكن اكثر تحديدا - الشعور بالمهانة ، مازالت امامها هناك في إحدى صوره الحية .

- " إنك ولاشك تشعرين بالالم يا "فيكتوريا" . الم يتركك هو ؟ "

- " بلى بالتاكيد " .

لم يصبح صوت الشابة اكثر من تمتمة غير مفهومة .

- " هل تركك من أجل فتاة أخرى ؟ "

تكلمت الدموع من خلال مقلتي"فيكتوريا" ولم تستطع الشابة أن تمنعها من النزول .

- " نعم ... من أجل فتاة أخرى " .

وصرخ "جيل لاروك" وقد كان في شدة الغضب.

- " هذا الأحمق ! إن سيدة مثلك يا "فيكتوريا" "يجب الا تترك نهائيا . ماذا وجد في الفتاة الأخرى من مميزات فريدة .. "

كانت "فيكتوريا" تنظر إلى الرجل باضطراب من خلال غشاوة الدموع التي كانت تسبب إظلاما لرؤيتها .

كان الرجل يدافع عنها . كم كانت تتشوق إلى إيداع اسرارها عنده ، وتخبره بانه قد اكتشف الغيب . وبان السيدة التي التقى بها "ديفيد"

كانت بالفعل لديها ميزات خاصة . ومع ذلك كانت "فيكتوريا" واقفة هناك دون أن تصدر منها اية حركة وكانها متحجرة ، وعيناها مملوءتان بالدموع التي لا تنسكب نهائيا بل لا تتمكن حتى من الانسكاب .

اعتذرلها الرجل بصوت رقيق :

- " إنني اشعر بحزن شديد لانني البت عليك ذكرياتك التي تسبب لك - ولاشك - الاما لوشئت نستطيع أن نقف اي كلام في هذا الصدد . "

- " لا . هذه القصة كلها جزء من الماضي الآن . وعلي ان اعتقد ان "ديفيد" لم يعد يشكل اي جزء من حياتي نهائيا . لقد التقيت به في الجامعة ولم يكن عمري يزيد على تسعة عشر عاما . تستطيع ان تتخيل ذلك . لقد استرعتني نظرة العناية التي كان يكنها لي هذا الاستاذ الذي كان يكبرني بطريقة ملحوظة. بعد ذلك اعتقد انني تعلقت به . وقد تزوجنا .

وكفت "فيكتوريا" عن الكلام مرة اخرى . لقد فشل زواجها .. اية مهانة واجهتها ! كيف يمكنها ان تقول له ذلك .

تابعت الشابة كلامها :

- " ولم يدم هذا المشروع. لم يكن احدنا يصلح للآخر ، لقد التقى بهذه الفتاة وسافر منذ عام " .

- يبدو أن الجرح لم يلتئم حتى الآن . فإن الحياة قد تكون احيانا قاسية يا "فيكتوريا" . وقد تضع امامنا بعض الناس لنلقاهم في طريقنا يتركون انفسهم ضحايا للضعف .

انتفضت "فيكتوريا" . هل استطاع الرجل ان يكتشف الغيب ؟ ونظرت الشابة إليه . كان الرجل لا يلتفت إليها. وكانت عيناه تائهتين في الفراغ . كان يتكلم مع نفسه وكان الالم باديا على وجهه .

كان يتكلم عن بعض الكائنات وعن ضعفها بنبرة تظهر عليها المرارة الشديدة. هل عانى هو كذلك من نفس المشكلة ؟

احست "فيكتوريا" ان الامها زالت عنها. لاحظت مدى الالم الذي كان يعتصر قلب مخاطبها .

كانت تتمنى ان تاخذه بين ذراعيها وتهدهده كالطفل ، وان تمسح

www.elromancia.com

على شعره حتى يشعر بالهدوء والسكينة .

دخلت "مونيك" في هذه اللحظة وهي تحمل بقية أصناف وجبة العشاء . وبسرعة البرق أخذ وجه صاحب المنزل منظره المعتاد الذي يصعب على المرء اختراق حواجزه .

سألها الرجل عندئذ وكان شيئا لم يحدث :

- " في أي مجال كانت دراساتك " ؟

- " في مجال الصحافة وإن كنت لم أتقنها تماما . فمازلت في المرحلة المتوسطة منها. لقد تعلمت كيف أحتفظ بخطابات الإعلانات وكيف أكتب نصا سينمائيا أو موضوعا معينا وكيف أقوم بعمل تحقيقات ، أو بنقل أخبار بشأن موضوعات مهمة مطلوبة . لقد أصبحت بذلك أشبه - بما يسمى في وسطنا - "بالصحفية الشاملة "

- " ماذا يعني ذلك ؟ "

- " هذا معناه أنني لا أعمل لصالح هيئة معينة بالذات . ولكن بهدف إجراء بحوث عن موضوعات أقدمها لتعرض على قنوات التليفزيون أو إلى شركات إنتاج السمعيات والبصريات المعنية بهذا المجال . ولقد حضرت إلى هذه المنطقة لأنني كنت مهتمة جدا بموضوع شعوب الـ "كاثار" ".

- " شعوب الـ "كاثار" ! إنه لأمر على جانب كبير من الإثارة إنها عقيدة دينية غريبة كانت مبنية على الامتناع عن العلاقات الجنسية .. كيف يمكن الموافقة علي معتقدات مثل هذه البدعة المذهبية !

ومرة أخرى كانت هذه النظرات الملتهبة التي كانت تلمحها الشابة في عينيه تعتصرها .. هل كانت الرسالة التي أدلت بها الشابة غير واضحة؟

كانت هذه النظرات تعني أنه في شوق إليها . وأنها أصبحت ملكا له هذا المساء .

- "لقد جاء الوقت المناسب لكي تسددي ديونك . لقد انتظرت عليك كثيرا".

كانت "فيكتوريا" تشعر بخوف شديد . كان هذا الخوف غير الصريح والماكر يسيطر عليها بصفة كاملة . في الحقيقة لم تكن الشابة تخاف

منه ولكنها كانت تخاف من نفسها . كان هذا الرجل يسحرها ويجذبها نحوه وكأنه عشيقها . كانت الشابة تهيم بثقته بنفسه ، من قوته حتى من كبريائه .كان بالفعل رجلا بمعنى الكلمة .

أحضرت "مونيك" في صينية مصنوعة من الخيزران كريات مستديرة غريبة الشكل مختلفة الألوان .

وطلب منها صاحب المنزل بطريقة آمرة :

- " أود أن أعرف رأيك بشأن هذه العينات من الجبن الذي من صناعتي ".

كم كان مزعجا بطريقته في السؤال عن الأشياء . كان وكأنه يعطي أوامر في ساعة القتال يجب أن تطاع !

كان على "فيكتوريا" أن ترفض الرد . ولكن فضولها كان أقوى من ذلك. كيف لا يكون لديها رغبة في تذوق طعم جبن " لاروك" ؟

أخذت الشابة كرة صغيرة من الجبن ووضعتها في فمها واتبعتها بأخرى ثانية ، ثم بثالثة . كان الأمر في منتهى الروعة ! لم تكن "فيكتوريا" قد تذوقت قبل الآن مثل هذا الطعام ذي النكهة اللذيذة .

ولم يكن هذا الجبن الذي يشبه العجين الذي لاطعم له ، والذي اعتادت أكله في انجلترا .

كل كرية صغيرة من هذه الكريات كان لها طعم مختلف وكانت مكونات هذا الجبن قد اختلطت بأنواع مختلفة من الخضراوات أو من التوابل المتوفرة في القرية .

صاحت "فيكتوريا" وهي تشعر بحماس :

- " إنه قطعا لذيذ المذاق " .

أزاح "جيل لاروك" عن وجهه هذا المنظر المتصلب الصارم برهة من الوقت. وظهرت ابتسامة على تقاطيع وجهه . كان الرجل في هذا الوضع يشبه طفلا قدمت له الهدية التي كان ينتظرها منذ وقت طويل.

- "هذا الجبن مصنوع من ألبان النعاج التي تتغذي على الأعشاب المزروعة في المراعي المتوفرة على الجبل . إنني في الواقع بصدد إنتاج صناعة جديدة سوف تقوم بتصنيعها مصانع "لاروك" وربما أفكر في عرضها في الأسواق". قال الرجل هذا الكلام وهو يهم بالوقوف ويدعو.

"فيكتوريا" لكي تتبعه حتى غرفة الجلوس . كان ضوء الغرفة خفيفا . كانت الأضواء موزعة في الغرفة بطريقة متناسقة . فكانت تنبعث رقيقة من خلال النجف المنتشر فيها . كان جماله رائعا . وكانت النار تضطرم في قطع من الحطب داخل مدفاة كبيرة حتى أنها تسمع طقطقة احتراق الحطب . كان أمام المدفاة ديوان كبير ومقاعد مغلفة بالجلد الأصفر اللون إلى جانب منضدة منخفضة تنتصب على سجادة رائعة الجمال إيرانية الصنع ذات الوان رقيقة . كان موضوعاً على المنضدة صينية عليها قدحان من القهوة يتصاعد منهما البخار وينتظرانهما .

وبعد احتساء القهوة أخذ يسالها عن دراساتها وعن عملها الحالي وعن مشاريعها .

صرحت له "فيكتوريا" في آخر الأمر :

- " ليس لدي أي مشروع .إنني أرجو أن أبيع للإذاعة البريطانية فكرة هذا المستند الوثائقي عن شعوب الـ "كاثار" ولكنني لا أملك اية عقود موقعة .

ولهذا السبب اريد أن ارجع إلى "لندن" .

وقف صاحب المنزل فجاة وهو يقول :

- " ارجو ان تعذريني . سوف اعود خلال دقيقة . اريد أن تري شيئا ما " .

وبعد لحظات كان الرجل عائدا وهو يحمل في يده شبه إضبارة مغلقة بالجلد وقال للشابة وهو يمد إليها هذه الإضبارة :

-" اود بما انك محترفة في مجال الاتصالات أن تعطيني رايك في هذا الأمر."

اخذت "فيكتوريا" تفحص المستندات بسرعة وهي في حالة حيرة . كان من الواضح أن هذه المستندات تختص بحملة الدعاية المزمع القيام بها والخاصة بالمنتج الجديد الذي تصنعه مصانع "لاروك" عن الجبن اللذيذ الذي اسعدها الحظ وتذوقت عينات منه في اثناء وجبة العشاء.

كان مشروع الدعاية قد وصل إلى مرحلة متقدمة جدا. وكانت الشابة ممسكة بين يديها بصور كل مراسلات مشروع الدعاية ، التي كانت بالفعل وضعت في حالة منظمة مع كل ما تحتاج إليه من صور

ومقولات ماثورة بقصد تنشيط حملة الدعاية .. وكان اهتمام الشابة قد استجاب بقوة لهذا الأمر . كانت تنظر بكل انتباه إلى هذه الصور المنظمة في هذه الإضبارة . وقد استرعى انتباهها صورة معينة بشكل خاص . كانت الصورة تظهر "جيل لاروك" مرتديا بذلته وواضعا رباط العنق مستنداً على سجيته دون عناية إلى باب سيارة سباق لونها احمر قان . ومرة أخرى لقد راعتها رشاقته ووجاهته ، على الرغم من كل ذلك كانت الشابة تشعر بانه لم يكن في حالة مريحة في هذه الصورة وفي هذا الوضع . كانت الشابة تلاحظ أن هناك شيئا من التصنع والتكلف في الصورة .

فهذه السيارة لم تكن سيارته وهذه البذلة لم تكن البذلة المفضلة عنده . كيف قدم الرجل نفسه في بداية السهرة ؟

" إنني راع " بالتاكيد كان "جيل لاروك" رجلا يعيش في الجبل قريبا من الطبيعة . كان يعالج بنفسه خرافه المريضة او التي صادفها سوء الحظ وتعرضت للوقوع بين الحجارة لم يكن يتردد إطلاقا في الذهاب إلى الحدود الأسبانية ليقتفي آثار اللصوص الذين كانوا قد خطفوا احد كباشه . لم يكن هناك اي وجه للشبه بينه وبين هذا الفتى الشقي الكسول الذي يستند إلى سيارة السباق كما يظهر ذلك في الصورة . إن الصور التي تم اختيارها لهذه الدعاية الإعلانية كانت ولاشك تحمل شيئا مصطنعا وجامدا بجانب وجود بعض الأخطاء .

سالها "جيل لاروك" وكانت عيناه مازالتا ترمقانها بتمعن :

- " ما رايك في هذا ؟ "

افصحت الشابة عن رايها بثبات ودون أن تلتهم كلامها وبينما كانت تعلن عن رايها كان الرجل يستمع إليها بانتباه كامل وكانه موافق على كل كلمة من كلامها . وعندما انتهت اخذ الرجل الإضبارة وقام بإغلاقها بطريقة لا تخلو من الجفاف وقال لها :

- " اشكرك لأنك بذلك اعطيت لي رايك وهو ولاشك يؤكد الأفكار التي كانت تتردد في راسي فهذا العمل الذي طلبته من إحدى شركات الإعلان والدعاية الفرنسية كلفني مبالغ طائلة لا يستحق اي تقدير " .

www.elromancia.com

- " ساحاول ان اظهر الفروق بدقة اكثر "

- " إنني ادرك جيدا ماذا اقول ! إنك لم تحتاجي إلى وقت طويل لاكتشاف موطن الخطا . فهؤلاء الناس هم في واقع الأمر عاجزون ولم يفهموا اي شيء عن إنتاجي الجديد .

لقد انفقت الشيء الكثير بسببهم سواء فيما يتعلق بالوقت او فيما يتعلق بالنقود " .

حاولت "فيكتوريا" ان تطمئنه " ليس الأمر بهذا السوء - فإن بعض الصور التى تتعلق بالمنتج نفسه هي غاية في الروعة وكم تكون امنيتي عظيمة ان اقوم انا بتصميم هذه الدعاية "

كيف لها ان تزج بنفسها في مثل هذه الأمور ؟

- " نعم يا "فيكتوريا" اكملي كلامك ارجوك" .

- " كنت ساعمل على تركيز معظم كلامي حول الناحية الصحية والطبيعية لهذا الجبن المصنوع من لبن النعاج التي تلتهم في الصيف الأعشاب الغضة من المراعي الجبلية التي لم يلوثها الدخان ولا اي نوع اخر من الملوثات . وبالنسبة لك كنت ساعمل على إظهارك بنفس الطريقة التي انت عليها بالفعل : راع ... ورجل مغرم بالطبيعة وبالجبل .. رجل يعشق عمله وله رغبة في ان يقاسمه الآخرون هذا الغرام " .

كانت "فيكتوريا" في حقيقة الأمر في دهشة شديدة من امرها بسبب هذه الجراة .

انتصب "جيل لاروك" واقفا واخذ الإضبارة واخرج منها جميع الأوراق والقى بها في النار .

- " ماذا تفعل ؟ "

- : هذا ما يستحقه مثل هذا العمل " .

- " ماذا ستفعل الآن ؟ "

- " ابحث عن شخص كفء يستطيع ان يقوم بتصميم هذا العمل . فهذا الجبن هو إنتاج جديد من مصانع "لاروك" التي كانت حتى هذه الأيام متخصصة في صناعة الصوف . فهو منتج صحي وطبيعي كما سبق ان اشرت انت إليه وقد اعد بعناية كبيرة من العاملين في

مصانعي الذين يسكنون الكهوف المحصورة في بطن الجبل نفسه .

وبهذا المنتج اريد ان اسيطر ليس على الأسواق الفرنسية فقط لكن في مرحلة تالية اسيطر علي الأسواق الأوروبية . وفي مرحلة ثالثة على الأسواق الأمريكية . كم من الوقت سيحتاج إليه هذا الخبير المتخصص لكي يقوم بعمل هذه الدعاية الإعلانية ؟

فكرت الشابة بعض ثوان قبل ان تجيب :

- " اعتقد انه يلزمه نحو خمسة عشر يوما . "

- " ضعي نفسك يا "فيكتوريا" موضع المسؤولة عن حملة الدعاية لمصانع "لاروك" وسوف تقومين بعمل التصميمات اللازمة لطرح هذا المنتج الجديد في الأسواق . وعندما تنتهين من هذا العمل ساعتبرك قد سددت الدين الملزمة به تجاهي .

الفصل الخامس

كررت "فيكتوريا" نفس الكلام وهي في حالة ذهول :

- " سوف أسدد ديني . ولكني كنت أعتقد أنك تغاضيت عنه " .

- كنت تعتقدين انني تغاضيت عن هذا الدين لأنني جعلتك تنامين في سريري .. إن ذلك لأمر عجيب ... أليس كذلك ؟ "

احمرت وجنتا الشابة من الخجل وأومأت برأسها بأن ما قاله الرجل كان صحيحا وبانها بالفعل راودتها هذه الفكرة .

- " حتى أكون معك صريحا ولا أخفي عنك شيئا كانت هذه في واقع الأمر خطتي منذ البداية . إنك لجميلة جدايا "فيكتوريا" . وإنك لمغرية غاية الإغراء ! "

كانت عيناه السوداوان تغشيانها . وكانت الشابة لا ترى شيئا آخر سوى نظرته الكهرمانية شديدة السواد المضطربة التي لا يمكن اختراقها .

واستمر الرجل في كلامه بينما يظهر بريق في أعماق عينيه :

- " كيف يتأتى للإنسان الا يشعر بهذه الفتنة ؟

لا تنسي انني أخذتك بين ذراعي وكنت مستسلمة ودون اية مقاومة.

ولا تنسي كذلك انني في آخر الأمر رجل مثل سائر الرجال " .

لماذا كانت الشابة تشعر بإحساس من الضعف يتسلط عليها ؟ لماذا كان يؤثر عليها صوته ونظراته مثل هذا التأثير الشديد ؟

لقد كان هذا الرجل سببا في شعورها بالاضطراب . ولذلك انتصبت واقفة وقد بذلت جهدا كبيرا لكي تتغلب على إرادتها ، ليتسنى لها الهروب من سلطان نظراته وأخذت بعد ذلك تسير في الغرفة تقطعها طولاً وعرضا ، وهي تحاول استكمال كلامها وكان صوتها قد أصبح فجاة قويا وغليظا :

- " لندع هذه الفتنة ، التي تقول عنها ، جانبا لو سمحت بذلك؛ إنني قد اكتشفت منافسيك في مجال الاتصالات وهذا ما يهمني إلى حد كبير.

وسوف تعمل أنت كذلك إلى جانبي " .

ماذا كان يدور في رأس الشابة حتى تتعامل بهذه الطريقة وبحرية كاملة حسب هواها مع هذه الشخصيات التي كانت تلتف حولها ؟

اي صلف ! واية حماقة !

هل كان الرجل يعتقد أن يشير بإصبعه فقط لكي ترضى "فيكتوريا" او اي شخص آخر أن يعمل لحسابه ؟ كان على الشابة أن تفكر في الأمر وأن تحلله وأن تقارن بين جانبه الطيب وجانبه السيء .

سألته الشابة وقد تقدمت لتقف أمامه :

- " ولو رفضت هذا العرض ؟ "

رد عليها الرجل وكانت ترتسم على شفتيه ابتسامة سحرية :

- " لو رفضت العمل إلى جانبي فسوف أستنتج من ذلك انك تفضلين الالتزام بالحل الآخر لتسديد دينك " .

اي شخص خسيس كان هذا الرجل ! هل كان يدير أعماله عادة بهذه الطريقة بان يوقع مخاطبيه في المصيدة !

وعلى الرغم من كل ما سبق كان العمل الذي عرضه الرجل عليها عملا مثيرا للاهتمام . فللمرة الأولى منذ تخرجها من الجامعة ستكون مسؤولة مسؤولية كاملة عن وضع التصميمات لحملة دعاية كاملة من أجل طرح منتج جديد . كانت هذه لحظة حظ غير متوقعة بالنسبة لمهنتها !

لم يكن لها الحق على الإطلاق في أن تترك مثل هذه المناسبة الفريدة تمر من تحت عينيها مرُ الكرام . كان هذا المنتج الذي تتباهي الشابة بانها عملت على الدعاية له - طبقا لتقديراتها - من نوع ممتاز . كان قد تم تصنيعه في إطار فريد ورائع بفضل جبال الـ "بيرينيه" التي كان لها سحر خاص ، على الرغم من المغامرة المشؤومة التي حدثت لها هناك .

الم يتحقق "جيل لاروك" من إحدى الشخصيات المهمة ليكلفها بهذا العمل الدقيق ؟

يا إلهي .. كم كان هذا الرجل كريها ؟

كانت "فيكتوريا" تكره في هذا الرجل طريقته في استخدام الناس وكانهم يتبعونه ومع ذلك كان هناك بالتاكيد شيء ما في كل هذا

الموضوع يشغل بال الشابة :

- اسمح لي ياسيد "لاروك" ان اخبرك عن مدى دهشتي بالنسبة لاقتراحك .إن تسليمك لشابة مخدرة مسؤولية طرح إنتاجك الجديد في الاسواق لهو في الواقع مخاطرة جسيمة - أليس كذلك ؟ "

استمع الرجل إلى سؤالها دون ان ترمش عيناه . وبما انه كان متاكدا منها اجابها الرجل وقد ظهرت ابتسامة ضعيفة على شفتيه :

" إنك لست شابة تتعاطى المخدرات يا "فيكتوريا" " .

- " من اين لك هذه التاكيدات المفاجئة ؟ لقد اتهمتني هذا الصباح ايضا بهذه التهمة " .

- " إنني اعرف ذلك منذ وقت بعيد . وحتى اكون دقيقا اكثر لقد اقتنعت بهذا الأمر منذ اليوم الأول .

وفي ذلك الصباح عندما اتيت بك إلى منزلي وكنت في حالة إغماء بين ذراعي.

كنت في الواقع اشعر بخوف شديد عليك .

وقد طلبت بسرعة طبيبي الخاص وصديقي "بول ميرسييه". وبعد ان كشف عليك وقتا طويلا اكد لي بكل صراحة انك لم تكوني تحت تاثير المخدر بل اكد لي بالعكس بان حالة الغيبوبة التي كانت تسيطر عليك تؤكد انك غير معتادة تعاطي المخدرات . وبذلك استنتجنا انك تقولين الحقيقة وبان اصدقاءك هم الذين اعطوك هذا المخدر دون علم منك " .

صاحت "فيكتوريا" وقد استولت عليها الدهشة :

- " هذا يعني ان كل التمثيليات والتهديدات التي قمت بها لم تكن في الحقيقة سوى ضرب من اللعب .

كنت تتسلى بزرع الرعب في قلبي دون اي داع لذلك !

إنك في واقع الأمر رجل خسيس " .

كانت الشابة تكاد تختنق غيظا بينما كان " جيل لاروك" مستمرا في النظر إليها دون ان يشعر باي خجل بل في حالة هدوء شديد بينما كانت هناك ابتسامة سخرية ظاهرة على احد طرفي شفتيه .

- إنك في حاجة إلى درس قاس يا "فيكتوريا" ففي هذه الواقعة التي حدثت لك كان سلوكك يتسم بالسذاجة . يبدو انك لا تعرفين كيف

تختارين الأصدقاء الذين تختلطين بهم ، إلى جانب انك تثقين باناس ليسوا اهلا لهذه الثقة " .

كان الرجل على حق في كلامه . ولكن لماذا يتدخل في اسلوب حياتها؟ الم يكن لها الحق الكامل في تسيير حياتها بالطريقة التي تختارها ... وان تصادق من تريد ؟

اما بالنسبة له فلم يكن على حق في ان يمارس سلطاته عليها وفي ان يختطفها ويحتجزها !

ولكن دون شك هناك دين اتحمل وزره تجاه هذا الرجل فقد كنت دون مستندات ، دون نقود ، دون ملابس ... ماذا كان سيصبح مصيرها وهي على هذا الحال لو لم ياخذها هذا الرجل في عنايته ؟

كان هذا هو تفكير "فيكتوريا" وقد دفعها هذا التفكير إلى ان تجد طريقها إلى الهدوء . وقالت لنفسها في آخر الأمر " إن اختطافها قد انتشلها من وضع محيِّر ومريب " سالت نفسها وهي تمسح الغرفة سيرا على قدميها جيئة وذهابا: - " ماذا تفعل ؟ هل توافق على عرض العمل المقدم منه ؟ يبدو ان هذا هو الحل الوحيد الذي سيتيح لها سداد ديونها إلى جانب الحصول على المبلغ الذي تحتاج إليه للرجوع إلى لندن . سوف يكون ولاشك سيدا دقيقا بشكل مروع وكثير المطالب وكانت "فيكتوريا" واثقة كل الثقة بهذا الكلام ... وكان احسن شاهد على دقته هو رد فعله بالشكل الذي راته منذ دقائق عندما القى في النار العمل الذي قامت بإنجازه شركة الدعاية الباريسية . كان الرجل في هذا الصدد حاسما في معالجته للأمور . سوف يكون صارما ، لا يقبل اي تنازل عن حقوقه ، ولا يرتاح إلى اية زلة ولا يسمح باي خطا . وقد طرح امامها فكرة تحد بطريقة ما . ولذلك سوف تقوم بعبء هذا العمل وسوف تبين له ماذا تستطيع عمله !

الم يكن لزاما عليها ان تظهر لنفسها قبل ان تظهر لاي إنسان آخر مدى كفاءتها ومقدرتها ؟

لقد فقدت "فيكتوريا" كل ثقة في نفسها بعد إخفاقها في حياتها الزوجية وبعد ان تركها "ديفيد" .

كانت دائما تشعر بانها المسؤولة عن ضياع "ديفيد" لانها لم تعرف

كيف تمنعه من الابتعاد عنها .

ولكن ماذا كانت تستطع عمله ؟ لا .. كان عليها أن تنسى وأن تطرد من تفكيرها "ديفيد" إلى الأبد وتبدأ مسيرتها من الصفر .

فتحت "فيكتوريا" فمها لتؤكد موافقتها إلى "جيل لاروك" . ولكن فجأة وقعت عيناها على إطار موضوع على المدفأة فشعرت بأن شيئا كالسحر استولى على مشاعرها . ولم تكن الشابة قد تنبهت قبل الآن لوجود هذا الإطار بسبب التوتر الذي كانت تظهر عليه . ولاحظت في هذا الإطار وجود أجمل صورة منقوشة شاهدتها .

كانت هذه الصورة تمثل لوحة لشابة ذات جمال خارق غير عادي، يكاد يكون غير حقيقي وهي واقفة في بقعة من الغابة لا شجر فيها . وكان شعرها الطويل يطير في الهواء وابتسامة تشع نورا تظهر علي شفتيها . كان منحنيا أمامها بكل رقة وجمال حيوان أبو قرن الأسطوري (وهو حيوان اسطوري بجسم الحصان . كان الأقدمون يصورونه بقرن في جبهته) وكان هذا الحيوان مطاطئا رأسه .

كان ثمن هذه الصورة المنقوشة يقدربمبالغ طائلة . كانت "فيكتوريا" تعلم ذلك علم اليقين وتعرف مدى قيمة هذه اللوحة لأنها في أثناء دراساتها الجامعية، كانت قد كتبت بحثا عن حيوان أبو قرن الأسطوري ، وكيف كان يظهر في الأعمال الفنية في القرون الوسطى كان عصرهذه اللوحة يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي . وكانت من ضمن الأعداد القليلة من التحف التى يرجع تاريخها إلى هذه الحقبة القديمة . وكانت الشابة قد اطلعت على هذه اللوحة في كتيب فهرسي يضم اللوحات النادرة في ذلك العصر .

علق حينئذ "جيل لاروك" الذي كان يتابع كل نظراتها :

- " لوحة رائعة .. أليس كذلك ؟ "-

- "بلي إن لديك لوحة هي في الواقع تحفة ذات قيمة خيالية وكثير من المتاحف سوف تحسدك عليها . الست تخاف عليها من السرقة ؟"

قال لها الرجل وهو يعبر عن مدى تقديره الشديد للشابة وقد ظهر ذلك في صوته الذي كان يحمل كل إعجاب وتقدير :

- " بلى يبدو وانك مثقفة جدا . فهذه اللوحة تمتلكها عائلتي منذ

أجيال عديدة . كانت هدية من ملك فرنسا إلى أحد أجدادي ؛ فقد كان يربطهما ببعض حب شديد . وقد احتفظت عائلتي بهذه اللوحة في خزينة أحد البنوك . وعندما سافروا للإقامة في جزر الساحل الأخضر لم أستطع أن أقاوم رغبتي في إخراج هذه التحفة الرائعة من خزينة البنك لكي أتامل جمالها كل يوم. إنني في الحقيقة لا أملّ أبدا من ذلك".

كانت "فيكتوريا" تنظر إلى الرجل وهي مترددة وكانت تشعر بحالة تأثر شديد للمنظر الذي كان يظهر الرجل عليه الآن . كان هذا الرجل يثير فيها الدهشة كل يوم أكثر من اليوم الذي قبله . واكتشفت بان الرجل كان . مثلها تماما - له إحساس مرهف فيما يختص بالرسم والفن والجمال وكانت الشابة قد سبق لها أن أظهرت تقديرها وإعجابها الشديدين للذوق الرفيع الذي كان يزين كل غرفة من غرف هذا المنزل .

كان "جيل لاروك" في الواقع يعشق جمع التحف النادرة حوله فقد كان يخاطر بتحفة ذات قيمة كبيرة من أجل إشباع رغبته في النظر إليها يوميا .

كان هذا الطابع الذي يتميز به الرجل يجد قبولا أكثر في عيني "فيكتوريا" .

ولكن ماذا كان يريد منها ؟ كانت ذراع الرجل ملتفة حول كتفيها وكان يدعوها الآن إلى أن تاتي معه بقرب اللوحة .

- " إنك يا "فيكتوريا" تعلمين ولاشك قصة الحصان الأسطوري الذي يبرز له قرن في جبهته المسمى بـ "أبو القرن" . كان هذا الحيوان أسطوريا ومخيفا. ولم يستطع أى إنسان أن يقترب منه دون أن يخاطر بفقدان حياته . كان الحيوان يهاجمه بقرنه القوي الذي يبرز له في أنفه فيجهز عليه . لم يستطع الاقتراب منه أي إنسان سوى الشابات الطاهرات العذارى اللاتي لم يسبق لهن الزواج .

كان الرجل ضدها . كان كل شيء ضدها. ولكنه أخذ يتمتم في أذنها:

- " لست أدري لماذا ، ولكني أعتقد أنك تشبهين على غير العادة الشابة المرسومة في هذه اللوحة ، نفس طهارة الوجه ، نفس براءة العينين . والفرق الوحيد بينكما أنه سبق لك الزواج ..

كان رد فعل "فيكتوريا" عند سماعها هذه الكلمات الأخيرة عنيفا إلى حد كبير . وادارت وجهها تجاه الرجل وحاولت ان تدفع عنها هذا الاتهام بكل عنف لماذا اشار هذا الرجل إلى زواجها ؟ وافسد هكذا فجاة سحر هذه اللحظات الرائعة ؟

يتكلم عن زواجها .. عن هذه المهزلة وعن هذه الخدعة الدنيئة التي ادت بالشابة بعد عامين من الزواج بـ "ديفيد" إلى ان يقترب منها هذا الحيوان الأسطوري المسمى بـ "ابو القرن" .

امن المعقول الا يتوفر لديها إمكان نسيان هذا الجرح وهذه الإهانة التي سببها لها هذا الزواج ؟

قالت "فيكتوريا" وقد صممت على تغيير موضوع الحديث وكانها تقبل التحدي:

- " إنني اقبل اقتراحك ياسيد "لاروك" . سوف اقوم بهذه الحملة الإعلانية . ولكنني اطلب ان تمدني بجميع المستندات التي احتاج إليها " .

على ان "جيل لاروك" شعر بدهشة غير متوقعة لرد فعل "فيكتوريا" العنيف وتحويل دفة الحديث إلى موضوع اخر فجاة ولكنه لم يظهر اي شيء .

اقترح عليها الرجل وهو يبتسم ابتسامة عريضة :

- " سوف اقوم بعمل ما هو افضل من ذلك . سوف اصطحبك صباح الغد لكي تتفقدي الكهوف وسوف نصعد معا حتى المراعي الجبلية حيث توجد هناك الآن قطعان الخراف . وبذلك سيتسنى لك مشاهدة كلا العنصرين اللذين يجعلان من هذا الجبن منتجا فريدا من نوعه لا مثيل له . هل توافقين على ذلك؟" ثم اراد ان يؤكد كلامه فاقترب منها ومد إليها يده وقال :

- " اعتبر ان الاتفاق قد تم ؟ "

رددت "فيكتوريا" وهي تضغط على يده :

- " نعم بالتاكيد لقد تم الاتفاق " .

وعندما حاولت الشابة ان تسحب يدها قام "جيل لاروك" بالإمساك بيدها كانها سجينة ثم مال عليها ووضع على كف يدها شفتيه

الملتهبتين وقبل جلدها الغض الحساس .

وتحت تاثير هذه الصدمة ، اخذت "فيكتوريا" تضطرب من قمة راسها إلى اخمص قدميها وكان كل نسيج من انسجة جسمها يرد على هذا الإحساس المرهف الذي سببته هذه الملاطفة الرقيقة .

سحبت الشابة يدها وكانها تخاف عليها من الاحتراق .

قالت له وهي ترمقه بنظرات شديدة كالعاصفة :

لا تفعل مثل ذلك إطلاقا " .

انتصب الرجل وكانت الابتسامة تظهر على شفتيه وكانه استلم الرد على السؤال الذي وجهه إليها .

واجابها وهو يشعر بانه في حالة طيبة وكان واثقا من نفسه :

- " ارجو ان تهدئي يا "فيكتوريا" ودعينا ننظر إلى الأمر. ويكفيك ان تلعبي معي لعبة العذراء التي تنفر من كل شيء لم تكن هذه في الحقيقة سوى قبلة في فراغ كف يدك . هذه طريقة لنؤكد بها اتفاقنا بإتمام هذه الصفقة وليس لها اي معنى اخر ! "

لا ... كانت الشابة ترفض ان تدخل في لعبته ! فهي لعبة خطرة على قلبها الرقيق الذي اصبح في الواقع هشا جدا سريع الكسر .

- " تعالي إذن واجلسي بجواري لتاخذي معي قدحا من القهوة قبل ان تبرد."

- "لا .. اشكرك . اريد ان ابدا عملي في الحال " .

كانت في واقع الأمر تحاول ان تبتعد عنه وان تضع كل همها في عملها حتى لا تعطي الفرصة لتفكيرها للتحليق بعيدا. وتسترجع ما قد حدث لها مع الرجل والقبلة التي اخذتها في كف يدها واحدثت في كل كيانها رعشة وشعورا بالاحتراق خاصة في المكان الذي وضع الرجل شفتيه فيه .

- "هل تريدين العمل هذا المساء ؟ الا تدركين معنى ذلك ؟ خاصة بعد هذا اليوم الذي قضيته وكنت فيه موشكة ان تفعى مغشيا عليك من الضعف بين ذراعي منذ قرابة الساعتين " .

قاطعته الشابة بعنف :

- " افضل ان ابدا في العمل حالا ! وكلما اسرعت بالانتهاء من هذا

العمل تمكنت من استرداد حريتي بسرعة أكثر " .

نظر إليها الرجل طويلا وكان يريد أن يقول لها شيئا ولكنه غيّر رأيه. وقال لها وهو يهز كتفيه :

- " كما تريدين يا "فيكتوريا" . ولو كان يعجبك أن تلعبي لعبة الشهيدة فهذا يرجع إليك وانت حرة في ذلك .أرجو أن تتبعيني إلى مكتبي " .

لم يكن مكتب "جيل لاروك" شبيها بما تراه في المسارح من زينة ومناظر براقة ولكنه كان بالفعل مكانا للعمل . كانت هناك رفوف نظمت عليها مجموعة من الكتب والإضبارات . وكانت هذه الرفوف تملأ معظم جدران الغرفة تقريبا. كانت المنضدة التي يعمل عليها موضوعة أمام نافذة كبيرة يستطيع من خلالها أن يمتع ناظريه بجمال القرية المترامية الأطراف ، والتي كانت قد أثرت بعمق على "فيكتوريا" في المرة الأولى ، التي تمكنت فيها من مشاهدتها عندما توفر لها الوقت المناسب . كان يمكن لـ "جيل لاروك" أن يرى من هذا المكان يوميا كل الأماكن المحيطة به قمم الجبل المتجهة إلى عنان السماء ، المراعي المنتشرة على المنحدرات المتدرجة. الوادي الفسيح الذي يرحب بزائريه. لاشك أن الرجل كان تحت تاثير غريب يشبه إلى حد بعيد تاثير السحر للحب الذي نشا بينه وبين هذا الجبل . لقد وصل به الاعتقاد بانه مسؤول عن سعادة وراحة سكان هذا الوادي . كل شيء كان مرده إليه ، إلى افكاره ، إلى تطلعاته ، وإلى مقدرته في التعامل . كان يحارب دون تردد او توقف حتى يحسن الإمكانات الاقتصادية لهذا الوادي القابع على سفح جبل البيرينيه .

كان على "فيكتوريا" - والفضل في ذلك يرجع إلى معلوماتها الغزيرة وثقافتها - أن تشترك هي كذلك في هذه الحرب . والقت الشابة بنظراتها إلى الوادي من خلال النافذة التي كانت مفتوحة حتى الآن دقائق معدودات . ولاحظت أن أضواء القرية كانت تتلألأ من بعيد . وشعرت بان إحساسا غريبا من السعادة يسيطر على مشاعرها. كان ذلك إحساساً تشعر بمثله منذ وقت طويل .

ودون أن تضيع منه اي ثانية كان "جيل لاروك" قد توجه إلى رف من

رفوف مكتبته واخذ منه إضبارة ووضعها أمام الشابة على المنضدة .

- " هذه هي مجموعة المستندات التي طلبتها سوف تجدين في هذه الإضبارة كل ما يساعدك على الكتابة ، والآن اتركك طاب مساؤك يا "فيكتوريا" .

وفي اقل من ثانية ترك الرجل الغرفة ، ووجدت الشابة نفسها وحيدة.

وتنهدت "فيكتوريا" بعمق وقد احست براحة شديدة لانها هربت من تحت سلطان هذا الرجل الذي كان يمارس عليها كل سلطاته . كان في الوقت نفسه يجذبها إليه ، ويسحرها بشخصيته ، ويهيج اعصابها .

وحاولت "فيكتوريا" أن تطرد بكل قوة وعنف الأفكار التي كانت تحاول أن تسيطر على روحها الهائجة. واخذت تقرا الملاحظات التي امدها الرجل بها . ولم تستطع الشابة أن تجد راحتها في الجلوس على مقعد صاحب المنزل المصنوع من الخشب على مقاسه تماما . لذلك لم تجد الشابة فيه راحتها . وفضلت أن تتمدد على السجادة المصنوعة من جلد أحد الخراف التي كانت تكسو أرضية الغرفة .

كان هذا الفراء رائعا يبعث على الراحة ويعطي إحساساً بالرقة . واتخذت الشابة الوضع المناسب لها : فتمددت على بطنها واسندت ذقنها إلى يديها .

كان امامها ارقام تتبعها ارقام اخرى .. كان "جيل لاروك" قد اعد دراسة دقيقة جدا للأسواق وكانت الإمكانات ضخمة . وعندما رفعت الشابة راسها لاحظت من خلال النافذة النجوم التي كانت تلمع في كبد السماء الصافية دون وجود اية سحب في هذا المساء من شهر يونيو.

وفي الداخل كانت طيور "الزيزان" تغرد لتعلن خبر قدوم فصل الصيف . كان صوف جلد الخروف الذي كان جسم الشابة غارقا بين وبره يعطيها إحساسا غريبا من الدفء واللذة .. واغلقت "فيكتوريا" عينيها . كانت في الحقيقة في حالة من السعادة التي لا تقارن .

كانت هناك اعداد كبيرة من الخراف ، بل الاف من هذه الخراف تحيط بها تتهافت وتتزاحم عليها . كان لزاما عليها أن تجد الطريق .. أن تعثر عليه . كان يجب عليها أن تعود ادراجها . كان عليها أن تعود إلى

"لندن" وان تبحث عن عمل وان توقع عقدا . ولكن اين هو هذا الطريق ؟

كان قد اختفى عنها . وماذا بشان هذه الخراف التي تحيط بها .. لا لم تكن هذه خراف بل حجارة . كانت حجارة ضخمة تزداد ضخامتها اكثر فاكثر ...

كانت "فيكتوريا" تحاول ان تتسلق ... ان تتسلق دائما إلى اعلى وكانت في الأعالي .. في السماء ، بعض السحب السوداء تتجمع .. وكان احد الطيور الجارحة يدور حول راسها. كان امامها الجبل ، وكانه يوجه اسواره التي لا يمكن اجتيازها وفجاة ظهر حيوان ضخم كان وجهه متجها إلى الشابة وكان يسد عليها طريقها . كان حيوانا هائلا له قرنان متشعبان .كان هذا الحيوان كبشا ملك القطعان . كان يقترب ناحيتها مهددا . وشعرت "فيكتوريا" بالرعب وكانت تحاول ان تعود إلى الخلف لكي تهرب . ولكنها فوجئت بان خلفها يوجد الفراغ الذي كان يريد ابتلاعها . ووقفت وهي تصرخ وقد اختطفها هذا الفراغ اللامحدود .

- ارجوك يا "فيكتوريا" ... ارجوك يا "فيكتوريا" ان تستيقظي ! "

كانت هناك يدان تهزانها من كتفيها . وحاولت الشابة ان تجلس وهي تحت تاثير هذا الكابوس المفزع وقد بدات الدموع تنهمر من عينيها .

كان "جيل لاروك" جاثما على ركبتيه بالقرب منها وكان القلق باديا على وجهه.

قال لها حينذاك وهو يجذبها نحوه :

- " لا تخافي يا "فيكتوريا" إنك في امان " .

تركت نفسها دون اية مقاومة واخفت راسها في فراغ كتفيه .

- " اعذرني يا "جيل" .. اعذرني لقد اخذني النعاس . كنت ضحية لكابوس مروع ! كنت في الجبل وسقطت .. "

تمتم إليها الرجل وهو يمسح بكل رقة شعرها :

- " لقد انتهى كل شيء يا "فيكتوريا" .

حاولي ان تهدئي .إنك تطلبين عمل الكثير بإمكاناتك . كان هذا اليوم بالنسبة لك صعبا جدا على اعصابك " .

كانت الشابة قد نادته باسمه "جيل" وكانت كذلك قد ارتمت بين ذراعيه !

ماذا حدث لها ؟

وسرعان ما عادت "فيكتوريا" إلى حالتها الطبيعية وشعرت بشيء من الخجل وحاولت ان تبتعد عنه .

- " ارجو المعذرة ياسيد "لاروك" لانني تصرفت الآن على هذا النحو وما كان يجب علي عمل ذلك ! "

- " ارجو ان تناديني "جيل" .

قال لها الرجل هذا الكلام وهو يجذبها مرة ثانية نحوه بمنتهى الرقة واللطف . وحتى لا يسبب لها اي رعب وضع اصبعه تحت ذقنها والزمها برفع عينيها إليه .

- " لماذا هذا الحزن في عينيك الجميلتين يا "فيكتوريا" ؟

من اي شيء تخافين ايتها الفتاة الصغيرة ؟

إنك كنت في وضع استعداد غريب وكنت خائفة خوفا عظيما يبدو انك كنت تهربين من شيء ما . ولكن ما هو هذا الشيء ؟ ان اتركك ترحلين .. "

كان الرجل منحنيا نحوها. وكان يضع شفتيه على شفتيها . وتوقف العالم كله عن الحركة بالنسبة لـ "فيكتوريا" .

وكانت الشابة قد ابطلت قوة إرادتها بصفة كاملة . كانت قد اغلقت عينيها وكان جسمها كله مائلا نحوه وكانت تتقبل منه كل ملاطفاته ومداعباته .

- "فيكتوريا" .

اهتزت الشابة بعنف . كان للرجل طريقة معينة يردد بها الاسم الشخصي لهذه الشابة ، مما جعلها تشعر باضطراب شديد ، وبانها في حالة ذوبان . هذا النداء الملئ بالعواطف إلى جانب نبرات صوته العميقة التي تصدر عن رجل كامل الرجولة اسقطت آخر الحواجز التي كانت تحاول "فيكتوريا" ان تتمسك بها وان تضعها بمثابة حائل ضد كل هذه المحاولات وفتحت "فيكتوريا" شفتيها لكي يتمكن الرجل من امتلاك فمها بطريقة كاملة ، ودون صعوبة . ولكن في نفس الوقت الذي

كان فيه الرجل يحاول أن يسقطها علي السجادة استرجعت "فيكتوريا" إرادتها مرة ثانية لا .. لن تدع نفسها رهن الاعيبه . كانت الشابة تعلم علم اليقين ان سيد الوادي لم يكن ينظر إليها إلا كما ينظر إلى أي سيدة يقضي معها بعض الوقت للتسلية والاستمتاع ، رغبة منه في التمتع بلحظات من الإغراء . وكانت الشابة ترفض ذلك تماما .

ومنذ وجودها في هذا المنزل لم تكن "فيكتوريا" في الواقع سوى دمية يحركها حسبما يريد ويلهو بجنب خيوطها كلما أراد ذلك .

الم يكن قد اختطفها قبل ذلك ووضعها تحت رحمته بعد ان اتهمها بتعاطي المخدرات وبالسرقة ، بالاشتراك مع شرذمة من أصدقائها وهو يعرف تماما انها لا تملك اية طريقة تبرئ بها نفسها ؟

الم يودعها في حصنه وترك لها ابواب هذا الحصن مفتوحة لغرض ما في نفسه . وبناء على رسم معين كان قد حدد معالمه طبقا لتخطيط مدروس ؟ بالتاكيد كان الرجل يلعب معها كما تلعب القطة مع الفار فتتركه يهرب من بين مخالبها لكي تتملك منه مرة اخرى وبطريقة افضل . إنها في الحقيقة لعبة قاسية لا تترك للفار اي سبيل للنجاة او لكسب المعركة .

وهذا المساء كان الرجل ولاشك قد انتصر في معركته بعد ان قدم لها عشاء فاخرا على اضواء الشموع وبعد ان اوقد المدفأة بنار هادئة وبعد ان افترش ارضية غرفة مكتبه بسجاد وثير مصنوع من جلد الخراف .

تمكنت "فيكتوريا" من الاستيقاظ ومن ترتيب بعض الاعمال الخاصة بالمشروع الموكل إليها .

- إنك تتمادى في طلباتك ياسيد "لاروك" . الم يكفك انك اقنعتني بالعمل إلى جوارك ولكنك تطلب إلي جانب ذلك اشياء اخرى لا استطيع ان اوفرها لك ؟

رد عليها الرجل بصوت صارم وهو يهم بالوقوف :

- " يكفي هذا يا "فيكتوريا" ارجو ان تسامحيني على ما بدر مني . كان في الواقع كل جسمك يرتعش خوفا وكنت تبدين ضعفا شديدا . ولذلك اعدك بان شيئا مثل هذا لن يحدث إطلاقا بعد الآن . ومع ذلك

ارجو عدم التمادي في كلام لا يستند إلى الواقع . فلقد استجبت إلى مداعباتي وملاطفاتي فلماذا تنكرين ذلك ؟ فلست انت في الحقيقة بطفلة صغيرة .

ولاشك انك تدركين ان وجود شخصين في مكان بعيد عن العيون يحتم انجذاب احد الشخصين نحو الآخر .

- " يكفيني هذا القدر .. يكفيني! "

كانت "فيكتوريا" تحاول ان تسد اذنيها كي لا تسمع الكلام الذي يجرح حياءها .

كف "جيل لاروك" عن الكلام واختفت الابتسامة الساخرة التي كانت ترتسم على وجهه .

اخذ ينظر إليها بكل حدة . وقد تقطب حاجباه . وقال الرجل بكل رقة وهو يلمح وجه الشابة الذي تبدو عليه علامات العذاب :

- " ارى انك متعبة يا "فيكتوريا" اصعدي إلى غرفتك وحاولي ان تنامي . ففي الغد ينتظرنا عمل قاس . "

الفصل السادس

كان الاثنان يمشيان منذ بضع دقائق تحت الجبل الواحد خلف الآخر. كانا يعبران ممرا ضيقا تغشاه الرطوبة والبرودة . وكانا يسيران إلى مكان بعيد . كانا قد قطعا مسافة كبيرة من الأرض . وكانت "فيكتوريا" تشعر بعدم الرضا في بادئ الأمر . وبانها في ضيق من امرها . ولم تكن من الجراة بحيث تبدي اي اعتراض خوفا من إثارة غضب مرشدها. وهي تعلم ولاشك مدى عنف رد فعله في مثل هذه الحالات . كان "جيل لاروك" يسير امامها دون ان يلفظ ببنت شفة .

كان يخبرها فقط متى يجب عليها ان تطاطئ راسها او ان ترفع قدمها عندما تقترب من اي عائق حتى تتفاداه . وقبل ذلك بدقيقة واحدة كانت الشابة قد صرخت باعلى صوتها رعبا عندما شعرت بان يدها التي كانت تتلمس طريقها على احد الجدران لمست خيوط عنكبوت .

وبعد هذا الحادث فضلت الشابة ان تضع يديها في جيبي سروالها الذي ارتدته لهذه المناسبة بالذات وكانت تسير قدما وقد تضرست اسنانها وهي تنظر بكل انتباه إلى مؤخر راس الرجل الذي كان يسير امامها وتملأ ضخامة جسمه عرض هذا السرداب الممتد تحت الأرض.

لا .. لن تعطيه إطلاقا الفرصة لكي يسخر منها بان تظهرله خوفها . سوف يسعد بذلك كثيرا . وكانت الشابة متاكدة تماما أن الرجل يحاول ان يختبر صلابتها وقوة عزيمتها .

وفي فجر هذا اليوم كانت "مونيك" قد طرقت باب غرفته . وبعد ان تناولا فطوراً وفيرا حاولت فيه "فيكتوريا" بطريقة تبدو بعيدة عن مبادئ الوقار ان تاكل كمية كبيرة من هذا الجبن المصنوع من البان النعاج في مصانع "لاروك" ؟

بعد ذلك اخذها صاحب المنزل بطريقة سرية في سيارته اللاندروفر" وقد سلكا طريقا يمتد داخل الغابات غير معبد اوصلهما إلى باب ضخم مصنوع من خشب الأرو . وكان هذا الباب يسد فتحة محفورة في قلب الصخر نفسه .

سالت الشابة الرجل وهي في حيرة من أمرها :

- " إلى اين تقتادني ؟ "

- " إلى اين تعتقدين انني اقتادك ؟ هل تعتقدين انني اقتادك إلى مغارة ذي اللحية الزرقاء ؟ هل تشعرين بالخوف يا "فيكتوريا" ؟ "

نظر إليها "جيل لاروك" نظرة سخرية ثم اكمل كلامه :

- " لا تخافي على الإطلاق يا انسة ياظريفة . إنني لم احفر في قلب الجبل مخبا لكي اخفي فيه الشابات الجميلات بعد ان اكون قد نلت منهن ماربي ! لكنني اخفي عنك مفاجاة " .

- وبعد أن هزت "فيكتوريا" كتفيها تبعته بكل وداعة . ولكن الدقائق كانت تمر وبدات تشعر بإحساس غريب يتسلط عليها لوجودها في هذا المكان المغلق.كانت تختنق من هذا الوضع على الرغم من اقتناعها بوجود اطنان واطنان من التراب ومن الصخور فوق راسها .

كانت الشابة موشكة ان تطلب منه الوقوف وان يعود ادراجه إلى الوراء عندما لمحت فجاة أن السرداب كان قد وصل إلى نهايته .

وحاولت "فيكتوريا" ان تكتم صيحة تقديراوشكت ان تفلت . كانت الشابة قد بدات تسلك طريقها .داخل كهف طبيعي داخل احد هذه الروائع التي تتركك دهشا فاغرا فاك . وبما ان "فيكتوريا" كانت في وضع لا تستطيع معه ان تتكلم . فقد وقفت هناك متحجرة امام هذا المنظر الرائع الذي كان يظهر امام عينيها المبهورتين . كانت الرواسب الكلية المتحجرة سواء الصاعدة منها او الهابطة تدخل في تكوين اعمدة هذا الكهف الذي يشبه إلى حد كبير كاتدرائية (اي كنيسة ضخمة) شيدت طبقا لأسلوب العصر الباروكي الذي ساد اوروبا في القرن السابع عشر الذي كان يمتاز باعمدته المدببة كالإبر . هذا من جانب ومن جانب آخر بالأحجام الغريبة ، وكان نحاتا عملاقا كان يلهو في إنتاج مجموعة من الحيوانات المضحكة الشكل والممسوخة .

كانت الألوان اكثر غرابة . وكانت المياه وهي تزحف على الأحجار تنقل معها مواد ملونة تتولد من التراب والنبات الذي يسبح على سطح هذا الماء . وكانت هذه المواد الملونة تترك وراءها آثارا تشبه إلى حد كبير النقوش العربية الأصيلة ذات الألوان الحمراء والصفراء

والأحمر الترابي . كانت هذه الألوان تظهر بوضوح على هذه الحجارة المنحوتة بقوة الطبيعة .

كانت نتيجة هذا مؤثرة وعظيمة . ولو وضعت إحدى آلات عرض الأفلام في مكانها الملائم لاستطعنا ان نقدر هذه المناظر الفخمة حق تقديرها

افاقت "فيكتوريا" على صوت "جيل لاروك" وكانت قبل ذلك مستغرقة في تاملاتها :

- " لقد تم اكتشاف هذا الكهف في بداية هذا القرن بواسطة جدي الذي حاول بعد ذلك ان يصنع منه حجرة استقبال للزائرين ، واقام به تركيبات كهربية . ولكن للأسف تخلت عائلتي منذ بضع سنوات عن هذا المكان وتركته مفتوحا للعامة واستبيحت فيه كل وسائل الهمجية والنجاسة ثم كان الفضل يرجع إلى القرار الذي اتخذته في الوقت المناسب ، وهو ان أسترجع الكهف وانقذه من ايدي المخربين ولكن بالنسبة لي لن اغلق هذا الكهف ابدا . فهو في الواقع جزء من الأماكن الفاتنة التي قضيت فيها صباي ولا أستطيع ان اعد الساعات التي قضيتها في هذا المكان الجذاب .

بالإضافة إلى ان شيئا مهما قد سيطر على كل مشاعري وهو ان هذا الكهف يحتفظ بنفس درجة حرارته في الصيف كما هي في الشتاء .

وقد سيطرت علي فكرة معينة منذ بضعة اشهر ..

اخذ "جيل لاروك" حينئذ يد الشابة وامرها وهو يجذبها :

- " اتبعيني يا "فيكتوريا" . فعلى الجانب الأيمن في مكان غير ملحوظ وفي نفس المكان السابق كان هناك كهف ثان اصغر من هذا الكهف كثيرا واقل منه روعة من حيث المنظر.

في هذا الكهف وضعت رفوفاً مليئة بقطع الجبن مئات من قطع الجبن . اى كهف هذا ! إن هذا المكان العجيب كان كهفا !

- إنه لشيء مثير .أليس كذلك ! هذا هو الكهف حيث يخزن الجبن وتتوفر له احسن الظروف . هذا الجبن من إنتاج "لاروك" !

شرح الرجل للشابة :

- " لقد قمت بعمل التحليلات اللازمة .. وراعيت درجة الحرارة

المناسبة . ودرجة الرطوبة .. وتاكدت من دقتها لكي أصل بهذا الجبن إلى نوع من النضج الكامل . فهي ولاشك هدية الله القادر .

وهناك في الواقع توافق عجيب ارجو ان استغله بطريقة مُثلى لصالحي . ماذا تعتقدين فيما سبق ان قلته لك ؟ "

كانت آثار السخرية قد اختفت بالكامل من فوق وجهه .

كان وجه الرجل الآن يشع نوعا من السعادة الداخلية .

كانت عيناه تلمعان وتطلقان شررا كانهما نجمان . كم كان هذا الرجل مدهشا!

كان مولعا بحبه الشديد لعمله الذي يكون شيئا واحداً مع من يجاوره . كان مسؤول الدعاية قد صوّره وهو مرتد بذلة كاملة يقف إلى جانب سيارة سباق حمراء من النوع الذي يمكن رفع غطائها . لقد مرّ المسؤول عن الدعاية بجوار الشخصية التي كان يحاول تصويرها ولم يتمعن فيها . ففي الحقيقة لم يكن "جيل لاروك" يشبه هذه الشخصية الممسوخة لرجل الأعمال المثالي ...

وعندما خرجت "فيكتوريا" إلى الهواء الطلق كانت عيناها لاتزالان في حالة انبهار من جمال الكهف الذي تركته منذ لحظات . ولكنها لم تشعر بالحزن من جرّاء ذلك حتى يتسنى لها ان ترى مرة ثانية السماء الزرقاء وضوء الشمس . كانت العودة إلى هذا الكهف البارد الرطب ستؤثر ولاشك من جديد على اعصاب الشابة وتضعها امام تجربة قاسية . واستندت لحظة من الوقت على باب السيارة اللاندروفر لتلتقط انفاسها ولتسترجع ذكرياتها .

اخذت تتمتم حتى توجه إليها انتباه "جيل لاروك" الذي كان يغلق الباب الضخم المصنوع من خشب الأرو بالمفتاح .

- " من يمكنه ان يصدق ان تحت هذه الكتلة من التراب والحجارة توجد مثل هذه الروعة " .

اقترب الرجل منها وازاح بمنتهى الرقة ضفيرة الشعر الكثيفة التي كانت مسترسلة على عينيها واجاب على سؤالها بصوت مملوء بالعاطفة :

- " إن الطبيعة سوف تشملنا دائما بروعتها وتعقيداتها . إنني قد ولدت في هذه الناحية ، ومع ذلك كل يوم اكتشف شيئا جديدا .

مثال ذلك هذه القرية . فهل سبق لك أن رأيت أجمل من ذلك ؟

فهي تغيّر لونها في كل ساعة من ساعات اليوم .

كانت نظراته متجهة إلى قمم الجبال . كانت الشمس تشرق متباطئة وكانت تلقي باشعتها الأولى التي لم تزل ضعيفة الضوء على السور المصنوع من حجارة الجرانيت الذي كان منظره يهدد الشابة في الليلة الماضية عندما هبط الظلام وشمل كل شيء ولكن في الصباح كان لون هذا السور يميل إلى اللون الوردي ، وكانت قطع الميكا الصغيرة التي تحتوي عليها الأحجار تلمع متلألئة كانها الاف مؤلفة من البؤر الملتهبة . كان السور يصدر بريقا اشبه بوميض حجر الماس .

خفض الرجل عينيه تجاه الشابة فالتقت اعينهماوتشابكت والتحمت وحدث بينهما تواطؤ يشبه تماما موقفهما أمام اللوحة الرائعة للشابة والحصان الأسطوري "ابو القرن" حدث هذا التواطؤ بينهما وكان العاطفة التي شعر بها كلاهما امام منظر الطبيعة الخلاب كانت قد نسجت بينهما قيودا غير مرئية .

وكان "جيل لاروك" هو اول من حاول ان يضع حدا لهذا التجاذب .

وفي محاولة لإظهار اسفه اتجه الرجل إلى باب السيارة وفتحه ودعا الشابة - بعد ان انحنى امامها - للركوب .

- " الزيارة لم تنته بعد . يجب علينا ان نصعد إلى المراعي الجبلية".

وبدات اغرب رحلة لـ "فيكتوريا" بالسيارة ، لم يسبق لها ان قامت بمثلها . كان الطريق الممتد عبر الغابات سيئا مليئا بالحصى الضخم وكان احيانا يضيق حتى أن السيارة اللاندروفر كانت تحتك بالأحجار المرصوصة على الجانب الأيسر حيث يوجد السائق اما على الجانب الأيمن فكانت الشابة تعتقد اعتقادا اكيداً أن عجلة السيارة كانت تدور احيانا في الفراغ . وتذكرت الشابة انها رات في يوم من الأيام كتابا وثائقيا قام بتنفيذه احد زملائها حول موضوع "الرحلة البحرية الصفراء" كانت هذه الرحلة الشهيرة تشحن سيارات "سيتروين" من باريس إلى بكين . وكان احيانا في المناطق الجبلية من وسط اسيا

الميدان المعد لاستقبال هذا العدد من السيارات من الضيق بحيث كان ربان السفينة يقوم بفك السيارة وينقل قطعها المفككة قطعة قطعة ثم يعمل على تركيبها في مكان ابعد قليلا من الميدان المذكور .كانت "فيكتوريا" تغلق عينيها كلما اضطر الرجل إلى المرور بسيارته من بعض الممرات . وهي معتقدة تماما أن السيارة لن تستطيع إطلاقا المرور من هذه الأمكنة وان على "جيل" الوقوف وفك سيارته اللاندروفر لكي يعيد تركيبها في الناحية الأخرى .

ولكن السيارة كانت تمر وتشعر الشابة بإحساس غريب انها كانت معلقة بين السماء والأرض .

كانت الشابة تحاول التغلب على خوفها الشديد الذي يدفعها إلى رغبة عنيفة لا تقاوم بان تصرخ في كل دوران كانت السيارة تقوم به .

ولكن بعد حين استطاعت "فيكتوريا" ان تسترد سكينتها وتتاكد من فاعلية السيارة ومهارة السائق . وبالإضافة إلى الهدوء الذي هيمن على الشابة كانت "فيكتوريا" تجد تسلية كبيرة في التفكير في التحدي نحو في هذا التصرف الذي تتعرض له والذي تحاول البلاء فيه في حدود إمكاناتها وكانت الشابة تشعر بحالة من السحر وكانت تنظر باستمرار إلى يدى "جيل" على عجلة القيادة وعلى عكس الطريقة التي كان يقود بها السيارة صباح يوم اختطافها كان الآن يقود سيارته اللاندروفر بطريقة كلها رقة ومرونة .

وكان يحاول التعامل بالحسنى مع اي دوران يصادفه في الطريق . كان الرجل يقيم سدا بسيارته . ولم تكن "فيكتوريا" في حاجة إلى أن تتشبث بمقبض باب السيارة مثلما فعلت هذا الصباح . كانت تهتز اهتزازاً خفيفا كان "جيل" قد عمل على تعبيد الطريق وإزالة جميع النتوءات وسد جميع التجاويف حسب ما يقتضيه الأمر .

وبعد ان قطعت السيارة الجزء الأخير من هذا الطريق بدات تتسلق طريقا اخر كان يمتد امامها ثم يتلوى كالثعبان داخل مساحات شاسعة من الأعشاب حيث كانت ترعى مئات من الخراف بهدوء .

لقد وصلا إلى المراعي الجبلية !

وقفت السيارة اللاندروفر عندئذ بجانب كوخ بدائي كان جالساً إلى

جواره رجلان على احد المقاعد وكان عند اقدام هذين الرجلين يتمدد كلبان ضخمان من كلاب المراعي وهما يلتهمان قطعتين من الخبز الريفي - وهو نوع من الخبز التقليدي الذي ينضج على نار الخشب - وكانت "فيكتوريا" تجد متعة كبيرة في اكل مثل هذا الخبز اللذيذ خاصة وان وجهه الداكن اللون كان يابساً ورقيقاً .

وعلق مرشدها وعلى وجهه ابتسامة :

- " لقد حانت ساعة تناول الخبز اليابس الرقيق . إنها ساعة مقدسة مثلما يحدث في انجلترا عند تناول كوب الشاي ! " .

وعندما نزل الاثنان من السيارة انتصب الرجلان واقفين من مقعديهما وجرى الكلبان نحوهما ينبحان ويؤكدان سعادتهما وامرهما الرجل وهو يداعب كلا منهما :

" اخلدا إلى النوم يا "سام" ويا "روكي" .. اخلدا إلى النوم ياكلباي ! استلقى الكلبان للنوم عند قدميه " .

وضغط "جيل لاروك" على يد الراعيين وتبادلوا جميعا الحديث باللهجة المحلية للقرية بينما كان واحد منهما يعد شطيرتين .

استدار "جيل" تجاه "فيكتوريا" وقدم إليها شطيرة وهو يحذرها :

- " سوف تتذوقين احد الماكولات الاخرى الخاصة بهذه القرية : لحم الخنازير المعروف باسم "الجابنون" المدخن الذي تدخل في صنعه بعض انواع الحشائش الجبلية " .

اخذت الشابة تلتهم بكل شوق هذه الشطيرة التي قدمت إليها . وكانت تفكر وهي في دهشة من امرها كيف اكتشفت انها اصبحت كالفول مفتوحة الشهية بينما كانت في لندن ربما ترفض تناول اقل كمية من الطعام ؟

لاشك في ان هواء الجبل هو السبب في ذلك . وعندما رفعت راسها لاحظت ان نظرات الرجال الثلاثة ترمقها في انتظار إبداء رايها في هذا الطعام .

وأكدت الشابة :

- " بالتاكيد إن هذا الطعام طيب - طيب جداً " .

استرخت وجوه الرجال : لقد نجحت الشابة الإنجليزية في الامتحان

كيف لا يوافقون على راي شابة اجنبية تبدى تقديرها لاشياء البلاد الطيبة ! وضع الرجل الذي سبق وان اعدلها الشطيرة فوطة نظيفة على المقعد ودعاها إلى الجلوس . واخذت "فيكتوريا" تفكر وقد تاثرت من هذه اللفتة الطيبة التي ابداها هذا الراعى تجاهها :

- " كم هو مرهف هذا الإحساس " .

كانت هذه الرحلة غير المنتظرة امام هذا الكوخ القديم المصنوع من الخشب بينما كانت اولى اشعة الشمس تبعث حرارة بطيئة وبينما كانت نظرات الشابة تضيع في المساحات الواسعة من الاعشاب الغضة التي كانت تمتد تحت قدميها .. كل ذلك كان يسبب لها إحساسا غريبا:

إنها تعيش مشهدا لا ينتمي إلى وقتنا الحالي ولكنه كان يجب ان ينتج الافا والاف المرات منذ فجر الإنسانية :

مثل تقسيم الطعام في الصباح عند بزوغ الشمس بين احضان طبيعة مهيبة ومتوحشة .

وكان على الشابة ان تستمد اروع تاثير من الهدوء والسكينة كم كانت تبدو لندن بعيدة بضغوطها اليومية التي لا تنقطع ! كم كانت تشعر الآن بانها تختلف عن تلك الشابة الضعيفة الهشة ، المثقلة بكل انواع الكروب والاعباء ، تعيش على اعصابها .

وقد وصلت إلى هذه المنطقة منذ ايام قليلة مضت . الم يكن لزاما عليها ان تجد هذا التغيير الذي حدث لها في هواء الجبال اكثر بكثير من العمل المثير المسند إليها وعليها ان تنتهي منه ... واكثر من كونها امام او بجانب "جيل لاروك" ؟

لم يكن في مقدور "فيكتوريا" ان ترد على هذه الأسئلة . كانت كبرياء هذا الرجل، واكتفاؤه الكامل، وطريقته المتسلطة التي لايصدقها عقل... ترغمها احيانا على الخروج من شعورها . ولكن في نفس الوقت كان لزاما عليها ان تعترف بانه كان يجذبها نحوه كما يجذب ضوء المصباح الفراشة . كان يسحرها كان بالفعل قويا جدا ، مكتمل الرجولة ، يبعث على الطمانينة.. كان بالتاكيد مختلفا جدا عن "ديفيد"!

ولكن جناحي الفراشة قد يحترقان من حرارة المصباح الذي يجذبها. وقد اقسمت "فيكتوريا" بالا تترك نفسها إطلاقا لكي تحترق . لقد

تعنبت كثيرا ! سوف تترك هذا المكان وهذا الرجل عندما تنتهي من عملها . وكلما اسرعت في ذلك كان افضل بالنسبة لها !

قطع صوت "جيل لاروك" حبال تفكيرها :

- " انت تدركين الآن عالمي يا "فيكتوريا" تدركين كل الاشياء التي تحيط بي يوميا والمناظر الطبيعية وكل ما يلزم لصناعة المنتج الجديد الذي يجب عليك ان تساعديني في تعريفه . ففي فصل الصيف تقضي الخراف نحو خمسة اشهر في المراعي الجبلية . واما في فصل الشتاء القطعان تكون في حظائرها في اخر الوادي فلا تخرج منها خوفا عليها من الثلوج . وحينئذ تعيش هذه القطعان علي العلف .

وعندما تسيل الثلوج في شهر مايو تخرج القطعان والرعاة إلى المراعي الجبلية حيث تعيش في هذه المراعي حتى اول سقوط الثلوج ابتداء من شهر اكتوبر : ويسمى هذا النوع من الترحال في نفس المنطقة :

السعي وراء الكلأ في مواضعه الاصلية " .

وبكمية اللبن التي نستطيع تجميعها في اثناء إقامة القطعان في مناطق المراعي - بهذه الكمية فقط نعمل على تصنيع جبن "لاروك" فهو لذلك منتج من الدرجة الأولى صحي وطبيعي .

كانت "فيكتوريا" على يقين من كل الكلام الذي كان يؤكد عليه الرجل ولم تكن تشك في ذلك قيد انملة خاصة وان الفرصة تهيأت لها لكي تقدر هذا الكلام . كان عليها الآن ان تجد الكلمات المناسبة والاصطلاحات الضرورية والصور التي تحتاج إليها حتى توصل رسالتها إلى جموع المستهلكين . كان هذا هو مجال العمل الذي ستكرس له كل جهدها خلال الأيام القادمة دون أي حق لها في التوقف عن متابعة ما بدأته .

وكلما كان "جيل لاروك" يسأل الرعاة باللهجة المحلية عن شيء ما كان احد الرعاة يشير بإصبعه ناحية احد الاحراش بين المراعي الجبلية .

قال حينئذ صاحب هذه الأراضي وكان لمعان نظراته يوحي بانه يقول هذا الكلام رغبة منه في التسلية :

- " لكي تنتهي من هذه الزيارة أود ان اقدم لك شخصا خارجا على

المعتاد يلعب دورا أساسيا بين قطعان خرافي فقامت "فيكتوريا" وتبعته دون مناقشة . الم تكن في اخر الأمر في خدمته ؟

وصلا إلى تلك الغابة الصغيرة الكثيفة الأشجار في لحظات معدودة واخذا يدوران حولها واخيرا وجدا امامهما فجاة حيوانا ضخما . كانه وحش .

كان يزين راسه قرنان هائلان يرتفعان إلى اعلى في دوائر متعددة . كان هذا الحيوان هو الكبش واي كبش ! لم تكن "فيكتوريا" قد رات قبل الآن حيوانا ترك في نفسها مثل هذا الانطباع والتاثير ، شعر الكبش بشيء من الضيق وهو يتناول وجبة غذائه فاخذ ينظر إلى الشابة والشرر يتطاير من عينيه فتراجعت الشابة إلى الخلف مذعورة كان يبدو على هذا الحيوان انه استيقظ في الحال من كابوس في الليلة السابقة أكثر شراسة .

كان "جيل لاروك" يتسلى بالتاكيد بكثير من التاثير الذي سببته هذه المقابلة الفجائية للشابة وهي تتقابل وجها لوجه مع هذا الحيوان المتوحش .

- " هذا هو "كازانوفا" يا "فيكتوريا" وهو افضل كبش في كل المنطقة . وكذلك في المناطق التي تقع عبر الحدود إذ كنت احكم على ذلك من الأطماع التي تثار من حوله . وكل عام في فصل الخريف عندما تكون القطعان في الوادي اقيم حفلا كبيراً ارتب خلاله مباراة يحصل منها "كازانوافا" دائما على الجائزة الأولى ".

وفكرت "فيكتوريا" ولم تكن مطمئنة إلى معرفة ان هذا الحيوان الذي كان يرسل إليها نظرات تهديد هو في نفس الوقت كوكب لامع في هذه المنطقة "ربما كان كذلك ولكنني لا اشعر بميول نحوه " .

تصورته لحظة وهو ينظر بشراسة وراسه منخفضة إلى تلك الغريبة التي سمحت لنفسها ان تعوقه عن تناول وجبة غذائه .

ودون أي تفكير بعد ان احست بالخوف الشديد استدارت الشابة وهربت بسرعة من امام هذا الوحش . واحست ان صوت خطوات تسير خلفها فاخذت "فيكتوريا" تسرع الخطا وقد استبد بها الخوف اكثر وكانت عاجزة عن النظر خلفها لتتاكد ما إذا كان هذا الكائن الذي

يتبعها هو الكبش نفسه أم صاحبه .

كانت الخراف من حولها ترعى بهدوء ولكنها اخذت تهرب في كل اتجاه عندما كانت تقترب الشابة منها وهي تثغو خائفة .

لمحت الشابة فجاة جدولا يقطع عليها طريقها وقبل ان تحاول القفز وهي في حالة تردد شعرت بان يدا تلمسها من كتفها تحاول الإمساك بها كان ذلك متاخرا جدا . كانت قد قفزت ولكنها فقدت توازنها فسقطت في الجانب الآخر للجدول على العشب القصير وسقط مطاردها إلى جوارها .

جريا بضع ثوان على المنحنيات المتدرجة قبل ان يتوقفا . نظر كل منهما إلى الآخر وقد تشعث شعرهما وكان قلباهما ينبضان بكل قوة في صدريهما بعد هذا الجري المجنون .

الفصل السابع

وعندما فتحت "فيكتوريا" عينيها تاكدت ان كلا منهما كان بين ذراعي الآخر وكان جسماهما متلاصقين .

كانت الشابة تتساءل وهي مازالت تحت تاثير الصدمة لما حدث بينهما :

- " كيف حدث مثل هذا الامر ؟ "

بينما كانت الشابة تسقط على الأرض اضطر "جيل" بجهد خارق ان يحميها بجسمه وان يتلقى بدلا عنها قسوة هذا السقوط وبذلك يخفف عنها وقع هذه الصدمة لانها سوف تسقط عليه قبل ان تصطدم بالأرض وابتعد الرجل عن وضع العناق الذي كانا عليه وجلس بكل تحفظ وساعدها على ان تعمل نفس الشيء وحاول ان يسالها وهو يشعر بالقلق :

- " هل انت مصابة ؟

كيف يمكن ان تصاب وقد حاول الرجل بكل فاعلية ان يحميها من السقوط على الأرض ؟

هزت "فيكتوريا" راسها وحاولت ان ترتب من اوضاعها . وفجاة بدات تضحك بملء فيها عندما تذكرت شريط الأحداث في لحظة تجل : التقاؤها بـ "كازانوفا" - خوفها الشديد منه .. القدم التي كانت تسير وراءها وتسبب لها حالة من الجنون .. جدول المياه . سقوطها المروع . كانت ضحكتها صادقة تكشف عن مدى سعادتها. كانت ضحكة لم تكن الشابة قد استرسلت في مثلها منذ وقت بعيد . كانت ضحكة لها صفة الانتشاء لأن "جيل" بدوره وبعدها بثانية انفجر ضاحكا بكل قوة .

اخذ الجبل الذي كان يشاركهما شعورهما يردد صدى ضحكاتهما التي اختلطت ببعضها وبعد عدة دقائق طويلة هدات ضحكاتهما المجنونة ووضع "جيل" يديه على كتفي الشابة واستعاد وجهه فجاة رزانته وقال لها بكل لطف :

- " حاولي ان تضحكي اكثر من هذا لانك عندما تضحكين - وهذا

لايحدث منك إلا نادرا - تكونين جميلة جدا .. "

كان الرجل يريد ان يتكلم اكثر ولكنه كفّ عن الكلام كان شيئا منعه من الاسترسال في كلامه إلى ابعد من ذلك او كان حلقه افتقد فجاة . وكان متاثرا جدا ولم يستطع ان يتلفظ بكلمة اخرى اكثر .

وعندئذ بدا ثقل يديه يزداد قسوة على كتفيها وجذبها نحوه .

وكانت الشابة تشعر بانها عاجزة عن اية مقاومة وقد تلاشت إرادتها وعندما رات وجه "جيل لاروك" يقترب من وجهها اغلقت عينيها.

- " فيكتوريا" !

كان صوته في هذه اللحظات لا يتعدى التمتمة الخفيفة وهو مفعم بارق العواطف التي لم تكن الشابة تعهدها فيه من قبل وامتلات شفتاها برغبة شديدة وكانتا تسبقان بكل اشتياق اللحظة التي ستلتقيان فيها بشفتيه اللتين غمرتهما بشعور رائع في الليلة السابقة.

كانت "فيكتوريا" تحاول ان تسال نفسها إذا كان في إمكانها ان تحب . ولكنها كانت متاكدة من انها لن تستطيع ان ترد على هذا السؤال . لان قلبها كان قد مات كانت على ثقة بانها لن تستطيع ان تحب بعد ما حدث لها .

كان الجرح الذي سببه لها "ديفيد" مازال مفتوحا لم يغلق وكان يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم إلتئامه فمازال ينزف بغزارة حتى الآن.

وفجاة افاقت "فيكتوريا" من الحلم الجميل الذي عاشت فيه وكان ثعبانا قد لدغها . فانتصبت واقفة واخذت تصلح من هندامها تاركة "جيل" في حيرة من امره وهو يشعر بمدى الإخفاق .

سالها الرجل وقد تقطب جبينه فجاة :

- ماذا بك يا "فيكتوريا" ؟"

- " إنني اشعر بالحزن يا "جيل" ولا استطيع ان استمر في ذلك .. "

لم تتمكن الشابة من ان تنهي كلامها وبقفزة كان الرجل قد انتصب واقفا وامسكها من كتفيها واخذ يهزها بعنف وقال لها :

- " كيف يحدث ان تشعري بالحزن ؟

ماللعبة التي تستطيعين القيام بها يا "فيكتوريا" ؟

كيف تستطيع الشابة إقناعه ؟

كيف تستطيع ان تشرح له ان الامر ليس هو في الواقع لعبة من العاب الإغراء التي تستمتع بعض السيدات بالقيام بها . ولكنها مشكلة حقيقية ؟

لم تكن "فيكتوريا" في الحقيقة تلهو .

وفي نفس اللحظة التي كانت الشابة تترك نفسها للاستمتاع بلذة مداعبات "جيل" كانت هناك قوة خارجة عن رغبتها تامرها بدفع هذه المداعبات عنها . كانت الشابة ترفض كل ذلك - لم تكن تستطيع ان تبدا علاقة غرام وهي حتى الآن عاجزة عن تخطي الجرح الذي لم يمر عليه وقت طويل وقد كان نتيجة لعدم التوفيق المرير في زواجها من "ديفيد"..

- " ديفيد" ! نعم يا "ديفيد" .. لماذا تسببت لي في هذا العذاب ؟

ترقرقت الدموع في عيني "فيكتوريا" واخذت تنحدر على وجنتيها ولم تستطع عمل شيء لوقفها .

وامام هذا الحزن الصادق هدات اعصاب "جيل لاروك" حالا .

- " هل تبكين يا "فيكتوريا" ؟

إنني حزين لذلك . لم اكن اريد ان يصل الامر إلى هذه الحال ".

- " ارجوك يا "جيل" لا داعي لان تتاسف . كل هذا كان بسبب خطا اقترفته. وانت لا تستطيع ان تفهمني . لقد تسبب "ديفيد" في إيلامي اشد الالم وفي إذلالي .. "

ولكن الكلمات ماتت على شفتي الشابة . كانت لا تستطيع إطلاقا ان تودعه سرها . كان هذا الامر صعبا جدا بالنسبة لها . إلى جانب انه كان سرا في منتهى الحساسية والدقة .

- " إنه "ديفيد" ! دائما "ديفيد" هذا ! ولكنه اي وحش كان هذا الرجل الذي تسبب لك في كل هذا العذاب

ومرة اخرى لمعت عيناه من شدة الغضب واستمر يتابع كلامه :

- " لقد تركك وبذلك اصبح لا وجود له إطلاقا اليس كذلك ؟ يبدو عليك انك قاسيت فعلا من صدمة نفسية شديدة

بلى .. هذا بالفعل ما حدث . لقد قاست من صدمة نفسية كان من

الممكن ان تقضي عليها نهائيا . واخذت الافكار تتولد في رأس "فيكتوريا" وهي ترجع بذاكرتها إلى صورة الرجل الذي مازال يحتل مكانا في نفسها :

" لماذا اردت ان تتزوجني يا "ديفيد" ؟

كنت تعرف ان هذا الأمر لم يكن من الميسور عليك تحقيقة. إذن لماذا؟

لماذا هذه الوضاعة ؟ من كنت تعتقد خداعه ياترى ؟

هل كنت تخدع نفسك ؟ هل كنت تخدع بطانتك ؟

هل كان يحبها على أقل تقدير ؟

لا .. كان الرجل في الواقع في حاجة إليها وكان لزاما على "فيكتوريا" ان تعيش بالقرب منه مدة عامين وهي تحاول ان تمسك اعصابها وتظهر له عجزها . لكنه في اخر الأمر تركها في حالة انهيار لم تشف منه بطريقة نهائية حتى الآن.

اية ورطة هذه ! هل تستطيع في يوم من الايام ان تحب من جديد وتنسى تلك الإهانة ؟

احيانا - كما حدث في هذا اليوم - كانت تشك في مقدرتها على نسيان الإهانة وعلى الإحساس بمشاعر الحب من جديد .

وجاء صوت "جيل" فايقظها من تخيلاتها :

- " امسحي دموعك يا "فيكتوريا" . فسوف يلتئم جرحك في يوم من الايام . صدقيني إنني واثق من كلامي . فإن جميع الجروح تنتهي دائما بان يمن الله عليها بالشفاء . وإنني متاكد ان الرجل الذي سيسعده الحظ بالالتقاء بك في طريقك وسيكون قادرا على إرغامك على حبه ، سيكون ولاشك رجلا سعيدا والآن إذا سمحت لي بذلك فسوف اقوم باصطحابك إلى المنزل - إنك في الواقع تمتلكين جميع العناصر لكي تبدئي عملك ."

نعم ... سوف تنكب الشابة على عملها . سوف تبدأ بشكل كامل في استيعاب فكرة موضوع الدعاية التي كلفها الرجل بها حتى لا تفكر في ذلك بعد الآن. سوف تقضي في سبيل ذلك ايامها ولياليها لو لزم الأمر. سوف تعمل في هذا الشان بسرعة .. بسرعة بالغة حتى تستطيع ان تهرب من هذا المكان .

وانتهت الشابة !

لقد انتهت من تكوين فكرة موضوع الدعاية !

لقد مضى اسبوع فقط منذ ان اتفقت مع "جيل لاروك" حول هذا الموضوع اغلقت "فيكتوريا" الإضبارة المصنوعة من الجلد وجلست مسترخية على كرسيها وهي تصدر تنهدات رضا وسرور. وبفضل عملها الدؤوب العنيف استطاعت ان تنتهي من عملها قبل الميعاد المتفق عليه باسبوع . وبذلك سوف تتمكن من الرجوع إلى لندن قبل الوقت المحدد بفترة طويلة وفي الساعات الأولى من هذا الصباح سلمها مصور مدينة "تولوز" جميع الصور التي طلبت منه الشابة ان يلتقطها منذ ايام . كانت هذه الصور في الحقيقة رائعة الجمال ومن نوعية نادرة إلى جانب بعض العبارات والمصطلحات الشهيرة التي يحتاج إليها اسلوب الدعاية . كان كل شيء قد اعدَّ بكل دقة وعناية بحيث تبرز بطريقة فعالة قيمة هذا المنتج وتركز بكل قوة على طبيعته الصحية الموثوق بها . كان هذا العمل في واقع الأمر جيدا بل رائعا في الوقت ذاته . لم تكن الشابة قد عملت قبل الآن بمثل هذه الهمة . ولم تكن بذلت مثل هذا العناء وحصلت على نتائج تبدو اكبر بكثير من مجهوداتها . وكان عليها الآن ان تنتظر المكافاة من الذي كلفها بهذا العمل . وشعرت "فيكتوريا" بنوع من الخوف العابر اخذ يعتصر قلبها. كيف سيكون رد فعله عندما يطلع على المشروع الذي ستقدمه له؟

كان في الحقيقة ينتظر بفارغ الصبر لكي يتعرف عليه .

عندئذ ازاحت المقعد عنها وانتصبت واقفة واخذت تبحث عن الرجل في كل مكان متابطة تحت ذراعها الإضبارة فوجدت الرجل في الصالة وهو يتحدث مع السيدة "ديفال" .

سالها الرجل عندما شاهدها :

- " هل تحتاجين إلى شيء يا "فيكتوريا" ؟

قدمت إليه الشابة الإضبارة .

- " لقد انهيت عملي "

- " عملك ! اي عمل ؟ "

- " إن مجموعة الأعمال الخاصة بموضوع الدعاية اصبحت جاهزة .

لقد انتهيت منها الآن . ودونك هذه المستندات " .

وأخذ الرجل الإضبارة وقلّب بعض صفحاتها ونظر إلى المسؤولة عن شؤون البيت وقال لها :

- " ارجو أن تعذريني ياسيدة "ديفال" . سوف القاك في وقت آخر " .

اخذ عندئذ "فيكتوريا" من ذراعها إلى مكتبه واغلق باب الغرفة خلفهما .

ودون أن ينبس باية كلمة جلس الرجل امام مكتبه واستغرق في قراءة الأوراق الخاصة بموضوع الدعاية .. كانت"فيكتوريا" واقفة بجواره وقلبها يدق بقوة داخل صدرها تنتظر رايه وملاحظاته .

كان يبدو لها انها رجعت فجاة سنوات إلى الوراء عندما كانت في آخر عام جامعي لها وكانت توشك أن تحصل على إجازتها الجامعية . لاتزال تتذكر ذلك تماما.

ففي ذلك اليوم كان المسؤول عن الامتحان يبتسم لها ولكن اليوم كان "جيل لاروك" يدقق في فحص الأوراق المقدمة إليه صفحة صفحة ودون الحاجة إلى أي تعليقات ودون ان يظهر عليه أي رد فعل .

" هذا الغبي !

" كانت "فيكتوريا" تردد هذه الكلمة داخل راسها وهي مستاءة . لم يكن في استطاعتها الانتظار حتى يظهر سروره الفياض للعمل المقدم إليه . كان الرجل يدقق في هذا العمل على الرغم من أن الشابة كانت قد عملت نفس الشيء ولكن يبدو انه ليس من طابع الرجل أن يبدي إعجابه بسرعة حتى لا يكون في غير مكانه الصحيح . على أن هذه اللامبالاة الشديدة كانت تؤذي مشاعر الشابة وتعرض اعصابها إلى تجربة قاسية .

وبعد مرور بضع دقائق اغلق الإضبارة دون أن تهتز منه اية عضلة من عضلات وجهه تفضح كوامن شعوره .

وحتى تضع نهاية لهذه النوبة العصبية التي كانت تسيطر عليها ، اتجهت "فيكتوريا" إلى المراة الموضوعة فوق المدفاة وتوجهت بالكلام إلى خيالها الذي يظهر في المراة وحاولت تقليد صوت "جيل لاروك"

- " شكرا يا "فيكتوريا" من أجل هذا العمل الممتاز والشكر يرجع إليك

لأن حملة الدعاية هذه سوف تكون انتصارا . واريد أن اهنئك للعمل المقدم . لقد استغرق منك أسبوعا واحدا فقط على الرغم من صعوبته وحساسيته !

وظهر رد فعل الرجل على اثر هذه الكلمات الأخيرة .

- " لقد توقعت أن هذا العمل سوف يستغرق منك اسبوعين " .

- " ارى انك لم تترك بصفة نهائية تمسك بالكلمة بحذافيرها !

أسبوع خمسة عشريوما .. من يستطيع ان يقيّم بدقة شديدة الوقت الضروري لعملية الإبداع ؟

إن ذلك يتوقف على الإلهام . ولنقل إن الإلهام نزل علّي بطريقة ما للانتهاء من هذا العمل . ومع ذلك فلن نحاول ان نتناقش حول الوقت الذي احتجت إليه لكي انتهي من هذا التصميم فالمشكلة ليست هنا . لقد التزمت بالجزء الخاص بتعهدي والآن يجب عليك أن تحترم كلمتك وتلتزم بالجزء الذي يخصك . واتمنّى ان تاخذني غدا إلى مدينة "تولوز" .

- " لماذا إلى مدينة "تولوز" ؟

- " لانه يجب علّي ان اذهب إلى القنصلية البريطانية لاستخرج جواز سفر مؤقت ولكي امرّ على إحدى شركات الطيران لاحجز تذكرة سفر إلى :لندن" .

اجابها الرجل بصوت اجش "

- " ليست هناك في مدينة "تولوز" قنصلية بريطانية" .

سكتت "فيكتوريا" لحظة دون اية كلمة . وهكذا لو كتب لها النجاح في إحدى محاولات الهروب وقصدت إلى مدينة "تولوز" لما كانت قد انتهت من مشكلتها بل على العكس من ذلك كانت مشكلتها ستتعقد اكثر . ماذا كانت تستطيع أن تعمل في مدينة كبيرة مثل هذه المدينة دون مستندات ودون نقود ؟

واستمر "جيل لاروك" في كلامه :

- " إنني مازلت في حاجة إلى مساعدتك يا "فيكتوريا". فبعد يومين سوف تعقد في مدينة "بوردو" جلسات الهيئة الزراعية للسوق المشتركة. سوف ترافقينني " .

- " انا ؟ لكن ليس هناك اي مجال للكلام في هذا الموضوع !

إنني لاأعرف ايّ شيء في مجال الزراعة " .

- " ربما لا تعرفين شيئا عن الزراعة ولكنني اظن ان ليس هناك افضل من كونك لم تدعي احقيتك عن الدعاية لجبن "لاروك". هذا إذا كان المقياس الذي نحكم به هو العمل الرائع الذي قمت بتحقيقه " .

عملك الرائع اخذ قلب "فيكتوريا" ينبض بقوة داخل صدرها . وقد اختفت في الحال كالسحر كل علامات التوتر التي كانت قد تكومت في الدقائق السابقة واحست فجاة بسعادة عارمة اخذت تسري في عروقها وتسيطر عليها .

ودون ان يلاحظ "جيل لاروك" التاثير الذي احدثته هذه الكلمات على الشابة اضاف بنبرة شديدة يظهر فيها تحكمه :

- " سوف تذهبين ! إنك تدينين لي باسبوع اخر من وقتك " .

هذا هو الشيء الذي لا يمكن تصديقه !

مرة اخرى كان الرجل يتصرف في موضوع يخصها طبقا لرغبته هو ولكن هذا الأمر لا يهمه في كثير . كان الرجل قد وصف عملها بانه "رائع" وهذا الوصف كان يعني الكثير . كان هذا الوصف يعني لـ "فيكتوريا" اهمية فريدة جدا من نوعها خاصة وان فم هذا الرجل لم يكن ميالا إطلاقا إلى الثناء .

كانت الشابة في حاجة ماسة لان تكون مشهورة وان يضع الرجل ثقته فيها !

وحاولت ان تبذل مجهودا حقيقيا لتقنع نفسها بالاستماع إلى بقية حديثه .

استمر "جيل لاروك" في كلامه :

- " ولا تستطيعين الذهاب إلى مدينة "بوردو" بهذه الملابس المستعارة في الحقيقة إن اخت "مونيك" لم تكن في حاجة إلى ملابس تذهب بها إلى المدينة لانها لم تكن تترك الوادي إطلاقا .

ولكن بالنسبة لك فلكي تذهبي معي إلى هذه الجلسات فإنك في حاجة لكي تجددي خزانة ملابسك ، وسوف اصطحبك هذا اليوم بعد الظهر إلى مدينة "تولوز" لكي اشتري لك حلة تناسبك " .

- " ارجو ان يكون لي الحق في اختيار ملابسي !

ولكن هل يجب علي ان اذكرك بانني لا احتكم على اية كمية من النقود؟

ارجو ان اكون قد سددت ديوني نحوك ونحوالسيدة "رينو" بما قمت به من عمل " .

- " إن العمل الذي قمت به يا "فيكتوريا" يقدر باكثر من ذلك بكثير . ومن جهة اخرى لا استطيع ان اعتبرك مسؤولة عن ديون اصدقائك الذين قابلتهم بالصدفة . والشيء الوحيد الذي احمله ضدك هو انك اسات اختيارك لهم .

والآن اكون انا المدين لك . اعترف بهذا الكلام امامك" .

كان الأمل يسبب لمعانا لعيني "فيكتوريا" .

- " لماذا إذن لا تعطيني هذه النقود التي هي من حقي بناء على كلامك حتى استطيع ان اتصرف بها حسب رغبتي ؟ فنحن نعيش - اكرر لك كلامي هذا مرة اخرى - في القرن العشرين . ولاتستطيع ياسيد "لاروك" ان تحتفظ بي بجوارك دون موافقتي وضد إرادتي اعطني هذه النقود وسوف اعود إلى وطني وإلى اهلي في انجلترا "

- " سوف تسافرين عندما اقرر انا ذلك !

كانت هذه المعاملة تفوق كل الحدود !

بدات "فيكتوريا" تفكر وقد تملكها الغضب فمدت يدها نحو الإضبارة الموضوعة على المكتب وهي تقول لنفسها :

- " ليس هناك نقود ..إذن لن اعطيك المستندات " .

ولكن الرجل بسرعة البرق كان قد خمّن قصدها ، فاسرع قبلها باخذ الإضبارة ووضعها في احد ادراج مكتبه واغلقه بالمفتاح .

اكد الرجل بسخرية وهو يضع مفتاح درج المكتب في جيب سرواله الجينز :

- " لن اترك إطلاقا هذا المفتاح .

فهذه المستندات في غاية الأهمية ويجب ان توضع في مكان امين " .

كانت "فيكتوريا" تهتز من شدة الغضب . كيف يتاتى لرجل كان يظهر احيانا رقة فائقة في معاملاته ان يلجا إلى مثل هذا السلوك ؟

هذا الرجل الطاغية كانت له الصفة الفريدة بانه لا يستمع إلى آراء اي شخص . وهذه الطريقة التي يسير الرجل على هديها بحيث يتخذ قراراته من وجهة نظره هو دون ان يتاثر بإنسان ودون ان يستشير احداً كان في الحقيقة صعب الاحتمال خاصة بالنسبة لشابة مثلها كانت دائما مستقلة استقلالا تاما .

وبعد ان هزت كتفيها ادارت له ظهرها محاولة ترك الغرفة ولكنه حاول ان يمنعها :

- " انتظري ثانية فلم انته من كلامي معك حتى الآن " .

فتح درجا آخر من ادراج مكتبه واخرج منه إضبارة ووضعها امامها.

- " ارجو ان تقرئي بعناية هذه المستندات التي تتعلق بجلسات مؤتمر مدينة "بوردو" . سوف تلاحظين ان عددا من المشتركين سيكونون من اصل بريطاني وهذا يعني انني ساعتمد عليك لكي اعقد اتفاقات مهمة اعمل بها على انتشار جبن "لاروك" إلى جانب انني حجزت غرفتين في اكبر فنادق المدينة !

- هل حجزت الغرفتين فعلا ؟ "

- بالتاكيد ! حجزتهما منذ اسبوع . فإن الاجتماع سينعقد خلال يومين !

وهذه الأشياء يجب التجهيز لها مقدما دون إبطاء او تاخير " .

اخذت الأفكار تدور في راس "فيكتوريا" :

- " ولكن بقي على هذا المؤتمر اسبوع واحد وانا مازلت اجهل كل شيء عن جبن "لاروك" .

استمر "جيل" في كلامه دون ان يشعر باي اضطراب :

- وهناك شيء آخر ... لقد اتصلت بالسفارة البريطانية في مدينة "بوردو" . فالقنصل احد اصدقائي وسيكون في انتظارك .

الفصل الثامن

- " سوف تقدر الآنسة تصميم هذا الفستان كل التقدير " .

نظرت "فيكتوريا" إلى بطاقة التسعير التي تدلت من الفستان :

ثمانية آلاف فرنك !

هل يعقل هذا !

ثمانية آلاف فرنك من أجل فستان . خرجت الشابة من حجرة القياس وهي تستشيط غيظا وفي وضع ثائر واتجهت بخطا حثيثة نحو "جيل لاروك" الذي كان يختار بكل عناية تصميمات الفساتين التي ستقوم بتجربتها .

- " ماذا يعني هذا المزاح ؟ "

استدار إليها "جيل لاروك" من هول المفاجاة ومكث لحظة في حالة انبهار وهو ينظر إلى الشابة التي كانت واقفة امامه يبدو ان شيئا ما قد حدث وغيّر من طباعها المعتادة . كان الفستان الذي ترتديه "فيكتوريا" . كانه حيك خصيصا لها، وكان يظهر كل تقاطيع جسمها ويبرز جمال تكوينه . كانت التنورة التي ترتديها الشابة تتسع وكانها قرص الشمس وتدور مع إيقاع خطوات "فيكتوريا".

كان هذا الفستان مصنوعا من نوع قماش الجيرسيه المخلوط بالحرير وكان يبدو ناعما ورقيقا ينزلق على جسدها الرائع الذي كان كان يهتز مع الشابة كلما صدر منها اقل اهتزاز . كان لون الفستان يميل إلى حد كبير إلى اللون الأخضر خضرة اللوز وكان هذا اللون ينسجم مع لون عيني الشابة يتمشيو كذلك مع اللون الملائم لشعرها اللامع وبلع "جيل" لعابه قبل ان ينطق بصوت اجش :

- " إنك في الحقيقة يا "فيكتوريا" رائعة الجمال دون شك ! "

- " اشكرك على ذوقك الرفيع ! هل تدرك انني استطيع ان اجدّد كل محتويات خزانة ملابسي في "لندن" بنفس السعر الذي دفع في هذا الفستان العادي في تصميمه ؟ إنني ارفض ياسيد "لاروك" ان اختار ملابسي من هذا المحل ! "

اخذها حينذاك "جيل" من يدها واصطحبها إلى المراة التي تكسو

العامود المنتصب في منتصف المحل . واستطاعت الشابة ان تشاهد نفسها من قمة راسها إلى اخمص قدميها . كانت تبدو كالخيال الذي تشاهده في الاحلام ولكنه يظهر الآن من خلال هذه المراة السحرية .

هل يتاتى لفستان عادي اقتصادى في تصميمه ان يسبب مثل هذا التغيير ؟

هل من المعقول ان يكون السعي وراء احدث التصميمات ومسايرة الأذواق الرفيعة في مجال الجنس اللطيف هي اهم الفنون الرئيسية في جمال المراة ؟

كانت الشابة غير مقتنعة بذلك على الإطلاق حتى هذه اللحظة . لاشك ان الذي وضع تصميم هذا الفستان كان في واقع الأمر فنانا عظيما . بل يكاد يكون ساحرا !

سالها "جيل لاروك" وعيناه مازالتا مبهورتين على اثر ظهور الشابة بعد ثوان:

- " والآن ماذا تعتزمين ؟

هل لديك الآن الشجاعة الكافية لأن تعيدي هذا الفستان الذي يبدو انه صنع خصيصا لك وليس لاحد سواك وانت ترفضين ارتداءه ؟

هل كانت تتحلى بهذه الشجاعة ؟

في الحقيقة سرعان ما غيرت الشابة رايها ولم يكن في إمكانها ان تتخيل ولو لحظة واحدة انها تتخلى عن ارتداء هذا الفستان . فقد اصبح جزءا لا يتجزا منها وكانها اكتست جلدا ثانيا فوق جلدها . إن "جيل" تمكن من اول نظرة من اكتشاف هذا الفستان ضمن مجموعة كبيرة من الفساتين المعروضة في المحل الذي اصطحبها إليه الرجل عنوة منذ بضع دقائق واختار لها هذا الفستان الذي يتمشى تصميمه مع جسمها ويبرز روعته .

رفعت "فيكتوريا" عينيها لحظة وهي في حالة تاثر شديد بل في خجل من نفسها ونظرت إلى ذلك الشخص المذهل ..

إلى هذه الظاهرة الفريدة من نوعها ...

إلى "جيل لاروك" الذي كانت متاكدة من سلامة تصرفاته . واخذت

تسال نفسها " من اين يا ترى كان يستمد هذا الرجل كل هذه القوة وكل هذه الثقة ؟

تمتمت الشابة بعد ان كان كل غضبها قد تلاشى :

- " ولكن ماذا بشان سعر الفستان ؟

- " لا تقلقي إطلاقا بشان سعر الفستان . فعندما ترتدين هذا الفستان سوف ترفعين من قيمة منتجات "لاروك" .

- " منتجات "لاروك" ؟

- " ماذا تقرئين على البطاقة التي تشير إلى بيانات تصنيع هذا الفستان؟

اقتربت "فيكتوريا" واخذت تقرا ما كتب على البطاقة من كلمات طبعت بحروف ذهبية فوق خلفية سوداء :

- " جيل لاروك" .

تابع الرجل كلامه وكانت نبرات صوته قد تغيرت لتؤكد شعوره بالفخر :

- " إنني سعيد بان اقدم إليك إنتاجاً آخر من ضمن منتجات "لاروك" .. وهي تشمل ملابس مصنوعة من منسوجات مصانعي .. وكلها منسوجات من الصوف الخالص المستخرج من قطعان الخراف التي ترعى فوق جبال الـ"بيرينيه" .

- " ولكن الفستان الذي ارتديه الآن لا يمكن ان يكون من الصوف لانه خفيف جداً " .

- " على الرغم من ذلك فإن الوقت مناسب لافسر لك سبب ذلك إن الفنيين الذين يعملون في مصانعي هم في الواقع من الخبراء المشهورين . وقد فكروا في صناعة نوع من خيوط الصوف الدقيقة جدا وضمها إلى خيوط اخرى من الحرير . وكانت النتيجة فهذا النوع الجديد من المنسوجات وهذا الجرسيه الذي يتمتع بنعومة ورقة إلى جانب انسيابه العجيب ولذلك فهذا المنتج الجديد يعطي إحساساً رائعا بالراحة والمتعة .

تمتمت "فيكتوريا" :

- " إنني لم ار قبل الآن نوعا آخر من المنسوجات بمثل هذه النعومة

في الملمس " .

- " وبعد أن اكتشفنا اهمية هذا المزج كان يكفينا بعد ذلك أن نجد خبيرا فنانا يتمتع بنبوغ فائق وله دراية في كيفية استعمال هذه المنسوجات افضل استعمال لوضع اجمل التصميمات .

- " لقد اصبت فعلا في العثور على مثل هذا الخبير الفنان ! فطريقة قص هذا الفستان تؤكد نبوغه ودرايته الكاملة " .

- " إن مسالة نبوغ ه خبيرنا المصمم وبراعته ليست محل شك. ومع ذلك فإنني اؤكد أن الطريقة التى ترتدين بها هذا الفستان هي التي تعطيه كل هذا البهاء يا "فيكتوريا" . ولاشك انك في مؤتمر "بوردو" سوف تكونين السفيرة الجذابة بالنسبة لمجموعة منتجات "لاروك" . واستمرت "فيكتوريا" تقيس مجموعة من الفساتين تحت رعاية السيدة "جوبير" المسؤولة عن المحل .

كانت هذه السيدة تقترب من الثلاثين عاما تمعن جدا في اخذ القياسات كانت قد استقبلت "جيل لاروك" . بتصنع شديد . ثم بعد ذلك كانت تلتهمه بنظراتها . وعلى العكس من ذلك كانت تتعامل مع "فيكتوريا" ببرود ملحوظ يقترب إلى حد كبير من الاحتقار .

كانت السيدة "جوبير" تحاول أن تسترعي انتباه الشابة التي ارادت ان تتجاهل النظر إلى فستان رائع الجمال من قطعتين لونه ابيض يميل إلى الاصفرار :

- "إن هذا الفستان الذي يقع في قطعتين في غاية الأناقة . ولكنني اخشى انه يتحتم عليك في حالة ارتدائه ان تغيّري من طريقة تزيين شعرك لأنها على ما يبدو لي غير مناسبة إذا صح التعبير " .

والقت عليها "فيكتوريا" نظرة قاتلة وقالت لها بطريقة لاذعة :

- " إنني اشكرك على نصائحك الدقيقة ياسيدتي العزيزة ولكن اتركيني احكم وحدي على طريقة تزيين شعري ، ارجوك " .

- " لقد بدرت مني هذه اللمحة لانه من عادتي ان اخدم صديقات السيد "لاروك" لعلمي الدقيق بانه متشدد جداً " .

قاطعها الرجل حينئذ وكان واقفا في الجانب الآخر من نهاية المحل :

- " يا "انيت" أطلب منك الإسراع . لدينا عدد كبير من الطلبات يجب

علينا أن نشتريها بالإضافة إلى أن هناك اعمالا كثيرة تنتظرني حتى انتهي من عمل التجهيزات اللازمة لجلسات المؤتمر " .

قالت له السيدة "جوبير" في دلال :

- " حسن جدا يا "جيل" . لقد انتهينا من موضوع الملابس ، وهل تتلطفين وتتبعينني إلى الجناح الخاص بالأحذية ؟ "

ماذا كان يرمي إليه الرجل في وجود هذه الساحرة ؟

هل كان "جيل لاروك" معتادا أن يحضر عشيقاته إلى هذا المحل ليقدم إليهن بعض الملابس ... ولم تكن "فيكتوريا" في اي حال من الأحوال سوى آخر النساء التي اذعنت لفتنة هذا الرجل ؟

كانت تكشيرة الاشمئزاز التي ظهرت على وجه الشابة وهي تناقش فن تزيين شعرها واضحة لأن السيدة "جوبير" كانت ترى ان هذه الصديقة الأخيرة لـ "جيل لاروك" لم تكن على نفس المستوى من التصنع ولا على نفس الدرجة المطلوبة مثل جميع صديقات "جيل لاروك" سيد المنطقة !

شعرت "فيكتوريا" بما يشبه الوخز في قلبها . ماذا كان يحدث لها ؟ هل كانت تغار ؟ كانت هذه الفكرة اقل ما يقال عنها :إنها غير منطقية . كان في إمكان "جيل لاروك" ان يحصل على جميع عاشقات العالم وهذا الأمر لم يكن يهمها في شيء .

وعلى الرغم من ذلك تابعت الشابة خطواتها تجاه الجانب الآخر من المحل الذي خصص للأحذية وهي تشعر بإحساس من الضيق العارم . وفي واقع الأمر لم تكن الشابة قد ناقشت "جيل لاروك" بشان شرائها الأحذية . ولكن كان واضحا حاجتها الماسة إليها كل الوضوح .

ذهبت بعد ذلك إلى جناح البياضات ! كان "جيل" يسبقها ومرا امام جانب من المحل مجهز بخزانات ذوات واجهات زجاجية للعرض . وقفت "فيكتوريا" لحظات وهي في حالة هيام من جمال قطع الملابس الداخلية المعروضة التي تتكون من قطعتين .

كانت هذه الملابس محلاة بالدانتيل وبالحرير الطبيعي بجميع درجاته الرقيقة سواء بالنسبة للقطعة الأولى او للقطعة الثانية . ولكن "جيل" لم يكن يتوقف وكانت تخرج من فيه في اثناء سيره بجوار هذه

الخزانات الزجاجية بعض الكلمات باللهجة المحلية يتوجه بها إلى السيدة "چوبير" التي كانت تعض شفتها . ماذا قال لها الرجل ياترى لكي يحدث منها رد الفعل المهين ذاك ؟

بعد دقائق خرجت "فيكتوريا" من هذا المحل تنتعل في قدميها حذاء رائع الجمال مصنوعاً من جلد التمساح ، وتحمل في ذراعها "شنطة" مناسبة . كانت "فيكتوريا" تظهر قلقها وغضبها امام اسعار البضائع المرتفعة التي يشتريها الرجل لها ولكن "جيل كان يبدي عدم اكتراث ويتذرع بنفس الحجة كل مرة :

الم تكن تستعد للذهاب إلى "بوردو" لحضور جلسات المؤتمر ؟

الم تكن تمثل السفيرة لمنتجات "لاروك" ؟

وتابعتهما بائعة شابة تعمل في المحل وهي تحمل اللغات الثلاث التي تحوي مستلزمات حضور جلسات المؤتمر ولفة اخرى بها فستان للسهرات الليلية قد اشتراها لها "جيل لاروك" .

" كان مجموع الاسعار يوازي راتبها في لندن في ستة اشهر مقابل بعض الملابس والكماليات والإكسسوارات .

لا شك ان هذا هو الجنون بعينه ! كان هذا هو تفكير "فيكتوريا" في الاشياء التي اشترتها ولم تستطع ان تمنع نفسها من عدم التفكير في ذلك وهي تركب السيارة . كانت مذعورة مما يحدث امام عينيها ولكنها في نفس الوقت سعيدة لأنها لم تدفع قيمة كشف الحساب . على كل حال إذا كان السيد "جيل لاروك" يلقي نقوده من الشباك فهذه هي مشكلته هو وليست مشكلتها .

وعندما استعدا لترك موقف السيارات بعد ان وضعا جميع المشتريات في حقيبة السيارة لا حظا ان البائعة الشابة تركت المحل وهي تجري نحوهما وتحت ذراعها لفة .

- " تقول السيدة "چوبير" إنكما قد نسيتما هذه اللفة "

تدخلت "فيكتوريا" بسرعة :

" إطلاقا- لقد تحققت من ذلك . فكل ما اشتريناه يوجد في حقيبة السيارة".

ولكن "جيل لاروك" اخذ اللفة من البائعة وشكرها ووضعها على

ركبتي "فيكتوريا" قائلا:

- " يجب عليك ان تفتحي ايضا هذه العلبة " .

ودون أن ينتظر اكثر من ذلك اخرج سيارته من الموقف وبدات تتحرك في الشارع الرئيسي ووقفت الشابة في ذهول لحظة كانت في اثنائها تحبس انفاسها ثم فتحت العلبة . واكتشفت "فيكتوريا" مجموعة من البياضات خاصة بالجنس اللطيف وهي نفس البياضات الرائعة الجمال المحلاة بالدانتيل والحرير والتي استرعت انتباهها وبهرتها منذ لحظات مضت داخل خزانات العرض الزجاجية في المحل . كانت هذه البياضات مغلفة في ورق مصنوع من الحرير البنفسجي الانيق .

لم تجرؤ الشابة على رفع عينيها نحو الرجل وكانت وجنتاها محمرتين تلتهبان كالنار .

- " ارجو أن تكون هذه البياضات قد حازت إعجابك يا "فيكتوريا" . لقد طلبت من "انيت" ان تختار لك احسن ما لديها .

إذن هذا هو السبب الذي عضت من اجله السيدة "چوبير" شفتها . فإن هذا الطلب من قبل "جيل لاروك" قد اكد فكرة انه يعمل على كساء اخر صديقة له استطاع أن يحوز إعجابها .

- " ما مدى رقة هذه النظرة ! لاشك في أن "انيت" آسفة ... السيدة "چوبير" كان لديها كل المبررات المطلوبة التي تؤكد لها هذا الاختيار . ويبدو من طريقة كلامها انك معتاد ان تاتي بمحظياتك في هذا المحل وتبتاع لهن الملابس التي يحتجن إليها . ونتيجة لذلك فهي على دراية كاملة بكل طلباتك ".

كان "جيل لاروك" متجها بكل انتباهه وبنظراته المثبتة بشدة على الطريق الذي كان يسلكه والذي كان يمتد امامه .وفجاة يرمق الشابة بنظرات بطرف عينه قبل ان ينفجر في ضاحكا .

- " هل قالت لك "انيت" هذا الكلام ؟ يالها من امراة شريرة ! اكاد اسال نفسي عما إذا كانت هذه السيدة تغارمنك لقد حاولت كثيرا ان تغريني ولكن دون ان تنال مني ماربها ! "

اختلطت ضحكات "فيكتوريا" بضحكات الرجل وكانت عودتهما إلى الجبل تمر في جو من السعادة العامة .

كان بار الفندق في هذه الساعة من ساعات بعد الظهيرة يبدو قفرا تقريبا لأن كل اعضاء المؤتمر كانوا يشهدون حفل نهاية اجتماعات المؤتمر وكان "جيل لاروك" منذ ساعات قد اعفى "فيكتوريا" من ارتباطاتها حتى تستطيع أن تصلح مشكلة اوراقها مع القنصلية.

والفضل يرجع اولاً واخيرا إلى الاتصال الهاتفي الذي اجراه "جيل" مع القنصل في الاسبوع الماضي لأن الشابة بناء على هذا الاتصال استطاعت الحصول على جواز سفر مؤقت في اقل من ساعة . شعرت "فيكتوريا" في قرارة نفسها انها اصبحت في حالة امان وجلست لكي تحتسي كوبا من الشاي عليه قليل من الحليب تبعا للطريقة التي كانت تعجب بها.

قريبا جدا ستكون على طريق العودة إلى منزلها في "لندن" ولكن لماذا كانت تحس فجاة بحزن يسيطر على كل كيانها ؟

كانت تشعر بشيء من الغموض يهيمن على روحها . كان الكابوس الذي ارق مضجعها مدة طويلة قد وصل الآن إلى نهايته . وكان "جيل" قد اخبرها في نفس هذا الصباح بانهم عثروا اخيرا على رفقاء طريقها وانهم محبوسون الآن في مدينة "تولوز" واخذت منهم السيارة المؤجرة واستردها صاحبها . لم يكن لـ "فيكتوريا" اية اسباب تستبقيها في هذه المنطقة .

- " وهكذا انت كذلك لا تحضرين جلسة نهاية المؤتمر ! "

وبما ان الشابة كانت مستغرقة في افكارها لم تلحظ احد اعضاء المؤتمروهو يقترب من المائدة التي تجلس إليها دون ان يحدث اي صوت . ورفعت "فيكتوريا" عينيها ولاحظت وجود "مارك توسون" المدير الشاب لشركة تسويق وتوزيع صغيرة في "لندن" الذي كان يراقبها في اثناء المناقشات التي حضرتها مع "جيل لاروك" - وعلى الرغم من ان هذه المناقشات كانت حقيقة إلا انها كانت تدعو إلى الملل الشديد - كان هذا المدير الشاب لا يكل من النظر إليها وكان من حين إلى اخر يوجه إليها اشد الابتسامات سحراً .

سالها بالإنجليزية : - " هل يمكنني ان انضم إليك يا انسة "سامرز" لان جميع الموائد الاخرى مشغولة لحسن الحظ " .

ولم تستطع "فيكتوريا" ان تمنع نفسها من الانفجار في الضحك . فهذا السيد - "توماس" - لم يكن في الواقع دميم الوجه بالإضافة إلى انه لم تكن تنقصه البشاشة والجراة .

- " تفضل بالجلوس .. يامواطني العزيز ... يجب علينا ان نساعد بعضنا "

سالها الشاب وهو يجلس إلى جانبها : -

- " ماذا تعمل شابة جميلة مثلك بين هؤلاء الكهول الذين يشعرون بالملل الشديد "

- " هذه قصة طويلة .. "

- " لا تقولي : إنك مرتبطة بشخصية "جيل لاروك" ..."

مرتبطة ! كانت الكلمة في حد ذاتها مهمة . الم تكن في الواقع مرتبطة بهذه الشخصية بعض الشيء اكثر من المعتاد ؟

إطلاقا ، فهي الآن حرة . وسوف تعود سريعا إلى بيتها .

وحاولت "فيكتوريا" ان تدافع عن نفسها بكل قوة :

- " لا! لقد عملت بهدف الدعاية لطرح منتج جبن "لاروك" والترويج له. والآن قد انتهي عملي وسوف اعود إلى "لندن" .

- " بما أن الموضوع هكذا فلماذا لا نسافر معا ؟

إنني ساسافر صباح الغد في اول رحلة طيران على متن الخطوط الفرنسية "إيرفرانس" .

- " صباح الغد ! يبدو أن هذا الميعاد مبكر جدا . فلم احجز ، تذكرة حتى الآن " .

- " لا داعي لأية تذكرة ! إليك هذه التذكرة . كان من المتوقع أن يعود ابي معي ولكنه قرر ان ينتظر بعض الايام الاخرى في المنطقة . لقد استطاع هذا الرجل الالمعي ان يتعرف على منتج نبيذ وقد دعاه هذا المنتج إلى الإقامة هنا بعض الأيام . وهذه فرصة لن يدعها والدي تمر هكذا دون ان يستغلها مهما كان ثمن ذلك ! ولذلك تستطيعين استعمال تذكرته إذا كنت ترغبين في ذلك " .

نظرت إليه "فيكتوريا" وشعرت بميل شديد لهذا الاقتراح . لم يعطها "جيل لاروك" طوال إقامتها في منزله اي سنتيم وكانه كان يخاف منها

ان تستعمل هذه النقود بصورة غير مرضية . وكانت الشابة تستطيع الذهاب والمجيء وان تطلب اىّ شيء ترغب فيه داخل الفندق . ولكنها حتى الآن لم تطرق موضوع سفرها ولم تناقش "جيل" بشان التذكرة التي كان عليها ان تشتريها حتما .. هل كان عليها مرة اخرى ان ترجوه؟

كان اقتراح "مارك تومسون" يقدم إلى "فيكتوريا" ميزة حقيقية الا وهي ان تستطيع السفر دون ان تطلب من "جيل" اي شيء على انها لم تكن واثقة هي ذاتها انها تريد حقيقة السفر . كل الأمور كانت مشوشة في نفسها .

- " هل توافقين على ذلك يا انسة "سامرز" ؟ "

- " يجب علي ان افكر في الأمر ويبدو ان السفر صباح الغد امر عاجل بعض الشيء .

- " إنني موجود في الغرفة رقم ٢١٤ . لو قررت ذلك قبل صباح الغد ارجو عدم التردد في إبلاغي بقرارك .

فقد حدد ميعاد إقلاع الطائرة الساعة التاسعة صباحاً .

وطلب "مارك تومسون" كاسا من الشراب واخذ الاثنان يتجاذبان الحديث والسعادة تظهر على وجهيهما وكانهما صديقان قديمان .

وبسرعة استطاعت "فيكتوريا" ان تلم بكل اعمال شركة التسويق التي كان يديرها "مارك" وكذلك تمكن المدير الشاب من الاطلاع على الإجازات التي حصلت عليها الشابة في مجال الاتصالات .

وبينما كانت الشابة تكلمه عن الأعمال التي انجزتها بمهارة كان يبدو على المدير الشاب انه يفكر لحظة ثم سالها فجاة :

- " هل لديك عمل ينتظرك عند عودتك إلى "لندن" يا "فيكتوريا" ؟ "

- " لا .. ليس عملا بالمعنى الحقيقي .. إنه مشروع عادي يدور حول مجموعة مستندات وثائقية ارجو ان اقدمها لهيئة الإذاعة البريطانية.. ولكن في الواقع ليس هناك شيء واضح .. ولماذا تلقي هذا السؤال ؟ "

- " لانني في حاجة ماسة إلى تعيين شخصية مثلك في الشركة لديها نفس معرفتك ودرايتك لكي تساعدني في عملي . هل يروقك اقتراحي ؟ "

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الشابة توشك ان ترد لمحت خيال

شخص ليس غريبا عنها كان يتوجه نحوهما . كان "جيل لاروك" يقترب من المائدة التي كانا يجلسان عليها وهو يسير بخطوات واسعة ويبدو على وجهه الحزم إلى جانب إحساس بالغضب يظهرعلى هذا الوجه الطيب .

انتظرت "فيكتوريا" وهي في حالة اضطراب العاصفة التي لاشك لن تتاخر عن الانفجار . ولم تكن الشابة تشك في ذلك ولو لثانية . كان وجه "جيل لاروك" يؤكد بوضوح انه لم يرتح إطلاقا لرؤيتها في صحبة "مارك تومسون" .

وقال الرجل للشابة وقد وقف امامها :

- " اريد ان اكلمك يا "فيكتوريا" - لو كنت قد انتهيت من احتساء كوب الشاي فلا داعي مطلقا لو جودك .

او ليس هناك شيء تفعلينه ؟ اتبعيني ! "

كيف يتجرا على ان يفعل ذلك ؟

كيف يتجرا على ان يكلمها بهذه الطريقة امام "مارك تومسون" ؟ وكان "مارك" ينظر إليهما مرة إلى الرجل الثائر ومرة اخرى إلى الشابة . وكانه يحاول ان يفهم ما يحدث بينهما . وبعد ذلك انتصب واقفا والابتسامة ترتسم على شفتيه وهو يمد يده تجاه الرجل الذي وصل لتوه .

يا "لاروك" ! إنني سعيد ان اراك مرة ثانية ، اجلس إذن . اريد ان اقول بعض الكلمات بشان منتجك الجديد واقصد بذلك الجبن المصنوع من لبن النعاج يمكننا ان نتحمل مسؤولية توزيع هذا المنتج .

- " من تكون انت ؟ "

اختفت فجاة الابتسامة من وجه "مارك تومسون" . كان صوت "جيل لاروك" ينقصه الإحساس بالترحيب بطريقة واضحة إلى جانب ان كان قد تجاهل اليد التي مدّها إليه محدّثه بمنتهى الوقاحة .

- " إنني "مارك تومسون" مدير شركة تسويق في لندن تحمل نفس الاسم .

حاول أن تتذكر عندما تقابلنا منذ بضعة اشهر في معرض "هانوفر".

- " إنني لا اتذكر شيئا بشانك او بشان شركتك . وهذا لا يعني سوى

شيء واحد فقط :ان شركتك صغيرة جدا لكي تتباحث معي ! إلى اللقاء ياسيد .

ودون ان ينتظر اي كلام آخر في هذا الموضوع اخذ "فيكتوريا" من ذراعها واتجه بها ناحية الركن المخصص للمصاعد تاركا "مارك تومسون" مزروعا هناك في مكانه فاغرا فاه .

ولكن قبل ان يختفيا عن الانظار استدارت الشابة ثم قالت وهي تنظر ناحية "مارك" مبتسمة بكل رقة :

- " لقد قدمت لي اقتراحا مهما جدا بالنسبة لي ياسيد "تومسون" ولن يفوتني ان اتصل بك في اسرع وقت ممكن .. "

الفصل التاسع

- اتركني .. إنك تسبب لي الما ! "

كانت "فيكتوريا" تحاول جاهدة ان تتحرر من القبضة الفولانية التي تقبض على ذراعها . ودون ان يتكلم الرجل والغضب ظاهر على وجهه كان "جيل لاروك" ممسكا بها يحاول ان يشدها نحو المصعد وهو يسير بخطا حثيثة في قاعة الفندق التي كانت لحظتها خالية من اي إنسان .

ماذا كان يعني هذا السلوك ؟

لماذا ظهر الرجل بهذا المنظر الجاف الخشن مع "مارك تومسون" ؟

كانت الشابة توشك ان تفتح فمها لتلقي عليه السؤال ، وتطلب منه مرة أخرى ان يمنحها حريتها، عندما التقت عيناها بعينيه وكانت نظراته باردة بل أكثر من ذلك تشبه الجليد كانت دماء الشابة تجري في عروقها وخفض الرجل راسه وهو يحس بالهزيمة . وبان كل مقدرته على المقاومة قد انهارت . كانت تنبعث من هذا الرجل كمية من الثقة بالنفس بحيث كان من المستحيل مقاومته .

وصل المصعد . ودون ان ينبس باية كلمة ودون ان يترك ذراعها دفعها الرجل داخل غرفة المصعد وضغط على زر الدور الثالث الذي كانت تقع فيه حجرتاهما.

وعندما وصل امام غرفة الشابة قال لها بصوت ثابت ودون ان ينتظر منها اي رد :

- " مفتاح غرفتك ! "

كان القلق يملأ قلب "فيكتوريا" التي حاولت ان تضع يدها في حقيبتها المصنوعة من جلد التمساح . وعلى الرغم من إحساسها في الحال ببرودة المعدن تحت اصابعها، كان يبدو عليها التردد وهي تحاول بطريقة ساخرة ان تؤخر لحظة القدر حين يصبح الاثنان وجها لوجه في الغرفة .

انتفض كل جسمها عندما صدرت من الرجل حركة تدل على نفاذ صبره . عندئذ اخرجت الشابة المفتاح وقدمته إلى "جيل" دون ان تتاخر اكثر من ذلك . وبعد ثانية فقط كان باب الغرفة يغلق خلفهما وقد سمع

صوت حاد للباب عندما اغلقه الرجل . واصبح الاثنان في عزلة عن كل ما يجري في بقية العالم خارج هذه الغرفة .

وعندما وجدت "فيكتوريا" نفسها حرة اخذت تدلك ذراعها فترة طويلة من الوقت لتزيل الأثر الذي تركته اصابعه على جلدها الرقيق . ووقف "جيل لاروك" امامها مكتف الذراعين يسالها بصوت غاضب :

- " ماذا كنت تفعلين مع هذا الشاب المدعو "مارك تومسون" الذي يظن نفسه جميلا دون أن يكون كذلك ؟ "

كان "جيل" قد تجاوز كل الحدود . هل كان لزاما عليها ان تقدم له كشف حساب بكل تصرفاتها وكل مرة تقابل فيها شخصا ما ؟

من كان يعتقد نفسه إذن ؟

هل كان يمتلكها كما يمتلك السيد خادمته ؟

- " ماذا يعني هذا السؤال ؟

الم يكن من المفروض علي الذهاب معك لكي اتصل بموزعين إنجليز يروجون إنتاجنا من جبن " لاروك " ! "

انفجر "جيل" حينئذ يضحك بصوت عال :

واعاد الرجل كلامه وكان الشابة قد تلفظت بشيء سخيف :

- " جبن " لاروك " ! هل تعتقدين انني ساذج إلى هذا الحد يا "فيكتوريا" ؟

هل إنتاجنا من جبن "لاروك" هو الذي كان يهم "مارك تومسون" ؟

اتعتقدين انني لم الحظ طريقته خلال كل الوقت الذي دامت فيه محادثتكما؟

لم يكف الشاب عن اتهامك بنظراته مبديا حججا واهية وخبيثة لكي يكون قريبا منك ، كلما كان ذلك ممكنا . كان سلوكه يكاد لا يقترب من حدود التزامه باللياقة !

- اللياقة ! هل تجرؤ على الكلام عن اللياقة بعد الطريقة الشنيعة جدا التي اظهرتها في تعاملك مع هذا المدير الشاب داخل البار ، بينما كان الشاب يحاول التعامل معك بطريقة إنسانية اكثر وهو يعرض عليك مساعداته " .

- إن الشركة التي ساختارها من بين الشركات لتقوم بتوزيع منتج

جبن "لاروك" يجب أن تكون لديها المقدرة وصدقيني يا "فيكتوريا" إن هذا المتطفل هو في واقع الأمر بعيد جدا عن ان تتوفر له الإمكانات اللازمة".

ثم نظر إليها الرجل نظرات غاضبة وقد قطب حاجبيه وسالها بصوت حاول أن يظهر فيه وكانه غير مكترث :

- " ماذا تعني تلك الجملة التي رددتها في نفس اللحظة التي كنت تتركينه فيها ؟ - " لقد قدمت لي عرضا مهما جدا " .

أي نوع من التحقيق هذا !

كانت "فيكتوريا" بالفعل ضحية لعملية استقصاء دقيقة ! هل كانت ستحرق حية فوق كومة من قطع الخشب لأنها سمحت لنفسها بان يقترب منها رجل دون ان تنال الإذن منه ؟

- " هذا الأمر يتعلق بي بطريقة دقيقة جدا ولا شان لك به باي حال من الأحوال ! لقد اقترح علي "مارك" ان اعمل إلى جانبه في شركته حين اعود إلى "لندن" ولاشيء غير هذا ، وسوف ادرس هذا الاقتراح بطريقة جدية حتى لو كانت شركة "مارك" من الشركات الصغيرة حسبما ذكرت ولفت نظري إلى ذلك . وماذا يهمّ في ذلك ! او بالاحرى سيكون ذلك افضل جدا بالنسبة لي ! سوف يكون لعملي اهمية اكبر إذا صحّ ذلك . وسوف يعمل مدير هذه الشركة بكل رقة وبطريقة اكثر حضارة ليثبت ان العمل إلى جانبه متعة حقيقية !

ولمدة لحظات قليلة شعرت الشابة بالخوف من التعبيرات التى كانت تظهر على وجه محدثها . ففي الحقيقة لم يكن " جيل لاروك" من هذا النوع من الرجال الذين يمكن دفعهم إلى اقصى حدود الاحتمال . وكان الرجل يسال نفسه في اللحظة التالية عما إذا كانت الشابة لم تكن تحلم ؛ كان "جيل" يحاول أن يسترجع قواه وكان من الصعب التعرف على ملامح وجهه او معرفة تفسير تعبيراتها . واستطاعت "فيكتوريا" بابتسامة شبه شيطانية ولكنها لا تخلو من الرقة والفتنة إرغام الرجل على أن يقول بصوت حازم وكان الإجابة لم تكن تعنيه في شيء إطلاقا:

- " ومتى تفكرين في العودة إلى "لندن"

وردت عليه الشابة باندفاع :

- " في اقرب فرصة . فقد انتهت جلسات المؤتمر وقد سلمتني القنصلية جوازاً مؤقتا واصبحت دون عمل الآن . ولكن هناك امر يجب عليك ان تتذكره : ليس لدي اية نقود . والأمر متوقف عليك في الحصول على تذكرة طائرة لي وانتظر الرجل لحظة دون ان يقول شيئا مكتفيا بالنظر إليها وكانه يحاول كشف خباياها .

اهتزت "فيكتوريا" لهذه النظرة التي كانت من القوة بحيث لم تكن تستطيع ان تتحملها . وكانت بذلك تهرب بكل صعوبة من قوة نظراته المضطربة الجادة التي لا يمكن اختراقها . ولم تستطع الشابة سوى ان تتلفظ :

- " هناك رحلة على شركة طيران "إيرفرانس" المتوجهة إلى "لندن" في الصباح . وقد يستطيع استقبال الفندق ان يتولى عملية حجز التذكرة على هذا الخط .

قاطعها الرجل بكل عنف :

- " سوف نتكلم في هذا الموضوع صباح الغد والآن اطلب منك ان تجهزي نفسك للعشاء .إنني انتظرك في البار خلال ساعة " .

وفي اللحظة التالية كان الرجل قد تركها وابتعد عنها دون ان يسالها عما إذا كانت ترغب في تناول وجبة العشاء بصحبته ؟ !

جلست "فيكتوريا" حينذاك على السرير وخلعت فردة من حذائها المصنوع من جلد التمساح الذي كان يسبب لها الاما شديدة ورمته بكل قوتها على باب الغرفة فاصطدم جزء الحذاء بالمكان الذي كان يوجد فيه راس "جيل لاروك" . ولكن من حظ الرجل انه كان قد ترك الغرفة قبل ثوان قليلة .

وعندما دخلت "فيكتوريا" بعد ساعة من الزمان في بار الفندق كان البار في هذه الساعة مزدحما باعضاء المؤتمر وهم يحملون في ايديهم اكواب المشروبات : وعندما شاهدوها توقفوا جميعا عن الكلام واخذوا يوجهون ناحيتها انظارهم . كانت الشابة ترتدي الفستان الأخضر كخضرة اللوز المصنوع من الصوف المخلوط بخيوط من الحرير ويحمل علامة "جيل لاروك" . كان شعرها ينسدل على كتفيها وكان يلمع كالذهب

البراق وكانت الشابة قد قضت وقتا طويلا في غسله وتمشيطه . لم تكن "فيكتوريا" تضع على وجهها زينة لأن ادوات زينتها كانت قد اختفت مع بقية الحاجات التي فقدتها . ومع ذلك كانت الشابة تظهر في جمال وروعة نادرة لأن النزهات التي قضتها في الجبل بجانب الوجبات الدسمة التي كانت تعدها "ماري روز" طباخة "جيل" كانت قد اعادت إلى الشابة صحتها ونضارتها ولذلك كانت بشرة الشابة تظهر ملفوحة بعض الشيء من حرارة الشمس . كانت "فيكتوريا" ترتدي هذا الفستان الذي ينزلق على جسمها فيظهر تكوينه الرائع وإتقانه الكامل كانت تتلالا جمالا واناقة طبيعية .

وكانت "فيكتوريا" تشعر بخجل ورهبة لأنها كانت هدفا لكل هذه النظرات التي ترمقهادون رحمة . وحاولت الشابة ان تبحث بعينيها عن "جيل لاروك" . فلمحها وكان يتبادل الحديث مع رئيس المؤتمر، فاتجه إليها في التو دون ان يضيعَ الوقت في الاعتذار لمن كان يتحدث معه . عندئذ وبسرعة اختفت هذه المجموعة الكبيرة من اعضاء المؤتمر عن عيني "فيكتوريا" .

ولم تر شيئا سوى ذلك الرجل الذي كان يتقدم إليها وعيناه تكادان تذوبان في عينيها .

وعندما وصل "جيل لاروك" امام الشابة وقف لحظة وتمتم بصوت عميق وقد تحول صوته فجاة إلى صوت اجش :

- " اهلا وسهلا بالسيدة الأكثر اناقة والأكثر جمالا في هذه الحفلة المسائية" .

ثم انحنى واخذ يد "فيكتوريا" في يده لكي يرفعها إلى فمه . وعندما لمست شفتاه المرتعشتان جلد الشابة اغلقت "فيكتوريا" عينيها .

لقد كان هناك رباط وثيق بين الرجل والشابة ، رباط غير مرئي وشديد وسري. كان هذا الرباط يجمع بينهما في هذه اللحظة الفريدة من نوعها وبين هذا الجمهور دون ان يعرف ايٌ منهما سواء من جانب الرجل او من جانب الشابة - لماذا وكيف حدث ذلك .

- " والآن سيداتي سادتي ارجو ان تتوجهوا مشكورين إلى المائدة لان العشاء سوف يقدم لكم بعد دقائق . واتمنى لكم جميعا طعاما شهياً " .

قطع صوت رئيس المؤتمر الذي تردد في مكبرات الصوت هذا السحر الذي كان يسود الصالة . وانتصب "جيل لاروك" واقفا وادخل ذراعه في ذراع الشابة وتمتم في اذنها :

- " لو سمحت الأنسة ومنحتني شرف تناول هذا الطعام الأخير .. "

الطعام الأخير ! غدا سوف تعود إلى "لندن" في شقتها الصغيرة وستمكث فيها وحيدة تحت سقفها وحيدة مع ذكرياتها . وحيدة مع كروبها . وحيدة مع ماضيها .

لماذا فعلت ذلك يا "ديفيد" ؟

لماذا سببت لي كل هذا الإيذاء ... سالت الشابة مرة اخرى ذلك الطيف الذي كان يتبعها وعلى الرغم من محاولاتها المتكررة لم يكن في استطاعتها ان تطرد ذلك الطيف الذي يؤرق حياتها .

كانت "فيكتوريا" توشك ان تتقوقع في افكارها عندما شعرت بان الضغط الذي كان يمارسه الرجل على ذراعها اخذ يشتد كانه يامرها بعمل شيء ما .

نظرت الشابة وهي في حالة من الدهشة حولها .

كانت تشاهد انوارا مضيئة تنتشر في كل مكان وباقات من الورد وملاعق وشوك وسكاكين منقوشة ومزينة بطريقة فنية .

كان "مارك تومسون" جالساً على إحدى هذه الموائد . لمحته الشابة وهو يحاول ان يقوم ببعض الحركات بيده ليسترعي انتباهها وكان يدعوها إلى الانضمام إليه . ولم تستطع "فيكتوريا" ان تمنع نفسها من الابتسام . لم يكن "مارك تومسون" مستسلما بهذه السهولة . ولكن "جيل لاروك" دون ان يوجه اي سلام إلى الناحية التي كان جالساً فيها "مارك" اخذ الشابة وذهب معها إلى اخر القاعة في اتجاه مائدة كانت قد نصبت في احد جوانب الصالة في مكان يكاد يكون معزولا عن بقية الموائد .

كانت المائدة التي اختارها "جيل" تقع إلى جوار النافذة التي تطل على الحديقة . وخلال ساعات اليوم كانت الحديقه بممراتها وورودها وازهارها المتعددة التي تجد كل عناية ورعاية من عدد من البستانيين ، لم تظهر بمثل هذه الروعة مثل هذه الليلة في ضوء القمر الذي كان

ينشر ضياءه المائل إلى الزرقة على كل الأشياء . وكان بذلك يضفي على هذا المكان منظرا رائع الجمال والشاعرية . وكانت نافورة المياه المصنوعة على شكل "نبتون" إله البحار عند الإغريق والرومان تنطلق منها المياه من فتحات متعددة . وكانت هذه المياه المنطلقة تتخذ عدة أضواء مختلفة تتغير باستمرار . وكانت هذه الالوان تشبه الوان قوس قزح

كان . "جيل لاروك" قد اقترح الليلة السابقة على "فيكتوريا" ان يصطحبها للقيام بنزهة داخل هذه الحديقة فاتنة الجمال . ولكن الشابة ، تعللت بان التعب يوشك ان يحل بها ثم توارت في غرفتها .

هل سيجدد الرجل هذا الاقتراح في هذه الليلة ؟

ماذا يكون حينئذ ردها على هذا الاقتراح ؟

الم تكن هذه هي الليلة الاخيرة التي يقضيها في صحبتها ؟

كان عامل الصالة الذي يرتدي زية الأسود ورباط العنق على شكل فراشة يقترب من المائدة التي يجلس عليها "جيل وفيكتوريا" لاخذ الطلب منهما . اقترح الرجل وهو ينظر إلى الشابة :

- " اتركيني يا " فيكتوريا" اطلب لك وجبة طعام هذا المساء . فإنني اتمنى قبل عودتك إلى انجلترا التي ولدت فيها ان تتذوقي الماكولات الخاصة التي تشتهر بها منطقة جنوب غرب فرنسا واعني بذلك ان تتذوقي لحم البط . وبما ان الشابة وافقت على هذا الاقتراح فقد اندفع الرجل وتابع كلامه:

- " اما بشان الشراب ... "

وتمتمت الشابة بسرعة :

- " تقصد ان تقول شراب التفاح . الا تعتقد ان الشراب لا يصلح إطلاقا للمناسبات العظيمة ؟ "

نظر إليها الرجل مدة طويلة حتى ان الشابة اعتقدت بانه يريد ان يقول شيئا ولكنه تراجع عن رايه وطلب زجاجة من شراب التفاح الفاخر . كانت وجبة الطعام تزخر بجميع الماكولات الخاصة التي تشتهر بها هذه المقاطعة من فرنسا ، وتقدم على انغام الموسيقى بطريقة فنية فاخرة ومتانقة بحيث كانت "فيكتوريا" تشعر بعذوبة

حقيقية . وعندما كانت وجبة الطعام تقترب من الانتهاء قدم عامل الصالة صينية مملوءة بالجبن إلى "فيكتوريا" . وقالت الشابة دون أن تلقي نظرة على الصينية وهي متأكدة من كلامها :

- " احب أن أكل قطعة من "جبن لاروك" المصنوع من لبن النعاج "

قال عامل الصالة وهو في حالة ارتباك :

- " لاشك أن هذا النوع من الجبن يا انستي سيكون رديئا . فإنني اعرف جميع انواع الجبن ولكنني لم اسمع إطلاقا عن هذا الاسم " .

- " كيف يحدث لشركة مثل شركتكم ان تتجاهل وجود مثل هذا الجبن ؟

قطعا هو من احسن انواع الجبن الذي تذوقته طوال حياتي " !

- "يجب ان تطمئن الآنسة، فسوف اتكلم مع المسؤولين بشان شراء كمية منه وعندما تتكرم الآنسة بزيارتنا في المرة القادمة فسوف تجد عندنا هذا النوع من جبن "لاروك" .

وعندما ابتعد عامل الخدمة وقد لقي هزيمة منكرة بسبب محاولته تجاهل نوع الجبن الجديد اخذاً معه صينية الجبن التي لم يكن قد لمسها اي منهما بدا "جيل وفيكتوريا" ينفجران في الضحك .

اخذ "جيل" يؤكد بكلمات كلها شعور ملتهب بعد أن هدأ من الضحك...

- " إنك يا "فيكتوريا" لعبقرية . هذه طريقة ذات فاعلية اكثر من اي عملية دعاية إعلامية مهما كانت كبيرة بهدف إدخال جبن "لاروك" في كل المطاعم الكبيرة . إنني اتصور نفسي جيداً ، ونحن نقطع الأراضي الفرنسية ، ونقصد جميع الفنادق الكبيرة ، واكاد اراك وانت ساخطة عند المساء على مائدة الطعام كما فعلت ذلك بالضبط الآن .

" كيف يحدث مثل هذا !

اليس لديكم نوع جبن "لاروك" الممتاز ... لاشك ان هذه فضيحة ! "

كانت "فيكتوريا" تحاول ان تسيطر على موجة الضحك التي انتابتها، وكانت عيناها مازالتا تلمعان من كثرة الضحك فقالت وهي تحاول مداعبة الرجل :

- " سوف يكلفك هذا الكثير من شراب التفاح ! "

- " ولكنني هكذا استطيع ان احتفظ بك بجانبي " .

كل ملامح الجمود كانت قد اختفت من ملامحه . ولم يحدث مطلقا قبل الآن أن رأته "فيكتوريا" وقد ظهر مثل هذا الشعور بالرقة على وجهه . كان الرجل قد تغير تماما .

" مفعول شراب التفاح دون ادنى شك !

" كانت الشابة تفكر في ذلك . الم يكن هذا الشراب يحتوي على مميزات سحرية أو حتى شيطانية ؟

كانت الشابة تشعر كان حالة من الفتور قد اصابتها .

كانت احزانها وكل الموانع التي تحس بها تتلاشى .

كانت الشابة في حالة طيبة ، بل في حالة رائعة وكانت تتمنى ان تدوم هذه اللحظة إلى الأبد .

-"إنني ارفع كاسي لنجاحك يا "فيكتوريا"- قال "جيل لاروك" بعد ان ملأ مرة أخرى كاس الشابة من الشراب الرائع الذي كان يتلألأ امامهما.

- " إنني اتمنى ان يجد قلبك يوما من الأيام كل ما يصبو إليه " .

ونظرت "فيكتوريا" إلى الفقاعات الرقيقة التي كانت تتصاعد ببطء من خلال الشراب الذهبي الذي كان يملأ الكاس وهذا المنظر كان يسحرها وكثيرا ماكان يتجدد باستمرار، اي نوع من الحياة السحرية كانت تتردد داخل هذا الشراب ؟ الحياة ؟

بالتاكيد ، كانت الحياة تبدأ من جديد دون انقطاع مثل هذه الفقاعات التي تبدو وكانها تموت وتتلاشى عند السطح ، ثم تاخذ في التوالد مرات عديدة اخرى من قاع الكاس لكي تصعد إلى اعلى حتى السطح وكانها في وضع انجذاب امام قوة لايمكن مقاومتها .

رمقت "فيكتوريا" كاسها والتقت بنظرات "جيل لاروك" . وشعرت باضطراب يحاول السيطرة عليها بطريقة غير منظورة وهي تلمح البريق الذي كان يلمع في قاع عينيه السوداوين اللتين كانتا تجذبانها كما تفعل نظرات الأحبة . كانت عيناه اللتان تكلمانها عن الحياة تعدانها بان تمنحاها تلك القوة التي تسمح لفقاعات شراب التفاح بان تتوالد مرات عديدة اخرى لكي تصعد دائما إلى السطح .

- " فيكتوريا" .

لم يتعد صوته اكثر من تمتمة . كانت نظرات الشابة تهبط إلى شفتيه اللتين كانتا تلفظان اسمها كما لم يلفظه ايّ إنسان اخر قبل الآن .

تذكرت كذلك القبلات التي تبادلتها مع الرجل في مكتبه ، والتي تبادلتها معه عند جدول المياه في المراعي الجبلية . كانت ، الشابة لا تزال تشعر بلذتها على شفتيها اللتين ما فتئتا ان تضخمتا فجاة . وكانت تحاول جاهدة ان تطفئ النار التي تضطرم في شفتيها فكانت ترشف من الشراب البارد الذهبي اللون المتلألئ . هذا معناه الاعتماد على "باخوس" إله الشراب الذي صنع شراب التفاح . كانت الفقاعات تندفع إلى لسانها وإلى حلقها وكانت مشاعر اللذة تتردد في جسمها . وعندما وضعت الشابة كاسها نظرت مرة اخرى إلى محدثها وكانت عيناه تعبران عن نفس الرغبة التي كانت تتاجج في كيانها .

وفي نفس الوقت الذي كان فيه "جيل" يمديده ليمسك بيد الشابة سمع فجاة صوتاً هزه :

- " لاروك" ! جيل لاروك" .

كان الاثنان في شكل انفصال تام عن بقية العالم وهما في حالة تامل متبادل التفتا معاً بنظراتهما التي اصابها الذهول والدهشة تجاه شخص طويل ملون كان واقفا امام المائدة التي كانا جالسين عندها وكان وجهه مبتهجا :

- " ايها الماجن "جيل لاروك" ! هل قررت إذن ان تترك نعاجك وان تنزل من جبلك !إنني فعلا مسرور جدا لرؤيتك ايها الصديق القديم " .

كانت نبرات صوته شديدة وكانت دائرة مساحتها تصل إلى عدة كيلو مترات.

كان السكون مخيما حولهما وادارت مجموعة الاشخاص التي كان المطعم يكتظ بها اعينهم وهي دهشة . واخذت تتقاطر تجاه المائدة التي كانا يجلسان عليها . ولكن الرجل لم يشعر باي قلق لكونه اصبح هدفا لكل الانظار في الصالة واستمر في كلامه :

- " لكم كنت اود مقابلتك في مدينة "بوردو" ! كنت تستطيع ان

تخبرني بزيارتك هذه . كنت ستاتي لتاكل معي في المنزل !

- " سلامي لك يا "ليفوري" . إنني مسرور جدا لرؤيتك . ارجو ان تقبل عذري لانني مشغول الآن " .

تبع الرجل الغريب نظرات "جيل" وبدا عليه انه اكتشف وجود "فيكتوريا" .

وقبل ان يتسنى للشابة ان تتلافى حركته قام بالانحناء امامها واخذ يدها التي كانت في حالة استرخاء على المائدة وقربها من شفتيه ووضع عليها قبلة طويلة . ولكن "فيكتوريا" حاولت ان تكتم شعورها المضطرب بالاشمئزاز ثم انتصبت واقفة وزفرت في وجهه نفسا مختلطا بالدخان المخلوط برائحة الشراب ولكنه قال :

- " هذه الحبيبة كلاوديا " !دائما تتجلى في مظهر ياخذ بمجامع القلوب إنني في غاية السرور لرؤيتك ! سوف تنضمان إلي لتتناولا معي اكواب شراب التفاح لو اردتما ان تسعداني .

- " كلا! " .

كان صوت "جيل" باردا جدا كبرودة جبل الثلج .

اختلط الأمر على الرجل وتردد لحظة وبدات الابتسامة تختفي تدريجيا من شفتيه الغليظتين من فرط المفاجاة . ولكن هزيمته لم تستمر اكثر من ثانية واحدة فسرعان ما تماسك وبدا سعيدا .

- " لن اتركك إطلاقا ايها الصديق القديم ولن تتمكن من الخلاص مني بسهولة او منعي من مصاحبة عزيزتك "كلاوديا" .

اغلقت "فيكتوريا" عينيها وتمنت ان تموت في ارض المعركة او تختفي تحت طبقات الأرض بمئات الامتار حتى لا تسمع إطلاقا هذا الصوت البغيض وحتى لاتحس بان الأنظار مصوبة نحوها . وكان الغلمان الموكلة إليهم اعمال الخدمة واقفين في الممر يحملون الصحاف على ايديهم .

- " سيد "ليفوري" .. إن هذه الشابة ليست "كلوديا "

سمع صوت "جيل لاروك" في الصالة وكانه صوت معدن اخذ يرن في هذا الهدوء الكامل الذي كان يخيم على صالة الطعام . ومكث الرجل الذي كان يدعوه "جيل" باسم "ليفوري" لحظة فاغرا فاه وهو ينظر إلى

محدثيه واحداً بعد الآخر ثم انفجر ضاحكا بصوت يشبه الرعد . وكان ذقنه يهتز بعنف مع ضحكاته. ثم اخذ يقول وهو ينحني نحو "فيكتوريا" .

- " بالتاكيد. - كيف امكنني ان اخطئ إلى هذا الحد ؟ ارجو ان تتقبلي اعتذاري المتكرر ياآنستي" .

ثم حاول ان يتجه إلى "جيل لاروك" واخذ يتابع كلامه وهو يلقي عليه نظرة من عينيه واضعا يده الكثيفة الشعر على ذراع الشابة العاري .

- " هناك شيء مامؤكد ايها الصديق القديم وهو انك تعرف كيف تختار هؤلاء النساء " .

حاولت "فيكتوريا" ان تمسك نفسها عن إصدار اي حركة تافف من شدة شعورها بالتقزز ومن هول ما سمعت . فدفعت كرسيها إلى الخلف محاولة ان تتخلص من هذا الاتصال الوحشي . وانتصب كذلك "جيل لاروك" واقفا فجاة وقد احس انه لا يستطيع السيطرة على اعصابه اكثر من هذا وامسك الرجل من مقدم قميصه بكل عنف والزمه بالجلوس على الكرسي الذي قام عنه منذ لحظات . واسرع احد الغلمان الذين يعملون في خدمة صالة الطعام نحوهما وكانت علامة اهتمام تظهر على وجهه القلق :

- " هل تريد اي مساعدة ياسيد "لاروك" ؟

- " اشكرك .. فكل شيء يسير على خير ما يرجي " .

وبعد ذلك استدار إلى الشابة وامرها بجفاء ان تتعبه بعد ان ابعد الكرسي الذي كان جالسا عليه إلى الخلف حتى تتمكن "فيكتوريا" من الوقوف . وفي اللحظة التي كان سيترك فيها مائدة الطعام ، كان يبدو عليه التردد لمدة ثانية ولكنه وضع يده على كتف "ليفوري" . وقال لعامل الصالة الذي كان واقفا هناك وذراعاه ترتعشان لا يعرف اي سلوك يلتزم به :

- " ارجو ان تحضر كوبا من الشراب إلى هذا السيد على حسابي " .

وفي الوقت الذي كان فيه الرجل والشابة يبتعدان وهما يعبران الصالة متجهين نحو الباب بدات تسمع اصوات الشوك والكلمات بين الحاضرين في الصالة . لاشك ان "جيل لاروك" وصديقته الساحرة

الجمال كانا قد تناولا طعامهما وهما يتحدثان عن اعضاء المؤتمر الذين كانوا مجتمعين في هذه الصالة .

خرجت "فيكتوريا" من الصالة مرفوعة الراس دون ان تلتفت إلى اي مكان سواء على اليمين او على اليسار .

كذلك حاولت الا تنظر إلى جهة المائدة التي كان "مارك تومسون" جالسا إليها . كانت الشابة تشعر بحياء شديد .

www.elromancia.com

الفصل العاشر

عجزت ساقا "فيكتوريا" عن ان تحملاها إلي مكان ابعد من الصالة عندما وصلت إليها .

وقفت لكي تستند إلى احد الاعمدة . وكانت البرودة تتسرب إلى جسم الشابة من خلال قماش الفستان الخفيف الذي كانت ترتديه . لماذا إذن كانت الشابة تحس بحالة من الاستياء ؟

كيف تتمكن منها الحركات الطائشة التي تصدر من إنسان سكران كان يمكن تداركها إلى هذا الحد ؟

او ربما كانت كلماته هي السبب في ذلك ! وفجاة شعرت بالفزع لان يدا كانت قد لمست ذراعها . وحاولت ان تدفع عنها هذه اليد .

- " لا تلمسني ! "

- " إنني حزين يا "فيكتوريا" . إنني في الواقع اشعر بحزن شديد " .

رفعت الشابة راسها وهي في دهشة من امرها . وقد تبينت ان شيئا ما كان يظهر في صوت "جيل لاروك" ولذلك احست بنذير الخطر . كان صوته غريبا جدا عليها وخيل إليها انها لا تعرف هذا الصوت إطلاقا إذ الحزن الشديد يسيطر على هذا الصوت . وكان الرجل نفسه يبدو في حالة من التاثر العميق لما كان يحدث .

واقترح عليها الرجل :

- " تعالي معي لنذهب إلى البار . إنك في حاجة ماسة إلى احتساء مشروب قوي " .

ارتعدت فرائص "فيكتوريا" وقد تذكرت فجاة حالة النشوة والمرح التي كانت عليها في لحظة وصول هذا الرجل المسمى "ليفوري". لا تستطيع ان تلبي الآن طلبه فلقد احتست الكثير من الشراب هذا المساء .

كانت الشابة تتمنى شيئا واحدا هو الاختفاء في حجرتها حتى لا ترى اي إنسان أخر .

- " انهب يا "جيل" وحدك دون ان اكون معك . ارجوك - إنني بحاجة إلى ان اكون وحيدة "

اصدر "جيل" نوعا من التاوه عند سماعه هذه الكلمات واقترب منها

لكي ياخذها بين ذراعيه . ولكن في هذا الوقت بالذات فتح باب المطعم فخرج منه بعض الافراد وهم يضحكون بشدة . ولكنهم توقفوا عن الضحك فجاة وهم يشعرون بنوع من القلق عندما لمحوهما. ثم انفجروا ضاحكين بعد ان ابتعدوا عن المطعم ببضع خطوات.

كانا قد اصبحا اضحوكة جلسات المؤتمر .

اصدر "جيل" همهمة غضب شديد واخذ يضرب بقبضة يده وبكل قوته العامود الذي كان يرتفع امامه في الصالة .

كانت هذه الضربات تدوي في راس "فيكتوريا" التي اطلقت صرخة دهشة .

قال الرجل وهو يمسك يد الشابة ويمشي معها نحو المصعد :

- " تعالي معي فنحن لا نستطيع ان ننتظر في هذا المكان لن يتاخر بقية اعضاء المؤتمر عن الخروج من المطعم كذلك " .

كانت الشابة عاجزة عن إبداء اي نوع من المقاومة ، لذلك تركته يملي عليها كل رغباته ، على الرغم من ان اعصابها كانت مشدودة من المنظر الذي كانت تشاهده . كانت في الواقع على حافة ازمة عصبية . وبعد دقائق كان باب غرفتها يقفل عليهما.

وتوجهت "فيكتوريا" إلى الحمام واغلقت الباب خلفها . وفي الحمام مالت الشابة على الحوض وراحت ترش وجهها بالماء البارد كما لو كانت تغتسل من الشوائب التي لحقت بها .

كانت الشابة في الحقيقة تشعر بانها متسخة وبانها في حالة امتهان للتعامل الذي كان بينها وبين ذلك الرجل الفظ الذي كانت تصدر منه افعال مبتذلة يشهد عليها جميع الحضور . ولكن كان هناك امر اخر .

من اين كان ياتيها هذا الالم الذي كاد يمزق قلبها ؟

كان المنظر الذي حدث في المطعم كريها ، ولاشك ، ولكنه لم يكن يستحق ان تقيم له الشابة كل هذا الاهتمام . كان لزاما عليها ان تضحك على هذا الحادث لانه لم يكن يستحق غير هذا . إذن ما الشيء الذي كان يسبب لها هذا الإحساس الذي كانت تحس به كثيرا وقد كان يشغل قلبها ويجعله في حالة احتضار ؟

وعندما رفعت راسها لمحت منظرها في المراة وظهرت لها الحقيقة فجاة :

كان سبب هذا الالم يظهر في اعماق عينيها إنها الغيرة . كانت الشابة تعرف ذلك حق المعرفة . كانت "فيكتوريا" تغار من كل النساء اللاتي كن يلتقين بـ"جيل لاروك" في اثناء السير في الطريق وتغار من تلك المراة التي تسمى "كلوديا" التي قاسمته حياته يوما من الأيام . لماذا لم يتركها "جيل" لكي تسافر عندما انتهت من عمل الدعاية الإعلامية ؟ ربما كانت قد تخلصت الآن من كل ما تشعر به !

قالت "فيكتوريا" لصورتها التي كانت تنعكس في المراة :

- " لا ، كفي عن سرد كثير من القصص . لقد ادركت من وقت بعيد أن الشعور بالخوف وبالحقد الذي كان يراودك في بادئ الأمر بالنسبة لسجانك كان قد تحول ببطء إلى شعور آخر ، شعور قلب كل الموازين إلى حد كبير وكنت قد اقسمت من قبل انك لن تسمحي لنفسك بالإحساس بهذا الشعور !

كانت كل المجهودات التي بذلتها لكي تحمي نفسها من هذا الشعور الهدام قد ذهبت ادراج الرياح ولم تنجح في التغلب عليه .

وبعد بضع ثوان ، كان وجهها قد عاد إلى رونقه . واخذت الشابة تتردد في الرجوع إلى غرفتها . فبعد ان اكتشفت مدى الشعور الذي كانت تكنه للرجل الذي كان ينتظرها في الغرفة كانت تسال نفسها وهي ترتعش :

ماذا سيحدث ؟

سيكونان وحدهما في هذا المكان والقلب مفعم بالإحساس بالخوف مما يمكن ان يحدث . اخيرا دفعت "فيكتوريا" باب الحمام .

كان "جيل لاروك" واقفا امام النافذة يسبح في افكاره ولم يلتفت إطلاقا عندما دخلت الشابة الغرفة . كان في سكون غريب ولم تعرف "فيكتوريا" ما السلوك الذي كان لزاما عليها ان تلتزم به . وكان العقل يملي عليها ان تطلب منه ان يخرج من غرفتها . ولكن كان من الواضح

ان إحساساً بالحزن كان ينبعث من الرجل . بحيث لم تجد الشابة الشجاعة الكافية لأن تقول ذلك .

اخذت الشابة اليا الفستان الملقى على السرير وعلقته على المشجب والتقطت كذلك رباط العنق الملقى على الأرض .

قال لها الرجل دون ان يدير وجهه لينظر إليها .

- " إنني حزين يا "فيكتوريا" .

سالته الشابة وقد شعرت بدفعة فجائية تنتابها :

- " من هي "كلاوديا" ؟

تبع هذا السؤال سكون طويل . ثم جاءها الرد .

- " زوجتي " .

- " زوجتك ! "

- " نعم زوجتي . كانت "كلاوديا" زوجتي . قال الرجل وقد ادار وجهه اخيرا - " وكان لـ "ليفوري" بعض العذر هذا المساء . لاشك في انه احتسى الكثير من الشراب اكثر من اي وقت آخر وتناسى اهم مبادئ اللياقة . ولكن كيف نستطيع ان نشجبه لأنه اعتقد بانك "كلاوديا" ؟ إنك في الواقع تشبهينها إلى حد كبير!

لم تصدق "فيكتوريا" اذنيها .إذن كانت هناك السيدة "لاروك" وكانت تشبهها إلى حد بعيد !

- " نعم - إنك تشبهينها - استمر الرجل في الكلام وقد عجز عن ان يحتفظ بالرد - ان يتوقف عن الكلام- ومع ذلك فانت مختلفة جدا عنها. يوجد فيك ما يشبه الرقة ، الإحساس المرهف ، الطهارة .... وهذه صفات فقدتها ولاشك "كلاوديا" منذ حداثة سنها .

تنفس بعمق بملء رئتيه ، بينما كان يترك النافذة ليجلس على السرير .

اخذ حينذاك راسه بين يديه كانه يريد ان يستغرق بطريقة افضل في ذكرياته .

- " لقد تعرفت بـ "كلاوديا" في باريس . كانت تدير احد محالها

الرفيعة المستوى . وكان هذا المحل يوجد على الضفة الشمالية . ولم اكن قابلت قبل ذلك اية امراة جميلة هكذا ، مليئة بالحيوية وبالخيال ولقد وجدتني ماخوذا بجمالها كان صوت الرجل مغلفا بنبرة حزينة حتى ان "فيكتوريا" شعرت بتاثر واقتربت من السرير وركعت على ركبتيها امامه ، واخذت تمسح على شعره .

- " كفاك يا "جيل" تعذيبا لنفسك ارجوك . إن كل هذه الذكريات تبدو مؤلمة جداً ."

ولكنه كان مستمرا وكانه يتكلم لنفسه :

- " لقد تزوجنا تحت تاثير الدافع بعد اشهر، لكي نلقي بنفسينا في الجحيم . كانت "كلاوديا" امراة باريسية بكل وجدانها وكنت مجنونا عندما اعتقدت انني استطيع ان ابعدها عن مغريات العاصمة وسرعان ما اخذت تظهر كراهيتها لهذا الوادي المترامي الذي هو في الواقع كل عالمي ولا استطيع ان افرط فيه إطلاقا .

بجانب ارتباطي الشديد به ، كان الوادي والجبل المحيط به وكل شيء يسبب لها اكتئابا . كيف يمكنني ان اطلب منها البقاء في هذا المكان في الوقت الذي لم تكن تشاركني فيه ايا من شعوري وعواطفي !

وقد غادرت في يوم من الأيام المكان تاركة قطعة من الورق ترجونني فيها ان اتركها تعيش حياتها والا ابحث عنها لكي اراها . ولقد نزلت عند طلبها وعلمت بعد ذلك بوقت طويل بانها هربت في نفس اليوم الذي اخبرها فيه الطبيب بانها توشك ان ترزق بطفل . وكان هذا الطفل هو ابني ."

وقد شعرت "فيكتوريا" بالدهشة تستولي على كل كيانها . لم يكن لـ "جيل" زوجة فقط ، ولكن إلى جانب ذلك طفل ايضا !

- " اين هو ذلك الطفل في الوقت الحالي ؟ "

- " لم يتسنَ له ان يرى هذا العالم نهائيا " .

بح صوت الرجل ولم يستطع ان يستمر في الكلام . واستمر هذا الوضع بضع دقائق قبل ان يواصل كلامه وكانه يحاول ان يكتم

نحيبه:

- " كيف استطاعت ان تفعل ذلك ! "

أحست "فيكتوريا" لحظة انها قد تجردت من اي سلاح وان الكلمات تلاشت امام هذا المشهد الذي يظهر مدى الالم الذي كان يسيطر على هذا الرجل الذي يتمتع بقوة خارقة للعادة والذي تظهر عليه القسوة بجانب وثوقه من نفسه ولكنها اكتشفت هذا المساء انه يظهر محطما ومقضيا عليه .

كانت الآلام التي احست بها هي ايضا بعد مشهد صالة الطعام لا تتعدى ان تكون صورة مضحكة لما تراه الآن . كانت تتمنى في هذه الحظة ان تاخذه بين ذراعيها وان تعزيه .... ولكنها دون ان تفكر كثيرا واستجابة لدوافع قلبها فضلت ان تجلس على السرير إلى جانبه وان تلف ذراعها حول كتفيه ، وان تدفعه نحوها وحاول الرجل معهافي بادئ الأمر ان يقاوم ولكنه بعد ان تنفس بعمق وضع راسه على صدر الشابة وتركها تهدهده وكانه طفل .

واستمر الحال على هذا الوضع فترة طويلة من الوقت دون كلام وبعد ذلك تمتمت "فيكتوريا" :

- " اين تعيش "كلاوديا" في الوقت الحالي ؟ في باريس ؟ "

- " لقد ماتت من كثرة تعاطيها للمشروبات الكحولية والمخدرات منذ عام"

ورددت "فيكتوريا" الكلمة مقتنعة بانها لم تسمع كلام الرجل بطريقة جيدة ..

- " تقول كثرة تعاطيها للمواد الكحولية والمخدرات ؟

- " نعم كانت "كلاوديا" تتعاطى الكحوليات والمخدرات . كانت تفعل ذلك حتى قبل زواجنا ولكنني كنت اجهل ذلك . لوكنت اعلم ذلك لحاولت ان اعالجها . كنت واثقا جدا من قوة حبنا بحيث لم اكن اشك إطلاقا في إمكان تذليل كل الصعوبات والحواجز التي كانت تفرق بيننا ... وعلى الرغم من ذلك فعندما لاحظت ان زوجتي كانت تتعاطى هذه

السموم حاولت المستحيل ، فلجات انا إلى أعظم الاختصاصيين لكي اجعلها تبدا عملية علاج ضد هذه السموم لتتخلص منها وللحقيقة ، انني اعتقدت في لحظة ما انني نجحت في علاجها دون ان اضع في اعتباري باريس وإمكانات هذه المدينة على الجانبية . لذلك كان نداء المدينة الكبيرة ونداء المغريات الصناعية اقوى بكثير مما كنت احسبه ، وعندما رجعت زوجتي إلى العاصمة اصبحت ضحية سهلة في هذا الوسط الفاسد الذي عاشت دائما معه وكانت دائما تدور حوله. واستمرت في تعاطي المخدرات بطريقة مزرية إلى ان جاء يوم . من الايام قضت "كلاوديا" نحبها متاثرة من كثرة تعاطيها للمخدرات ".

اهتزت "فيكتوريا" بعنف عند سماعها هذا الكلام .

وهنا عرفت "فيكتوريا" اخيرا سبب رد فعل "جيل لاروك" عندما اكتشف انها مخدرة في غرفة فندق السيدة "رينو" . الله وحده يعرف مدى الذكريات الكريهة التي اثارها هذا الاكتشاف عند هذا الرجل الذي ماتت زوجته قبل بضعة اشهر بسبب هذه الآفة ! كيف كان على الرجل ان يلعن المخدرات وكل الذين يتعاطونها. بالتاكيد ، كان عليه ان يلعن المخدرات التي خطفت الزوجة التي كان يحبها .. هذه المخدرات التي ربما دفعت "كلاوديا" لان تتخلص من الطفل الذي كانت تحمله .

لم يكن القدر رؤوفا بـ "جيل لاروك" وضمت "فيكتوريا" هذا الرجل بشدة اكثر بين ذراعيها .. هذا الرجل الذي كان في حاجة إلى تعزية نفسية وكان يبحث عن هذه التعزية لديها . كم كان يتالم !

كانت الشابة تشعر بهذا العذاب يسري في كل نسيج من انسجة جسمه ، لكنها لا تستطيع ان تتحمل عنه هذا العذاب . نعم ، كانت هذه الآلام تسبب لها حالة عدم ارتياح إلى الحد الذي كانت فيه الشابة تحاول ان تخفي العذاب الذي كان يسيطر عليها كذلك . وكانها اصبحت فجاة شيئا واحدا تشعر معه بكل احاسيسه.

كم من الوقت قضى كلاهما في حضن الآخر دون ان تصدر عن ايهما اية كلمة وكان كل منهما يحاول ان يستمد الدفء من الطرف الآخر ؟

بضع ثوان ، بضع دقائق ، بضع ساعات ؟ لم يكن في إمكانهما ان يحددا ذلك بالضبط لانهما كانا قد فقدا تماما اي إدراك بالوقت .

سمع الاثنان اصوات خطوات كانت تسير في الدهليز وضحكات جمع من الناس كانوا يمرون امام باب الغرفة .

كانت هذه الاصوات كافية لان ترجع "فيكتوريا" وجيل فجاة من حالة السبات التي كانت تسيطر عليهما .

رفع الرجل راسه وتلاقت نظراتهما وتمتم الرجل :

- "فيكتوريا" .

اجابته الشابة في دهشة :

- "نعم" .

هل كان هذا هو الوقت المناسب لتبادل الحديث بينهما وهما يعلمان جيدا ما سيحدث بينهما ؟

تطورت الاحداث بينهما بالتاكيد كما كان متوقعا وتشابكت اصابعهما وفي الثانية التالية كان "جيل" يطرح الشابة على السرير واخذ يقبلها باشتياق وحرارة في كل مكان من جسمها دون ان يتوقف. اخذ يقبلها في جبينها ، في عينيها في شفتيها وفي عنقها . وفي اثناء تقبيلها وعبثه في شعرها وفي جسدها تمزق الثوب الذي كان قد اشتراه لها "جيل لاروك" لحضور جلسات المؤتمر الذي تكلف نحو ثمانية آلاف فرنك ولكن الشابة لم تلق بالا لشدة ما كانت تشعر به من رغبة محمومة

راحت الشابة تقول له وهي تشعر بسعادة لا تقاس باية سعادة اخري :

- "ارجوك يا "جيل" حاول ان تحبني ... ارجو ان تحبني !"

كان وقع النداء على "جيل" كوقع السحر او الكهرباء . فاخذ يزيد قبلاته المحمومة. وراحت هي بدورها تطلب منه المزيد لترتوي من حبه وحنانه . كان الاثنان مرتبطين ببعضهما وكانهما جسد واحد .

قال لها "جيل" بصوت غاضب يتناقض مع إحساسه العميق بالحزن

الذي كان ظاهرا علي وجهه :

:- " لماذا كذبت علي ؟ .. " إنك تعرفين حق المعرفة يا "فيكتوريا" ما اقصد التحدث فيه . إن قصة " ديفيد" زوجك لم تكن في الواقع سوى اكذوبة . "

كان هذا السؤال مفاجئاً للشابة ، ويكشف كل خباياها . كان الرجل في انتظار ردها على السؤال وهو يستند على مرفقه وينظر إليها نظرات كلها حزن.

ردت الشابة عليه بعد ان استوعبت السؤال :

إنني لم اكذب عليك. لقد تزوجت لمدة سنتين .. كانتا سنتين من الذل.

لقد امضيت عامين لم يكف "ديفيد" خلالهما عن اتهامي بان كل ما يحدث كان نتيجة لخطا ارتكبته . وبعد ذلك تركني في يوم من الأيام .. تركني لينهب وراء إنسان آخر ... وراء رجل !

راح "جيل" يسب "ديفيد" عندما سمع هذه الكلمات ولم تتوقف "فيكتوريا" عن الكلام بل اخذت تتابع حديثها، وهي تشعر بالخوف من مدى عنف رد الفعل الذي كانت تقرؤه على وجهه :

- " كانت افعاله هذه نتيجة لطفولة قضاها "ديفيد" تحت حماية أم تجاوزت كل الحدود واساءت التصرف في تربية ابنها بلا ادنى شك .

كنت انا كذلك في حالة ذعر من تصرفاته تجاه زوجة ابي . لقد تركني عندما توفيت زوجة ابي . وفي آخر الأمر تجرأ بالابتعاد عني . ليؤكد بذلك لكل الناس حقيقة شخصيته وكيف استطاع ان يسير في هذا الطريق الكريه ؟

إنني لا اتكلم عن ضعفه .. كان "ديفيد" حراً في ان يفعل مايشاء . ولكن لم يكن له اي حق في الزواج منك وان يسبب لك اذي بهذه الطريقة ...

بالتاكيد .. كان "ديفيد" قد سبب لها اذى بل واذى فظيعا . كان إلى جانب ذلك قد عمل على هدمها نفسيا بان جردها من كل ثقة بنفسها .

كانت الشابة تجيب بان كل هذا لم يكن له اية اهمية إطلاقا وان ذلك

كان يتعلق بماض انقضى عندما انفجرت فجاة باكية دون ان تستطيع منع ذلك .

كانت "فيكتوريا" قد حاولت ان تكتم هذه الدموع مدة طويلة . ولكنها اخيرا عملت على التخلص منها . واخذت الدموع تنهمر على وجنتيها وكانها وجدت في ذلك خلاصها . وكان "جيل" هو اول إنسان تقص عليه "فيكتوريا" هذا الكابوس الذي حدث لها دون ان تصرح به لاحد طوال سنوات عديدة . ولكي تخمد تباريح الآلام التي كانت تشعر بها تسيطر عليها ولتحتفظ بنوع من الوقار عضت "فيكتوريا" على يدها بعنف . وكان رد فعل "جيل" عنيفا ، وعمل بسرعة على انتزاع هذه اليد التي كانت أسنانها قد تركت عليها آثارا زرقاء وحملها إلى شفتيه ليضع عليها قبلة رقيقة . وعندما مد إليها يده اقترح عليها بكل حنان:

- " لو اردت ان تعضي شيئا ما غضي هذه اليد ! "

وتمكنت الشابة من خلال دموعها ان تضحك واخذت هذه اليد التي كان يمدها الرجل إليها ووضعت عليها خدها وسالها الرجل حينئذ بصوت رقيق :

- " هل اصبتك باي اذي ؟ ... إنني تصرفت معك كالحيوان ولكنني لم اكن اتصور انني احبك كل هذا الحب " .

وضعت "فيكتوريا" اصبعها على شفتيه :

- " لا تقل شيئا ارجو ذلك . إنني في حالة طيبة " .

ماذا كان يعني بالالم في جسدها ؟

كانت الشابة قد نسيته .. الم تكن تعلم انه كان يجعل منها سيدة ؟ سيدة حقيقية !

كان الرجل قد تمناها وامتلكها . بكل عنف وعاطفة وراحت "فيكتوريا" تقول للرجل :

- " هل تريد ان تمكث . وحدك ؟

يتركها وحدها ! إطلاقا يجب الا يتركها وحدها خوفا من ان تعود إليها الهواجس القديمة . هذه الهواجس التى لم تكف عن متابعتها

دون ملل وعن تعذيبها منذ سفر "ديفيد" .

انتظر . انتظر إلى جانبي ... طوال الليل ..

طوال الليل ! كانت "فيكتوريا" ترغب في ان تصيح باعلى صوتها "طول الحياة" على ان هذه الكلمات اختفت في اعماق قلبها . ربما سوف تقول هذه الكلمات إلى الرجل غدا . ولكن الشابة لم يكن لديها في هذه اللحظة سوى رغبة واحدة هي ان ترتمي بين ذراعيه اللتين انغلقتا لتضماها . واخذها النعاس وهي في هذا الوضع بعد ان اطلقت تنهيدة رضا .

وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي تذكرت هي ما حدث في البارحة. مطت الشابة جسمها بنوع من الفتور ومدت ذراعها إلى جانبها وهي متاكدة كل التاكيد انها سوف تصطدم بجسم الرجل الذي نام إلى جانبها .

ولاحظت ان المكان كان فارغا بالإضافة إلى انه كان باردا .

جلست الشابة بقفزة على السرير. كان "جيل" قد غادر المكان بينما كانت هي مازالت مستغرقة في النوم .

اخذت الشابة تتساءل وقد شعرت بالخوف فجاة :

- في اي ساعة غادر الرجل الغرفة ؟ ولماذا لم يعمل على إيقاظي ؟

كانت "فيكتوريا" قد ابدت كل رجائها لكي يمكث في هذه الليلة إلى جانبها لانها لم تكن تحتمل نهائيا فكرة ان تمكث بمفردها .

" لقد وافق لانه يشعر نحوي بشفقة ، لهذا السبب فقط !"

كانت هذه الأفكار تدور في راس الشابة . كان الرجل ولاشك في عجلة من امره وقرر ان يتركها عندما كانت قد استغرقت في النوم !

احست "فيكتوريا" ببرودة شديدة كبرودة الثلج تستولي عليها . يا إلهي .. كم كان من الصعب ان تجد الشابة نفسها وحيدة بعد احداث مساء اليوم السابق وفي بداية الليل !

كم كانت تود في هذا الصباح ان تزداد حالة التاكد عندها وان ترتمي مرة اخرى بين ذراعي الرجل الذي تركها تشعر بمدى قوته وبمدى

حمايته ....

وبالعكس بدل ان تشعر بكل هذا ، كانت الآن وحيدة وهدفا سهلا لجميع الاسئلة التي كانت تدور في راسها ...

كانت وحيدة مع شكوكها . كان الرجل قد اظهر لها مدى حبه بطريقة رائعة كلها غرام . ولكن الم يكن سبب ذلك انه يحاول طرد الامه ؟

هذه الآلام التي لاحظت انها مازالت حية في اعماق كيانه . وكان الرجل يحاول ان يبعدها ويتخلص منها بطريقة يائسة ؟

ولو كان "جيل" مازال يشعر بالم فلانه يحب "كلاوديا" إلى الآن ...

الزوجة التي شاركته حياته . وعندما وصل تفكير الشابة إلى هذه النقطة اخذت الهواجس القديمة التي كانت مختبئة في العقل الباطن تطفو على السطح اقوى من اي وقت اخر . وهذه الهواجس كانت تؤكد لها مرة اخرى انها عاجزة عن جذب حب اي إنسان . الم تكن قد فشلت مع "ديفيد" ؟ وكذلك لن تنجح اكثر من هذا القدر مع "جيل" !

كان لزاما عليها لذلك ان تهرب بعيدا عنه ... ان تهرب باسرع ما يمكنها ...

وبينما كانت تقفز من سريرها لمحت الشابة ظرفا موضوعا في مكان واضح علي المنضدة بجوار السرير وكان الظرف موجها إليها . وكان الخط الذي كتب به الظرف هو خط "جيل" كانت الشابة تعرفه لاناقته ووجاهته .

كان الرجل بذلك قد ترك لها كلمة !

وبسرعة اخذت الخطاب ومزقت الظرف واخرجت ورقة كان مكتوبا في راسها اسم الفندق .

"فيكتوريا" .

إنني اسف لانه يجب علي ان اذهب إلى اجتماع عمل وطلبت من موظفي الاستقبال بالا يزعجوك . وحاولي ان تطلبيهم لكي يحددوا لك مكان فطورك سوف اعود سريعا . سوف نتبادل الحديث معا عند عودتي .

اعادت "فيكتوريا" قراءة هذه السطور القليلة . نتبادل الحديث ؟ هل كان الاثنان على موعد لتبادل الحديث ؟"

ولكن في اي شيء كان هذا الحديث سيدور ؟

هل هناك اشياء لم يسبق ان تحدثا بشانها ؟

مع ذلك كان هذا الخطاب لا يشتمل على اية كلمة حب وهو الشيء الوحيد الذي كان يمكن ان يثلج قلب "فيكتوريا" ويكون لها بمثابه بلسم

هل كان سيتباحث معها حول موضوع النقود التي كان مدينا بها للعمل الذي ادته في مجال الدعاية ؟

لو كان هذا هو الموضوع لكان من الممكن له ان يحتفظ بهذه النقود . فقد عمل على استضافتها وتقديم الطعام واللباس لها ومرافقتها إلى مدينة " بوردو" وبذلك اصبحا متعادلين :

الآن وقد انتهى العمل مع "جيل لاروك" كان على "فيكتوريا" ان تنتهز هذه الفرصة وتقبل العرض المقدم من "مارك تومسون" . كان عليها ان تسافر بينما كان هناك متسع من الوقت وخصوصا ان الرجل لم يكن هناك.

ربما كانت "فيكتوريا" تتذكر رقم غرفة "مارك" الذي اعطاه لها اثناء الحديث الذي جرى بينهما في البار .

واسرعت "فيكتوريا" إلي الهاتف وهي تتمنى لو ان "مارك" لم يكن قد سافر حتى الآن . ولكن سماعة الهاتف رفعت عند اول رنين

- " اية مفاجاة سارة يا "فيكتوريا" كنت استعد الان لكي اترك غرفتي هناك سيارة اجرة تنتظرني ، إنني في الطريق إلى المطار "

- " هل مازالت عندك تلك التذكرة إلى "لندن" يا "مارك" ؟

- " بالتاكيد ... إنني احتفظ بها دائما رهن إشارتك "

- " إذن انتظرني . سوف اصل في خلال ثانية " .

ودون ان تفكر في الامر كثيرا اخذت "فيكتوريا" حقيبة كان قد اعطاها لها "جيل لاروك" لحضور جلسات المؤتمر ووضعت فيها كل شيء يخصها وكذلك الملابس التي كانت قد اشترتها من مدينة "تولوز" .

الم يكن كل هذا بمثابة ثمرة اتعابها ؟

ارتدت رداء من قطعتين لونه ابيض وبعد ان مشطت شعرها بسرعة وللمرة الاخيرة غادرت غرفتها . ولم تتطلب منها جميع هذه الخطوات التي قامت بها الشابة اكثر من دقيقتين . وبدلاً من ان تاخذ المصعد قررت ان تنزل على الدرج خوفا من ان تجد نفسها في مواجهة "جيل لاروك" وهو في طريق عودته من اجتماع العمل الذي كان يحضره .

ولمحت وهي في الصالة "مارك" وهو يسير ذهابا وإيابا بجانب سيارة اجرة واقفة مفتوحا بابها ودون ان تنتظر إطلاقا خرجت "فيكتوريا" من الفندق وركبت السيارة .

ولم يلق "مارك" عليها اي سؤال واكتفى بان جلس إلى جوارها . وطلب من سائق سيارة الاجرة ان يذهب بهما إلى المطار وادار السائق محرك سيارته واخذ يقطع الطرق المودية إلى هناك .

وبينما كان سائق السيارة الاجرة يترك موقف سيارات الفندق تلفظ بكلمات سباب عندما اضطر إلى ان ينتظر مرور سيارة اخرى كانت تحاول ان تدخل موقف السيارات بكل سرعتها وتاكدت ان هذه السيارة هي سيارة "جيل لاروك".

كانت الشابة بذلك قد نجت من ان يلمحها "جيل" واستطاعت النجاة ولكن بفارق طفيف لا يذكر .

الفصل الحادي عشر

- " اخيرا التقيت بك يا "فيكتوريا" ! لقد حاولت اياما عديدة ان التقي بك ولكن كل مساعيّ باءت بالفشل . " اين كنت تختفين ؟ "

- " انت إذن يا "اندي" ؟

إنني في سبيلي للعودة من استراليا الآن . في الواقع كان لدي الوقت فقط لكي اودع حقيبتي . لو سمحت لي سوف اخلع ملابسي . لدي ملابس اخرى سوف ارتديها " .

ماذا كان يريد منها إذن "اندي لينوكس" مساعد " اوريان جونز" الشهير الذي يعمل في هيئة الإذاعة البريطانية ؟

لقد سلمت الشابة مشروعها الخاص بقرية "مونتيو" الرائعة وبالحياة في هذه القرية التي كانت تسكنها قبائل الـ "كاثار" القدماء . كان هذا المساعد هو المسؤول عن وحدة البرامج وعن المستندات الوثائقية .

رن التليفون في نفس الوقت الذي كانت فيه "فيكتوريا" تضع المفتاح في كالون باب شقتها الصغيرة في "لندن" بعد غياب دام ثلاثة اسابيع.

كان العمل قد شدها للذهاب إلى اخر منطقة في قارة استراليا لكي تجمع الأخبار والمعلومات وقد عادت الآن من المطار حيث هبطت طائرة سيدني منذ ساعات قليلة .

تخلصت الشابة من الأشياء التي كانت معها وعادت إلى حيث الهاتف لكي تتابع حديثها مع "اندي" هل كان مشروعها سيحوز الإعجاب المطلوب؟

لم يبدُ على " اوريان جونس" الحماس المطلوب بشان الزمن الذي اقترحته الشابة .

- " ماذا ينفع شعوري بالسرور لندائك يا "اندي" ؟

لا تقل إطلاقا : إن رئيسك قد اكتشف أن مشروعي هو احسن مشروع امكنه الحصول عليه .

- " ليس هذا هو كل شيء . ولكن على وجه التقريب فإن الامر يدور في هذا المجال !

لقد علمت بان "اوريان جونز" قرا بالفعل مشروعك بكل انتباه وهذا وحده يدعو للاعتقاد بان هذا العمل ليس هو نفس العمل الذي قدمه في المرة الأولى .

- " كانت هذه الأفكار تدور في راس "فيكتوريا" رغبة منها في التسلية - وهناك جزء من الذي تفترضينه يجد قبولا واهتماما عنده إلى اقصى حد . ولديه النية في أن يدفع بمجموعة من هذه الافتراضات على السيدات غير العاديات اللواتي لا يعرفن الماضي والشيء الذي استرعى انتباه السيد الكبير في هذا المشروع كان في واقع الأمر هو حياة النبيلة "بياتريس دي بلانيسول" !

ففي الوقت الذي كان يزدهر فيه المذهب الكاثاري حاولت هذه السيدة النبيلة أن تحيا قصة حب مجنونة مع أحد القساوسة الذين يعتنقون هذا المذهب الذي كان يعظ بالزهد في العلاقات الجسدية .

كانت هذه السيدة قد سحرت "فيكتوريا" نفسها لأنها على الرغم من تنازلها عن هذا الحب وإعلانها عنه ، على العكس من ذلك امام انظار الجميع كانت قد واجهت فقط خطر أن تحرق حية فوق كومة حطب . والذي انقذ النبيلة "بياتريس دي بلانيسول" من حكم الإعدام حرقا وضمن لها حياتها هو اختفاء هذا المذهب بعد الحملة الصليبية التي قام بها سكان جبال الألب بناء على امر بابا روما "إينوسنت الثالث" نحو عام ١٢٤٤ ميلادية .

- " نحن الآن في جلسة عمل مع السيد الكبير هذا الصباح . لو امكنك الانضمام إلينا ....

قالت "فيكتوريا" بكل اختصار وهي تنهي المكالمة التليفونية وتضع السماعة - "سوف احضر! "

وبعد دقائق معدودات تابطت إضبارتها تحت إبطها ودون أن تشغل نفسها إطلاقا بان الوقت اصبح متاخرا ، ركبت سيارتها لكي تذهب

إلي مبنى هيئة الإذاعة البريطانية .

مونتيو ! وهكذا روع الشابة ان تجد مشروعها عن القرية الشهيرة الذي قدمته قد اهمل نهائيا "مونتيو" هذه القرية القابعة على سفح جبال الـ "بيرينيه" ..اخذت "فيكتوريا" ترجع إلى ذكرياتها التي كانت تسيطر عليها وهي تقود سيارتها واضعة يديها علي مقود السيارة وموجهة بصرها على الطريق شديد الازدحام الذي كان شوارع لندن سواء في النهار او في الليل . وفي لمح البصر تذكرت ذلك الوادي حيث كانت محتجزة منذ عشرة اشهر مضت عندما كانت تحاول اكتشاف بعض اسرار هذه المنطقة . وقد بدات كل هذا العمل عن طريق مشروع المستندات الوثائقية عن الـ "كاثار" ...

كانت الصور تمر امامها وكان الحياة قد دبت فيها او كانها مطبوعة على شريط ذاكرتها . وشعرت الشابة باضطراب عندما تصورت انها ترى تلك الغرفة من غرف الفندق ذات الجدران البيضاء وكذلك وجها شديد القسوة لرجل تظهر عليه الكراهية التي لم تكن تعرف لها سببا . كان هذا الرجل منحنيا عليها . كان هذا الوجه يوحي برعب شديد . كان هذا الوجه يصيبها برغبة شديدة في الانكماش في اخر السرير وكانها بنت صغيرة القي القبض عليها وهي في حالة خطا . ورغم ذلك كانت "فيكتوريا" قد تعلمت كيف تعرف وتحب هذا الوجه. والآن كان هذا الوجه يتردد كثيرا طوال لياليها .

كانت الشابة تتذكر هذه القرية الكبيرة المفعمة بالحياة وذلك الجرف الذي كان يناديهاويجعلها تصرخ من شدة الرعب .

كانت ترى كذلك شروق الشمس في الصباح الباكر وقد كان يكسو الجدار الحجري الذي يقف حاجزا نحو الأفق باشعتها الماسية كان هذا الجدار الشهير الذي وقف حائلا امام الشابة عندما حاولت أن تهرب وكان الظلام قد بدا يرخي سدوله . كان هذا الجدار من الحجر يقف امامها مهدداً لا يمكن اجتيازه يحجز دونها طريق الحرية .

كانت الشابة قد وجدت اخيرا هذه الحرية التي طالما تمنتها بكل

اشتياق كانت الشابة الآن حرة بعيدة عن سجانها بعيدة عن واديه وعن جبله . كانت الشابة بالفعل حرة ولكنها كانت في نفس الوقت مكبلة إلى ذكرياتها . كانت قد مرت عليها عشرة اشهر ، ولكنها لم تنس اي شيء . لم تكن تستطيع أن تنسى أي شيء ، وكذلك لم تكن تستطيع ان تنسى تلك القمم العظيمة التي كانت تمتد بكل فخر إلى السماء الزرقاء، ولا الاكواخ القديمة التي كانت تلتهم بجانبها شطيرة من لحم الخنزير اللذيذ المصنوع في القرية ، تحت اشعة شمس الصباح . كانت الشابة تفتقد هذه القرية وبخاصة انها كانت تفتقد سيد هذه الاماكن "جيل لاروك" .

كان موجودا في ذاكرتها بطريقة دائمة لانه كان يمثل في ذكرياتها اجمل ذكريات حياتها . كان "جيل لاروك" قد كشف بكل فخر عن الكهف العظيم المختفي في بطن الجبل .. كان "جيل" لا ياتمن عليها من يقود سيارته اللاندروفر ومن الجرف عندما كان يوصلها إلي المراعي الجبلية ...

كان "جيل" وكانه فارس معاصر ياتي لنجدتها وانتشالها على صهوة حصانه المعدني ...كان "جيل" وهو يهيم بحبها قد تسبب في إتلاف وتمزيق الفستان الذي كانت ترتديه وقد كان سعره خياليا يتعدى ثمانية آلاف فرنك .

" لماذا لم تات هذه المرة لتبحث عني يا"جيل" ؟

كان بود "فيكتوريا" أن تصرخ باعلى صوتها وتردد هذه الكلمات

- " لماذا لم تات إلى لندن فانت تعرف جيدا عنواني ؟ "

كانت في الحقيقة قد انتظرت كثيرا وتمنت اكثر .

كانت الشابة في الواقع قد لجات إلى الهروب . ولكن هروبها هذا كان في الحقيقة عملا أملته عليها حالة الياس التي كانت تسيطر عليها وحالة النداء ونوع من التحريض لكي تجبر الرجل على ان يندفع لمتابعتها وليصرخ بتلك الكلمات المفعمة حبا وهو لم ينطق بها إطلاقا.

ولكن مع شديد أسفها كان السكون العميق الذي رد على هروبها

سكونا كاملا قد تسبب في تمزيق قلب "فيكتوريا" .

ولقد وصل بعد ذلك في صباح يوم من الأيام خطاب عن طريق البريد. كان الخطاب- قادما من فرنسا .

احست الشابة ، بان قلبها اخذ يدق بقوة ويعلن التسليم لانها عرفت صاحب الخط المكتوب على الظرف .

كان خطابا مبعوثا من "جيل لاروك" ! ولم تستطع الشابة ان تنتظر كثيرا بل اخذت الخطاب وراحت في لحظات تمزق الظرف على الرغم من ان اصابعها كانت تنتفض من شدة الاضطراب ومن قلة الصبر .

وكانت "فيكتوريا" تتمنى لو يحتوى الخطاب على كل تلك الكلمات التي كانت تنتظرها ولكن للاسف لم تجد الشابة داخل الظرف سوى شيك محرر باسم "فيكتوريا سامرز" دون ان تجد اية كلمة . كان هناك شيك فقط يحمل رقما فلكيا لم تكن تستطيع الشابة باي حال من الأحوال ان تقبله . كانت الشابة تدرك حق الإدراك قيمة العمل الذي ادته من أجل هذا الرجل كانت إلى جانب ذلك تدرك انها قد حصلت على اتعابها مقابل العمل الذي ادته ، وكذلك لم تكن تستطيع ان تقبل صدقة ابدا .

وعندما خاب ظنها اخذت الشيك بحركة غاضبة مجنونة ومزقته نصفين على الرغم من قيمته الفلكية ودون ان ترسل معه اية كلمة تصحب هذا الشيك ارجعت الشيك المقطوع إلى مرسله .

كانت الشابة تعرف حتى الآن ان "جيل لاروك" لم يكن يحبها وبانه لن يحبها إطلاقا .

حاولت الشابة ان تنغمس بكل إحساساتها في عملها ولم تكن تسمح لنفسها باية دقيقة من الراحة وقامت بتوقيع عقد مع شركة "مارك تومسون" الذي كان قد جدد لها عرضه حتى قبل ان تهبط الطائرة في مطار "هيثرو" .

بعد شهرين ! لم تستطع "فيكتوريا" ان تستمر في العمل إلى جوار "مارك" اكثر من شهرين . كان هذا الأخير في حالة حب جنوني واضح للشابة ولم يكن يتركها ثانية بمفردها وعلى الرغم من شدة لطفه معها،

لم تشعر "فيكتوريا" في آخر الأمر إلا بنفاد صبرها . وفي نفس اليوم الذي دعاها فيه "مارك" في احد المطاعم الفاخرة في مكان شاعري جدا على ضفاف نهر التيمس كان قد طلب يدها في موضوع زواج وردت عليه بطريقة ظريفة ولكنها طريقة قاطعة لا تقبل اي التباس :

- " لا ياسيد "مارك" إنني شديدة الأسف لانني لا استطيع قبول هذا العرض إنني في الواقع لاأحبك " .

- " إن هذا الرفض كان بسبب هذا الفرنسي ... هذا الرجل الذي يدعى "جيل لاروك" اليس كذلك ؟ إنه هو الذي يمنعك ان تردي علي بـ"نعم"!

- " ليس الأمر كما يبدو لك إطلاقا . إنك تخطئ يا "مارك" لانني لم اره منذ رجوعي إلى "لندن" ولست ادري ايضا ماذا حدث له " .

- " لكن افكارك موجودة دائما هناك .. عند تلك الجبال المسماة بجبال الـ"بيرينيه" ربما تكونين يا "فيكتوريا" في كامل وعيك ولكن تصرفاتك تصل احيانا إلى نوع من الوقاحة . وقد يبدو عليك انك في مكان آخر على الرغم من انك موجودة هنا . إن جسمك موجود معنا هنا . ولكن روحك تجول في اماكن اخرى".

كانت "فيكتوريا" قد قررت ان تترك شركة "تومسون" في هذا المساء .

وبعد هذا الحادث العارض الذي وقع بين الشابة وبين "مارك" اخذت "فيكتوريا" تعمل في محال تتعامل فيه مع الجنس اللطيف وكانت تقدم لهذه المحال الأخبار والموضوعات التي تدور حول الشخصيات التي تتعدى المالوف وقد كانت "فيكتوريا" تجد متعة كبيرة في تحليل سلوكها وتصرفاتها . كان اسلوبها موضع تقدير كبير وكانت "فيكتوريا" في الوقت الحالي تتمتع بكميات لاحصر لها من الطلبات التي لم تكن تتمكن من تلبيتها جميعا وكانت "فيكتوريا" قد رجعت الآن من استراليا ولكي يكون كلامنا اكثر دقة لقد حضرت الآن من غابات استراليا حيث كانت تختبئ هناك مغنية شابة تغني طبقا لاسلوب الغناء الحديث ولكنها كانت قد اختارت العزلة في الأدغال عند قبائل

"الباروية" . وهو شعب وطني لم تتطرق إليه الحضارة بعد . كانت المغنية الشابة تعيش مع نساء رئيس القرية وكانت قد اختارت ان تعيش نفس حياة هذا الشعب المتوحش وان تقاسمه عاداته وتقاليده تماما . كانت "فيكتوريا" متاكدة تماما ان هذا الموضوع الذي حصلت عليه سوف يثير ضجة كبرى .

نظرت "فيكتوريا" لحظة إلى منظرها في مرآة السيارة العاكسة . لكم تغيرت منذ إقامتها الإجبارية في جنوب غرب فرنسا !

كانت هي نفسها تجد صعوبة في ان تكتشف في هذه الشابة التي لفحتها اشعة الشمس حتى اصبحت نظراتها اكثر إصرارا لتلك المخلوقة الخجلى والمهمومة التي اصبحت عليه الآن بعد سفر "ديفيد" .

كم كان هذا الطريق الذي قطعته الشابة في هذا الوقت القصير نسبيا !

كانت "فيكتوريا" تعلم تماما من كان له الفضل الكبير في مثل هذا التغيير . ومع ذلك كان الإنسان الذي عمل على تغييرها إلى هذا الحد لا يرغب على ما يظهر في رؤيتها .

تنفست "فيكتوريا" بعمق .

كان قدرها على ما يبدو الا تنجح في مجال الحب . لذلك قررت ان تستغل كل ثقتها الجديدة بنفسها لكي تنجح مهنيا .

وبعد هذه الأيام الخمسة عشر التي قضتها في اخر اعماق الغابة بين القبيلة واعضائها الذين تعلمت منهم الكثير كانت الآن تشعر بقوة هائلة ، وكانت تحس بانها تستطيع ان تواجه جميع مديري البرامج في العالم بمن فيهم هذا المرعب الذي يسمي "اوريان جونز" .

بعد لحظات كانت الشابة تدخل في صالة المزج الفني (المونتاج) حيث كان ينتظرها "اندي" والسيد الكبير - واخبرتها سكرتيرة الاخير بان المجموعة الخاصة بعمل (المونتاج) كانت بصدد مراجعة بعض الاحداث عن جنوب غرب فرنسا لكي تضع القصة باكملها موضع التنفيذ .

- كم اشعر بالسرور يا "فيكتوريا" وانا اراك مرة اخري . فانت سيدة غاية في الروعة ! " .

لم تكن "فيكتوريا" تتوقع مثل هذا الاستقبال من طرف "اوريان جونز" لانه كان مشهورا ببروده الشديد .

لم يكن قد اظهرلها قبل ذلك مثل هذا الاهتمام الواضح . هل كانت الشهرة التي توشك ان تتمتع بها الشابة بفضل قلمها في المجلات النسائية قد وصلت إليه ؟

- " هذه دون شك نتائج رحلتي إلى الغابات الاسترالية .

لقد عشت هناك نحو خمسة عشر يوما بين الوطنيين وإنني اوصيك بقضاء مثل هذه الرحلة عندما تنال إجازتك القريبة يا "جونس" !

إن مثل هذه الرحلة تعلمنا اشياء مهمة جدا حول مفهوم السلطة عندما تكون على صلة بالقبائل التي تسميها "غير المتحضرة" .

نظر "اوريان جونز" طويلا إلى الشابة وكانه يريد اكتشافها " إنه لشيء مهم ، شيء مهم جدا ! " - كانت عيناه اللتان . ترمقانها تبدوان وكانهما تقولان ذلك . وكتمت "فيكتوريا" ابتسامة .

لقد لاحظت منذ قليل من الوقت ان بريقا كان ينبعث من عيني الرجل اللتين كانتا تستقران عليها وكان هذا الأمر يسليها إلى حد كبير . لم تكن هناك اية مغامرة تدون في كتيب مذكراتها حول عمليات الصيد وذلك منذ سفرها السريع من مدينة "بوردو" قبل عشرة اشهر .

- اجلسي إذن بالقرب مني يا "فيكتوريا" . اسرع "اوريان جونز" موجها كلامه إليها وهو يقدم احد الكراسي . نحن بصدد مراجعة مجموعة من الأخبار ومن الحوادث التي كتبت في الخريف الماضي في جبال الـ "بيرينيه" في مكان ليس ببعيد جدا عن تلك القرية التي كلمتني عنها بكل حماس في آخر مرة تقابلنا فيها . كانت هذه القرية هي "مونتيو" اليس كذلك ؟"

أجابت "فيكتوريا" بـ "بلى" على هذا الكلام بإبداء حركة من راسها .

- " إن كل ما يهمني في الصور التي سوف نراها هو التركيز على

المناظر التي تخدم هذه القصة التي عاشتها "بياتريس بلانيسول" في عهد الـ "كاثار" . وهي قصة تحكينها ، ويجب عليّ ان اعترف بذلك بكثير من التفهم .

قام "اندي" بعمل إيماءة في اتجاه "فيكتوريا" قبل ان يضغط على الزر الذي يقوم بتشغيل شريط الفيلم . وبدات البكرة تدور . ولم تتمكن "فيكتوريا" من استبعاد نظرها من فوق الشاشة التي كان يعرض عليها شريط الفيلم . هذه القمم وهذا الجدار !

دون اي شك كانت الشابة تعرفها جميعا ، الا تزال كل هذه الذكريات محفورة في قلبها إلى الأبد ؟

المراعي الجبلية .. الكوخ القديم !

كانت جميع الصور التي كانت تؤرق منامها طوال عشرة اشهر تمر امامها على شاشة العرض . اية اعجوبة توفرت لفرقة هيئة الإذاعة البريطانية حتى تستطيع ان تصور بكل دقة الأحداث التي جرت ، وتستخرج بذلك هذه الصور الرائعة ؟

كان "اندي" مهتما بالشرح دون ان يدرك مدى الاضطراب الذي كانت تسببه هذه الصور في قلب الشابة .

- " هذه الأحداث التي تم تسجيلها هنا قد وقعت في فصل الخريف الماضي في نفس الوقت الذي كانت فيه قطعان الخراف تترك المراعي الجبلية لتهبط إلى الوادي قبل هطول الثلوج . ويسمى هذا الانتقال بارتياد الماشية للكلأ في مواضعه . إن هذا المنظر مؤثر جدا ! "

كانت مناظر هذه الصور مثيرة فعلا !

كانت هناك الاف من االخراف تتجمع تحت قيادة الكلاب .

وكانت "فيكتوريا" تشاهد العمل الرائع الذي يقوم به "سام وروكي" .

كان المنظر الذي امامها يبدو وكانه مياه البحر البيضاء المتماوجة...

بحر من القطن يسير مع انحدار الجبل على انغام موسيقى ثغاء الغنم ونباح الكلاب وصلصلة الأجراس .

وفجاة احتبست انفاس "فيكتوريا" .

كانت الكاميرا تنتقل بحركة بطيئة إلى مجموعة من الرجال المتطين صهوات جيادهم خلف قطيع الخراف .

كانوا يكونون مجموعة الرعاة !

لاحظت الشابة بين هؤلاء الرعاة وجود شخص كانت "فيكتوريا" تستطيع التعرف عليه بين الاف الرعاة : "جيل لاروك" !

كان قلب "فيكتوريا" يوشك ان يكف عن النبض . كان "جيل لاروك" هناك تحت عينيها وكانت الكاميراتوجه عدستها الزووم عليه دون بقية الرعاة .

كان وجه الرجل الذي لم يكف عن إصابتها بالأرق في نومها طوال ليالي الأشهر الماضية يجتاح طول وعرض شاشة العرض ولكن "فيكتوريا" رغم ذلك لم تكن تستطيع رؤية عينيه المخباتين تحت قبعة ذات حواف كبيرة .

كان "اندي" يشرح دون ان يشعر باي اضطراب :

- " إليكم الشخص الذي لم اجد له مثيلا خلال رحلاتي العديدة .

إنه في واقع الأمر نوع من السادة الإقطاعيين المحليين . إنه يمتلك كل شيء.

يعيش كل من في الوادي من استغلاله لمنتجات خرافه ويعتبره السكان بمثابة شيء فريد "

سيد .. شيء فريد ... إن هذه الكلمات ليست شديدة " ... كان تفكير "فيكتوريا" يدور وهي تشاهد طريقة سير "جيل لاروك" بحصانه والجمال الطبيعي الذي يتمتع به وهو جالس على صهوة حصانه . كان الرجل يتاخر قليلا عن بقية مجموعة الرعاة لكي يراقب كل ما كان يدور من حوله وكان احيانا يعطي اوامر مقتضبة . وكان وقع الأمر يشبه ضربة السوط .

كان الاعتقاد السائد بانه لا يمكن لأي شيء أن يهرب من تحت عينيه اللتين تشبهان عيني الصقر . فقد كان يسيطرسيطرة كاملة على جميع

الأوضاع .

- " لقد تمكنا من عمل مقابلة معه بعد محاولات مضنية لأن هذا الشخص لا يقبل بسهولة أن يقترب منه الصحفيون في حين انه يبدو عاديا للغاية بين رجاله وبين سكان المنطقة :

كانت هذه المقابلة في اثناء العيد الذي اقيم بعد وصول قطعان الخراف إلى الوادي .

وكانت الكاميرا تظهر الآن موقع القرية ... وتعرفت "فيكتوريا" على واجهة فندق السيدة "رينو" ولكن كان ميدان القرية قد بدا عليه التغيير بمناسبة الاحتفال بالعيد .. ففي ركن من الأركان نصبت منصة يقف عليها جوقة من الموسيقيين . وكنت ترى في كل مكان موائد كثيرة وكراسي وأزهارا ومصابيح إضاءة . كانت القرية كلها في حالة عيد . والكاميرا كانت تبطئ وتتهادى وهي تصور القرويين الذين يرتدون ملابس يوم الأحد الفاخرة بينما تظهر على وجوههم السعادة .

شعرت "فيكتوريا" بان قلبها اخذ ينبض بقوة داخل صدرها . كان "جيل لاروك" جالساً في وسطهم رافعا كاسه ، وفي يده الأخرى قطعة من الخبز الجاف المحمر ، كانت الهتافات وهي تتصاعد يرد عليها وابل من التصفيق وكانت السعادة العارمة التي لا حد لها تبدو على الجميع .

هل كان الجميع في سعادة ؟

ليس كذلك بالضبط . وامسكت "فيكتوريا" عن إصدار صرخة رعب .

لقد خلع "جيل" قبعته واكتشفت الشابة وجهه بعد ان تعرض لمصدر الضوء . كان هذا الوجه يلوح لها بالضعف الشديد إلى جانب دوائر زرقاء كبيرة ومتعددة كانت ترتسم بجوار عينيه .

هل كان مريضا ! لا شك أن "جيل" كان متوعك الحال .

- " لم تكن أحواله على خير مايرام - كان "اوريان جونز" يعلن هذه الملحوظة الأكيدة .

وأجاب "اندي" وهو يضحك : - " هناك اصوات تدور في المنطقة

مفادها أن هذا الرجل يكاد يلقى حتفه من شدة الحب الذي يكنه لشابة جميلة وصغيرة . جاءت إليه في الصيف الماضي ثم غادرت بعد أن تركته يجز همومه . كانت هذه الشابة إنجليزية على وجه التحديد .

- " كيف يمكن ترك مثل هذا الرجل ؟ - صاحت في هذا الوقت "كلير" الكاتبة التي كانت قابعة في مكانها . ولم تكن قد فتحت فمها حتى الآن.

"لم اقابل ابدا ايّ انسان يتمتع بمثل هذه الصفات الرائعة !

إنه في الحقيقة "سيد" بما تعني هذه الكلمة من معنى . ولكن يا إلهي اية سلطة ! لم يكن من السهل علينا التحدث معه .

لقد تمكنا من ذلك بفضل شيء واحد : بان ندعوه للحديث عن كبشه".

- " تقصد عن كازانوفا ! "

رددت "فيكتوريا" هذا الاسم دون أن تتنبه لذلك بسبب ما كانت تشعر به من ألم شديد للعذاب الذي استطاعت أن تتبينه على وجه ذلك الرجل الذي كانت تحبه ولن تكف إطلاقا عن حبه .

قال "اندي" بصوت مرتفع واستدار إلى الشابة وهو في حالة ذهول :

- " كازانوفا" . إنه بالفعل ذلك الكبش . إن هذا هو اسم تلك الظاهرة العجيبة . إنه اسم ذلك الكبش الذي كسب المباراة مرة اخرى في ذلك اليوم . ولكن يا "فيكتوريا" كيف تمكنت من معرفة اسمه ؟ "

لم تجب الشابة على هذا السؤال . كيف عرفت ذلك ؟

لم تكن "فيكتوريا" في الصالة المخصصة لتركيب مناظر الفيلم (صالة المونتاج) . ومهما كانت الأحوال لو كان جسد الشابة موجوداً هناك فإن روحها كانت تحوم بعيدا جدا هناك في الجبل وكانت "فيكتوريا" تنظر إلى شاشة العرض وهي في حالة من الذهول ومن الهيام . ولم تكن تتمكن من إبعاد نظرها عن الشاشة التي كانت تتابع عليها الصور التي كانت الشابة تحتفظ بها مدفونة في أعماق كيانها . كانت الكاميرا تظهر المنزل بكل دقة وبكل إتقان ، الصالة ، المكتب .. السجادة المصنوعة من جلد الخراف .

وكما يحدث في الأحلام احست "فيكتوريا" بانها مستلقية بطولها

على هذه السجادة حيث استغرقت فعلا في النوم قبل ذلك في إحدى الليالي امام قائمة الأعداد التي لا نهاية لها والتي كان لزاماً على الشابة ان تعرفها حق المعرفة ليتسنى لها الدخول في عمل حملة الدعاية الإعلامية لمنتج جبنة "لاروك" .

كان "جيل" يميل عليها ويوقظها ثم ياخذها بين ذراعيه ويضمها إليه ويقبلها علي شعرها ثم ينزل ببطء وهو يبحث عن شفتيها .

سمعت الشابة صوت "اوريان" الذي يفيض رعاية وكانه آت من مكان بعيد :

- " ماذا يحدث يا "فيكتوريا" ؟ اعتقدنا بانك تشاهدين احد الأشباح !"

كلا .. لم تكن الشابة تشاهد احد الأشباح !

بل كانت تشاهد على العكس من ذلك شخصا آخر مازال حيا شخصا كانت الشابة تتمنى لو تراه مرة ثانية وان تلمسه .

ماذا قال "اندي" قبل ذلك ؟ تتردد اصوات بانه يموت شوقا من أجل شابة إنجليزية ."

هل كان بالفعل يموت شوقا ! يالهي هل كان بالفعل يحبها بعد كل ما حدث؟

ولكن إذا كان هذا الكلام صحيحا فلماذا إذن لم يحضر للبحث عنها كما كان يحدث كل مرة كانت تهرب فيها ؟ لماذا هذا السكون وهذا الخطاب الذي لم يكن سوى شيك ؟

كانت الأسئلة تتزاحم في راسها . وكان الجواب بل والجواب الوحيد موجودا هناك في الوادي عند سفح الجبل .

كان على الشابة ان تسافر وان تنضم إليه . كان لزاما عليها هذه المرة ان تهرع إليه ولم يكن هناك اي وقت لكي تفقده .

كان هناك صوت يتردد موجها كلامه إلى الشابة :

- " فيكتوريا" يبدو لي بانك لست في حالة طيبة إطلاقا ! تعالي إلى مكتبي .

من كان يا ترى هذا الصوت الذي كان يكلمها ؟ كان بالتاكيد صوت "

"اوريان جونز" السيد الكبير الذي كان بمقدروه ان يجعل المطر ينهمر ، والذي كان بمقدوره ان يجلب الوقت السعيد في وحدة البرامج المستندية الوثائقية . كان الجميع امامه ينتفضون خوفا. وكان هو الذي في مقدوره ان يعطي العمل وان يقبل هذا المشروع الذي كان يهمها جداً وتحتفظ به في قلبها .

- " شكرا ياسيد جونس" ولكن لدي شيء اهم من هذا بكثير عليّ ان اعمله . هناك امر لا يستطيع الانتظار على وجه الإطلاق " .

ودون ان ترد اية كلمة اخرى اخذت "فيكتوريا" معطفها وحقيبتها المصنوعة من جلد التمساح وخرجت من صالة التركيبات (صالة المونتاج) كما لو كان هناك شيطان يقتفي اثارها تاركة خلفها "اوريان جونز" و" اندي" و"كلير" في حالة من الذهول الكامل .

الفصل الثانى عشر

تركت "فيكتوريا" الطريق العام الدولي لكي تسير على يسارها في طريق صغير إقليمي يؤدي إلى مدينة "مونتيبو" وإلى الوادي الذي يقع عند جبال "البيرينيه" .

لم يكن قد تغير اي شيء منذ زيارتها الأولى إلا وجود الثلوج التي كانت تغطي قمم الجبال حتى بداية فصل الربيع . ولكن الشابة لم تلحظ القرية التي كانت تمتد في طريق سيرها . كان مؤشر عداد سرعة سيارتها "الرينوه" التي كانت قد استاجرتها من مطار "تولوز" قبل ساعة يميل إلى ان يتعدى الحد المسموح للسير به على الطرق الضيقة والخطرة جدا التي تمتد في القرى .

كانت عيناها تنظران إلى الأسفلت الذي كان يمر تحت بصرها ولم يكن يشغل فكر "فيكتوريا" سوى فكرة واحدة : "جيل" !

" جيل" الذي كان يشعر بالعذاب الشديد .. "جيل" الذي كان في حاجة إليها واخيرا لمحت الشابة القرية من بعد .. كانت قريته ! عندئذ رفعت "فيكتوريا" قدمها فوق دواسة السرعة حتى تنتهي من عبور القرية ولكنها بعد ان قامت بعبورها لمحت مؤشر عداد السرعة وهو يقفز من جديد إلى الأمام .

استمرت هذه السرعة وقتا قصيرا . كانت "فيكتوريا" قد نسيت فعلا ان الشريط الذي يسير بمحاذاة سفح الجبال حتى منزل سيد هذه الأماكن يبدأ على وجه التقريب بعد نهاية آخر منزل في القرية .

ورفعت الشابة قدمها فوق دواسة السرعة فعلى الرغم من كونها مدربة جيدا وتعتبر ماهرة إلا انها كانت تفتقرإلى مهارة "جيل لاروك" الذي كان يقود سيارته في هذه الطريق الوعرة بمنتهى البراعة .

لكم تاخرت على رؤيته ، لكي تاخذه بين ذراعيها وتؤكد له أنها تعشقه ، قد تفقد رشدها في سبيل ذلك ، إنها لا تستطيع الحياة دونه!

ولكن فجاة بينما كانت تقترب من هدفها كانت تشعر بأن حماسها

يختفي ، كيف سيكون الاستقبال الذي ينتظرها هناك ؟ كيف سيكون رد فعل ذلك الرجل الذي لا يمكن التنبؤ بسلوكه إطلاقا عندما يراها بعد مرور عشرة أشهر من الغياب ؟ !

كيف أمكنها الموافقة على مثل هذا الاندفاع البعيد عن كل شعور ! ؟

كانت هذه البعثة جنونا حقيقيا ، وكانت "فيكتوريا" تشعر بذلك وتعي كل ذلك.وفور فور خروجها من مبنى هيئة الإذاعة البريطانية ذهبت بسرعة إلى بيتها لتاخذ حماماً وتعيد بعد ذلك تنظيم ملابسها داخل حقيبة سفرها التي لم تكن قد نظمتها منذ إقامتها في استراليا ، ثم استقلت اول طائرة كانت في طريقها إلى مدينة "تولوز" ، ثم استاجرت سيارة واخذت الطريق الذي يؤدي إلى هذا الوادي الذي يوجد عند سفح جبال "البيرينيه" وكانت الشابة تقود سيارتها منذ قرابة ساعة ، وكانت تطوى الطريق دون ان تحس بادنى تعب ، وكل اهتمامها موجه نحو هدف واحد : أن ترى مرة اخرى "جيل" باسرع وقت ممكن .

ولكن كلما كانت تقترب الشابة من نهاية الرحلة كان الشك يزداد اكثر وكانت تشعر بالخوف والحزن يدهمانها .

هل لا حظت جيدا العلامات التي استطاعت ان تقراها على ذلك الوجه المحبوب ؟

هذا الوجه الذي اصابه الهزال ، وقد تمكنت الشابة من اكتشاف ما يبدو عليه منذ لحظات قليلة اثناء العرض السينمائي ؟ الم تسمع بمنتهى السهولة تلك القصة التي كان يرددها "اندي" مؤكدا فيها مدى حب الرجل ؟

كان "اندي" قد ذكر بكل صدق موضوع الأصوات التي كانت تتردد . هذه الأصوات التي تؤكد أن "جيل" كاد يموت من شدة الحب . هل من الممكن ان يكون "اندي" قد ترك العنان لخياله بفضل الجو المحيط به في مكان العرض ، وبفضل المنظر الرومانسي الذي كان يظهر عليه هذا الرجل الذي يظهر على شاشة العرض " .

كانت الردود على هذه الأسئلة جميعها موجودة هناك في ذلك المكان الشاهق الارتفاع .... موجودة هناك في عش الصقر عند آخر الطريق . وعندما وصل تفكير "فيكتوريا" إلى هذه النقطة ضغطت بقدمها فوق دواسة السرعة ولولا مهارتها في القيادة لما استطاعت أن تتنبه لآخر دوران .

وبعد لحظات قليلة كانت تضغط على جرس الباب ، وكان قلبها ينبض بقوة ، كماكانت ركبتاها ترتعشان بشدة .

كانت "فيكتوريا" على ثقة انها سوف تكون في اقل من ثانية وجها لوجه مع الرجل الذي تعشقه .

- " انسة "سامرز" ! "

كانت السيدة "ديفال" واقفة هناك على عتبة الباب . كانت عينا المسؤولة عن إدارة منزل "جيل لاروك" تتلألآن سعادة عندما رات "فيكتوريا". لقد لا حظت في صوتها فرحة اكيدة بينما تقول باندفاع بعيد عن اي تكلف :

- " إنني سعيدة جدا لانك رجعت مرة ثانية " .

ولكنها قالت بسرعة وهي تشعر باضطراب : -

- " إن سيدي غير موجود الآن في المنزل ! "

احست "فيكتوريا" بان العالم كله كاد يتلاشى من حولها : كان "جيل" إذن غائباً .

لم تكن قد فكرت في هذا الموضوع إطلاقا . هل كانت الشابة إذن قد قطعت كل هذه المسافة حتى لا تقابله في آخر الأمر ؟

حاولت الشابة ان تسال : -

- " اين هو إذن ؟ "

- " إنه هناك في المراعي الجبلية . لقد انتقل القطيع إلى هناك الأسبوع الماضي ، ومنذ هذه اللحظة لا يترك السيد "جيل لاروك" إطلاقا رعاة القطيع . وسبب ذلك أن النعاج تلد في هذه الأيام .. "

- " سوف اذهب إلى هناك ! "

لمعت عينا السيدة "ديفال" من السعادة بينما كان فمها يتمتم في نفس الوقت كانها تحدث نفسها :

- " الحمد لله ! "

ركبت "فيكتوريا" سيارتها وسارت في الطريق الذي يبدو عليه انه يرتفع إلى قمة الجبل .

كان الطريق ياخذ في الانحسار ضيقا ، ووصلت الشابة بسرعة إلى الطريق الوعر الذي كان قد سبب لها كثيرا من الرعب عندما كانت في السيارة الـ"لاندروفر" بصحبة "جيل" ولحسن حظها كانت السيارة التي تقودها الآن اصغر حجما من سيارة "جيل" . فهذه تستطيع المرور بسهولة في الطرق الضيقة جدا .

ورغم ذلك كان لزاما على "فيكتوريا" أن تكز على اسنانها لكيلا تغلق عينيها في الأوقات التي كانت لا تخلو من الخطر ، وفي آخر الأمر لمحت الشابة وهي تحاول المرور عبر دوران الطريق المساحة الكبيرة المغطاة بالحشائش الناضرة والتي كانت تكون المراعي .

كانت "فيكتوريا" إذن قد وصلت ووقفت لحظة لكي تستمتع بهذا المنظر الرائع الذي ياخذ بمجامع القلوب ولكي تقف نبض قلبها غير المنتظم .

كان منظر القرية اجمل بكثير من الذكريات التي كانت تعلق في راسها بفضل هذه المساحات المزروعة بالحشائش والمرصعة بازهار ذهبية تبرز من الحجارة المتناثرة والمغطاة بالثلوج التي كانت تتلألا تحت اشعة الشمس الغاربة وحاولت "فيكتوريا" أن تتقدم بسيارتها بعد أن ادارت المحرك خلال هذه الطبيعة التي كانت تبدأ في الاستيقاظ بعد اشهر الشتاء الطويلة وكانت الشابة تحلم بان فصل الربيع سيحل وأن كل شيء سوف يتيسر لها كي تبدأ من جديد .

اخذت الشابة تسير بسيارتها بعض الوقت بقرب جدار من الحجارة وكان هذا الجدار هو آخر ما تبقى من آثار ما كان يجب أن يكون يوما ما بيتا من بيوت الرعاة ثم توقفت فجاة . ولمحت على بعد امتار امامها عن قرب من الكوخ المبني من الخشب ثلاثة رجال كانوا

يتباحثون حول حيوان ملقى على الأرض كان يصدر ثغاء يشبه النحيب .

كان ضمن هؤلاء الرجال "جيل لاروك" .

كانت تتمنى ان تصرخ باعلى صوتها :

- يا "جيل" . ولكن لم يخرج من بين شفتيها اي صوت ووقفت هناك دون اية حركة وكانها قد شلت تماما .

كان "جيل" جالساً القرفصاء امام الحيوان الممدد على الأرض الذي يبدو عليه الالم الشديد وكان الرجل بدوره يبدو عليه الاهتمام الكامل بما كان يعمل . كان موجها ظهره إلى مكان الانحدار ولذلك لم يستطع أن يرى السيارة عند وصولها وكان صوت المحرك قد خفت ضجيجه بسبب الرياح العاتية التي كانت تعصف بقوة وقد كانت تهب من قمة الجبل وتعرفت "فيكتوريا" كذلك على الرجلين اللذين كانا يساعدان "جيل" حيث واتتها الفرصة للالتقاء بهما ومشاركتهما وجبة الصباح عندما كانت تقوم بمعاينة الاماكن لكي تقوم بعمل الدعاية الإعلامية التي كلفها بها "جيل".

ونزلت "فيكتوريا" من السيارة دون إصدار اي صوت واقتربت من المجموعة . وكانت تراقب يدي "جيل لاروك" وهي مبهورة. . كانت يدا الرجل تساعدان بمنتهى الرقة خروفا صغيرا وليدا للخروج من بطن امه وكانتا تحاولان معاونة الوليد ليشق طريقه إلى العالم الخارجي كانت هذه الولادة تحدث بصعوبة واضحة للعيان ، وكانت النعجة الام تبعث احيانا ثغاء شديدا يدمي القلوب .

وكان "جيل" يتكلم مع الحيوان بلهجة القرية بصوت مليء بالرقة محاولا تسكين روعها . وكان الحيوان على ما يبدو يكاد يستجيب لمحاولات الرجل ويلجا إلى الهدوء بمرور الوقت ..

كانت هذه هي المرة الأولى التي تحضر فيها "فيكتوريا" عملية ولادة وكان هذا المنظر يهزها بعنف حتى اعمق اعماقها . وقد كان يؤثر فيها اكثر من اي شيء مدى الرقة ومدى اللطف الذي كان "جيل" يؤدي به

هذا العمل مستعملا يديه الكبيرتين اللتين تبدوان مملوءتين قوة ومقدرة غير عادية .

ومع آخر جهد للنعجة الام استطاعت ان تطرد وليدها ثم تركت راسها يقع على الحشيش من شدة الإعياء بينما كان الخروف الوليد يحاول أن يقف على ارجله الرفيعة بفضل مساعدة "جيل" وعندئذ تمكن احد الراعيين من ان يلمح "فيكتوريا" عندما كان يرفع راسه . وبسرعة اخبر زميله بضربة من مرفقه واخذ الاثنان ينظران إليها وقد فغر كل منهما فاه دون ان يلفظ اية كلمة وكانهما شاهدا شبحا .

حاول الخروف الوليد ان يهرب من يدي الرجل الذي ساعده في عملية الولادة واخذ بعض الخطوات غير المستقيمة .

قال "جيل" للراعيين وهو يجفف يديه في فوطة معدة خصيصا وموضوعة إلى جانبه :

- " نستطيع ان نقول بان هذا الخروف الوليد قد سبب لنا إرهاقا شديدا ! " وفي هذه اللحظة فقط استطاع ان يلحظ التعبير المرسوم على وجهيهما المرتبكين . فاستدار الرجل ووقعت عيناه عليها .

وكنت تستطيع ان تتبين في باديء الأمر نوعا من عدم التصديق كان ظاهرا في عينيه ، وكانه يرفض ان يقنع نفسه بهذا الظهور الغريب ، ومكث الرجل بعض الثواني دون ان ينبس ببنت شفة . كانت هذه الثواني طويلة جداً بالنسبة لـ "فيكتوريا" بل كانت تبدو كانها قرون طويلة . وبعد ان تاكدت نفس الرجل بسرعة بان كل ما يحدث امامه حقيقة لازيف فيها اخذ جسمه يهتز ثم رجع إلي الوراء خطوة من هول المفاجاة .

قال "جيل" بصعوبة :

- " يا "فيكتوريا" .. ماذا جئت تفعلين هنا ؟ "

شعرت الشابة بالاضطراب . واحست بهذه الطريقة الغريبة جدا التي كان يلتقط بها الرجل اسمها ولكن السؤال كان عنيفا جدا . كان يعني ان الشابة غير مرغوب فيها . لقد اخطا بذلك ظنها .

لم يكن "جيل" في حاجة إليها على العكس مما كانت تعتقد . وكان البريق القاسي المنبعث من عينيه يعني بالنسبة لها بوضوح انه لا معنى لوجودها على ارض هذا الرجل . وكان الاثنان واقفين ينظر كل منهما إلى الآخر دون إبداء اية حركة . كان الراعيان قد انسحبا سراً إلى داخل الكوخ بينما كان الخروف الوليد يلهو مدفوعاً بغريزته الطبيعية ومحاولا ان يرضع من امه . وحتى لا تفقد الشابة ماء وجهها اختلقت حجة :

- " لقد كنت امر من هذه الناحية ... إن مشروعي عن مدينة "مونتييو" يوشك ان يحوز القبول "

- " كيف حال "تومسون" ؟ "

كان السؤال قد اخذ الشابة على غرة بشكل كامل .

- " إنك تعني بذلك "مارك" ؟ إنني اعتقد انه بخير . على الاقل كان في صحة طيبة في آخر مرة رايته فيها : .

وفجاة شعرت الشابة بان روحها بدات تشع ضوءا . كان "جيل لاروك" معتقدا كل الاعتقاد بانها هربت ذلك الصباح مع "مارك تومسون" .

كان هذا التصور يفسر كل ما حدث : السبب الذي من اجله لم يندفع "جيل" وراءها ليبحث عنها. والسبب الذي من اجله لم يفكر إطلاقا في السفر إليها لرؤيتها . كان الرجل يشعر في داخله بان " فيكتوريا" قد اختارت ما ترغب فيه، وكان عليه ان ينحني لرغبتها .

ما مدى الخسارة التي سببها هذا الهروب الأرعن ! هل هناك اي إمكان لتصحيح ما سبق إتلافه ؟

هل سيوافق الرجل على سماع كلامها ؟

كانت الشابة تتمنى ذلك بكل جوارحها . اسمعني يا "جيل" ارجوك . إنني استطيع توضيح كل شيء لك ! "

- " إنني لست في حاجة إلى توضيح اي شيء يا "فيكتوريا" إنني ادرك تمام الإدراك ماذا حدث ذلك الصباح . لقد لمحتك موظفة الاستقبال وانت تستقلين إحدى سيارات الأجرة بصحبة "مارك تومسون" وقد

تذكرت الموظفة انك قد اتصلت به هاتفيا قبل ذلك بدقائق في غرفته . وبما انه لم يكن معك نقود فقد دفع لك "مارك" علانية قيمة تذكرة الطائرة . وليس هناك ادنى شك في ان "مارك" منذ هذا الوقت كان ينتظر ان يكافا بما يستحق .

كانت "فيكتوريا" تتمنى لو تختفي من امام "جيل" على عمق ثلاثة امتار تحت باطن الأرض . كانت تنبعث من وجه "جيل" علامات احتقار وكانت الشابة تستحق مثل هذا الازدراء . لقد تصرفت بالفعل ذلك الصباح مثل إحدى البنات الشقيات دون ان تنظر إلى العواقب .

- " ارجوك يا "جيل" دعني اشرح لك الموضوع فليس كل ما تعتقد قد حدث بالفعل إنني ادرك جيدا كل ما شعرت به بسبب سلوكي هذا . "

- " لا اعتقد ذلك . إنني اشك كل الشك ان احدا على وجه هذا العالم بما فيه انت سوف يستطيع إدراك ما شعرت به في ذلك اليوم عندما رجعت من الاجتماع الذي كنت احضره ووجدت غرفتك فارغة بعد ان هجرت المنزل !

لم يحدث إطلاقا ان اختفى اي شخص وعلى وجه الخصوص انت دون ان يترك اية كلمة . لقد بحثت عنك كالمجنون . كنت على استعداد للذهاب إلى نهاية العالم لو لزم الأمر . ولكنني عندما تاكدت من انك قد ذهبت مع "مارك" عندئذ عرفت كل شيء . سافري يا "فيكتوريا" سافري . لا اريد ان اراك إطلاقا بعد الآن .هل تسمعينني ... إطلاقا بعد الآن !"

كان صوته الذي كان يبدو عليه في بادئ الأمر انه على استعداد لان يحطم اي شيء قد اتخذ الآن طريقة يغلب عليها الجمود وكان ذلك يسبب للشابة شعورا شديدا بالقشعريرة .

- " سوف اسافر يا "جيل" كما تطلب مني ذلك ولن تراني ابدا بعد الآن ، ولكن قبل اي شيء اريد ان اعتذر عما بدر مني في ذلك الصباح .

لقد كان هذا السفر السريع نوعامن الحماقة . وإنني ادرك ذلك جيدا. كان لدى "مارك" تذكرة طائرة لا يحتاج إليها ويريد التصرف فيها عرضها عليّ وكوني سافرت هذا الصباح لا يعني ذلك انني قصدت

اللحاق به ولكن لانني كنت خائفة منك . كنت خائفة من شعورك بالشفقة تجاهي .

- " لقد وصلتني اخبارك يا "فيكتوريا" وتاكدت منها انك تعملين لحسابه " .

وهكذا كان "جيل" قد عمل تحرياته . كان قد اقتفى اثارها حتى بعد ان عادت إلى "لندن" .

- إن معلوماتك غير كاملة يا "جيل" . لقد عملت بالفعل لحساب "مارك تومسون" ولكن كان ذلك لمدة لا تتعدي الشهرين فقط . كنت في حاجة إلى عمل وكان هو يبحث عن اي شخص لمساعدته على ان العلاقة التي كانت تجمع بيننا كان يجب ان تقف عند هذا الحد لانه بعد مرور شهرين طلب مني ان اتزوجه وقد رفضت ذلك وعندئذ اضطررت إلى ترك الشركة كانت علاقاتنا ستكون في غاية الصعوبة وبعد ذلك لم ير اينا الآخر إطلاقا .

كانت "فيكتوريا" تتكلم وتتكلم وكانها تحاول ان تقنعه . ولكن هل من المعقول إقناع شخص مثل "جيل لاروك" ؟

ماذا كان يقول الآن ؟

ماذا كانت تلك الكلمات التي رفض الاستماع إليها ... هذه الكلمات التي كانت تمزق قلبه ؟

" لا اريد ان اراك بعد الآن مطلقا يا "فيكتوريا" ، هل تسمعينني .. إطلاقا بعد الآن !

من المستحيل ان تكون الرسالة اوضح من ذلك لم يكن هناك للشابة سوى ان تسافر وتعود إلى لندن وان تنكب بكل ما لديها من قوة مرة اخرى على عملها .

وقالت الشابة قبل ان تنسحب :

- " وهانتذا قد عرفت الآن كل شيء بوضوح كامل - ماذا يمكنني ان اقول اكثر من ذلك إلا انني فعلا حزينة جدا لانني لم اترك لك كلمة ذلك الصباح !

كان يجب عليّ ان احاول الشرح لك ... ربما كنت اعتقد انك سوف تحاول اقتفاء اثري للبحث عني مرة اخرى " .

وبعد ان نطقت الشابة بهذه الكلمات وحتى لا يرى الدموع التي كانت تبلل وجنتيها ادارت الشابة ظهرها وبدات تهبط الطريق .

- يا "فيكتوريا" .

دوي هذا النداء كانه صرخة في قلب المراعي الجبلية . وتوقفت فجاة الشابة عند سماعها هذا النداء الشديد ووقفت لحظة متجمدة في حيرة من امرها في حالة من التردد إذ كان لزاما عليها ان تعود إلى الرجل . وعندئذ شعرت بوجود شخص وراءها واحست بذراعين يحتضنانها وكانهما يحتجزانها .

- " لن اتركك تسافرين إطلاقا ! إنك ملك لي وليس لإنسان آخر سواي " .

استدارت فيكتوريا حينئذ ووجدت نفسها بين ذراعي الرجل الذي كان يحتضنها وكانت شفتاها لا تصلان سوى إلى ارتفاع فتحةقميصه. ولم تجد الوقت الكافي سوى ان تقبله على هذا الصدر الذي كانت تحس بعضلاته التي تتحرك داخل قميصه وحاول الرجل ان يضع إصبعه تحت ذقن الشابة ليرفع وجهها نحوه .

- " فيكتوريا" ياملاكي - يامعبودتي لماذا سببت لي كل هذا العذاب ؟ كنت اعتقد انني سوف اموت .. "

- " سامحني يا "جيل" ارجوك سامحني . كنت احبك حبا شديدا ولكنني لم اكن لاقبل شفقتك عليّ . "

- " اية شفقة ؟ الم تسمعي انت كذلك قصة زواجي بـ "كلاوديا" التي لم يكتب لها النجاح ؟ الم تشعري ببعض العطف تجاهي ؟ في الحقيقة لا مجال للشفقة هنا في داخلي فكل ما يتعلق بك هو في الوقت ذاته يمسني في صميمي . وهذا العذاب الذي احسست به وهو يعتصر اعماق قلبك كان يسبب لي كذلك الما مبرحا كنت على استعداد لأن ابذل في سبيله حياتي حتى اراه يبتعد عنك ! "

كم كانت تتمنى هي كذلك ان تفديه بحياتها كي لا تراه يتعذب !

ولكن بدلا من ان تفعل ذلك هربت دون ان تتلفظ باية كلمة وكانها تشبه إحدى السارقات . وتركته يعتقد انها سافرت رغبة في الذهاب خلف رجل اخر .

كانت الشابة في واقع الامر إنسانة غير مسؤولة عن اعمالها . وكم كانت الأعمال التي اقترفتها والتي تطلب الآن السماح بشانها كثيرة .

كانت تحاول ان تعترف بكل ذلك ولكن ليس عن طريق الكلمات التي تبدو ضعيفة إلى حد بعيد وغير كافية لكي تعبر بها عن مدى الحب الذي كانت تشعر به تجاهه وفضلت عوضا عن ذلك ان تترك نظراته تغوص في نظراتها حتى يستطيع ان يكتشف بواسطتها ما يختفي داخل اعماقها .

كان كل ما يراه الرجل في عينيها كافيا لإقناعه بحسن نيتها ، كان الرجل يشدها نحوه وكانه يريد ان يكتم انفاسها وكان يتمتم في اثناء ذلك في اذنيها دون توقف

- "اه يا "فيكتوريا" ... يا "فيكتوريا" .

تركت الشابة نفسها وهي في منتهى السعادة وعندما فتحت عينيها مرة ثانية بعد لحظة لمحت من خلال شباك الكوخ الراعيين وهما ينظران إليهما وكانت ترتسم على وجهيهما ابتسامة عريضة .

تمتمت "فيكتوريا" في اذن "جيل" على سبيل اللهو على الرغم من شعورها بقليل من الإحراج :

- " اعتقد ان لدينا بعض المتفرجين ! "

التفت "جيل" واستطاع ان يلمح في الوقت المناسب الرجلين اللذين احسا بخطئهما وتركا الشباك مبتعدين عنه . وانفجر "جيل" في الضحك .

- " لاشك ان رجالي مسرورون جدا من عودتك يا "فيكتوريا" يبدو انني كنت قد اصبحت شخصا غير محتمل ! "

- " هذا هو الذي فهمته ايضا من السيدة "ديفال"

- "تعالي ... يجب الا ننتظر هنا اكثر من ذلك " .

كان الرجل يصطحبها خلفه على المنحدر إلى غابة الأشجار . وشعرت الشابة بشيء من الرعب لمجرد التفكير بانها سوف تقوم بزيارة "كازانوفا" ولكن "جيل" اصطحبها إلي فرس اشهب رائع الجمال كان يرعى في هدوء بين قطعان الخراف .

امتطى الرجل صهوة الحصان وقبل ان تتمكن الشابة من إبداء اعتراضها كان الرجل يرفعها من فوق الأرض ويضعها على صهوة الحصان أمامه بحيث تتدلى ساقاها الاثنتان من جانب واحد . ومالت الشابة على الرجل ووضعت راسها على صدره . واخذا يتجولان قليلا بالحصان دون كلام . وكانا ينصتان فقط إلى دقات قلبيهما اللذين كانا ينبضان في إيقاع واحد معا . وعندما اقتربا من جدول الماء الذي كان قد وقف الشابة عنده قبل اشهر عديدة عندما كانت تجري بطريقة جنونية وقف "جيل" الحصان وترجل عنه ، ووضع قدميه على الأرض .

كان المكان ساحر الجمال ومياه الجدول تبدو عذبة صافية وهي تنحدر من ذوبان الثلوج وتكاد تغني وهي تنحدر على الحصى . وعلى ضفة الجدول . وتحت اشجار الصنوبر كانت تنتشر مساحات من الطحالب تختلط معها انواع عديدة من الأزهار . وقد اصطحب الرجل الشابة في هذا المكان الجميل وجلسا معا على هذا البساط الرائع الذي نسجته الحشائش والأزهار واخذا يتبادلان كلمات الحب والرغبة المحمومة لكل منهما تجاه الآخر .

- دعيني انظر إليك يا "فيكتوريا" . فانت جميلة جدا . كنت اخاف خوفا شديدا ان لا يتوافر لي إمكان رؤيتك مرة اخرى . ولكن من الآن فصاعدا لدينا الوقت كله لكي نتبادل حبنا إلى الأبد . "

تمتمت الشابة :

- " نعم . فانت اول رجل عرفته وسوف تكون الوحيد طوال حياتي وإلى الأبد إنني لا اريد ان يمتلكني رجل اخر سواك ، وكم ارغب في ان تمتلكني الآن " .

اخذ الرجل ينظر إلى جسمها وهو في حالة انبهار وكانت الشابة تسترجع كلامه فتشعر انها بالفعل جميلة حسبما وصفها "جيل" وبانها امراة كاملة النضج والانوثة ، وبانها امراة تستطيع أن توقظ دوافع الحب والرغبة في الرجل الذي يعشقها .

وبين ذراعي الطبيعة الرائعة الجمال التي كانت تحل بسحرها خلال فصل الربيع بعد اشهر الشتاء الطويلة وتحت اشجار الصنوبر التي كان يمكنك أن تحس بالعصارة التي تتصاعد حتى أطراف اغصانها كانت "فيكتوريا وجيل" و"جيل وفيكتوريا" . جالسين على سرير من الطحالب والحشائش المنثورة عليها انواع فريدة من الأزهار يضعان نهاية قاطعة لعالم الوحوش الغامض الذي ينتاب ضميرهما اللاشعوري .

(تمت بحمد الله)

www.elromancia.com